ORIENTAL TRANSLATION FUND
NEW SERIES
VOL. XXVII

THE TABLE-TALK OF A MESOPOTAMIAN JUDGE

BEING THE FIRST PART OF THE

NISHWĀR AL-MUḤĀḌARAH

OR

JĀMI' AL-TAWĀRĪKH

OF

ABU 'ALĪ AL-MUḤASSIN AL-TANŪKHĪ

EDITED FROM THE PARIS MS. BY
D. S. MARGOLIOUTH, D.Litt., F.B.A.

ROYAL ASIATIC SOCIETY
74 GROSVENOR STREET
1921

PREFATORY NOTE

Some details about this work are given in the Arabic postscript. It is hoped that an English translation will soon follow, where a more lengthy account of it will be given. The rotographs whence the text has been copied were procured by the late Mr. H. F. Amedroz, who was for some years a member of the Council of the R.A.S. It was the writer's original intention to include this text among those collected in *The Eclipse of the 'Abbasid Caliphate,* to which it frequently serves as a supplement; as this was not found practicable, the R.A.S. was requested to let it appear among its publications, and kindly consented. Full references to its contents have, however, been given in the Index to the former work, and these together with the Indices appended to the edition should render it easy to find any of the anecdotes.

الرومى فى ارشاد الاريب (٦ : ٦٠ و ١٩٠) والغرولي فى مطالع البدور (١ : ٩٤). وأما نحن فلم نعثر منه الا على الجزء الاول فى نسخة عددها ٣٤٨٢ من الخطوط العربية المحفوظة فى خزانة الكتب الوطنية فى باريس قد ذكر الناسخ أنه فرغ من نسخها فى سنه ٧٣٠ وليس فيها مايدل على أنها أول جزء من أجزاء عدة وعدد صفحاتها ١٩٣ وهي كاملة الشكل كثيرة الاغلاط لاسيما فى الاعلام وأما ما صح عندنا صوابه فجملناه وقد حظينا فى بعض الملازم بمساعدة العلامة الفاضل والاديب الكامل صاحب السعادة أحمد باشا زكى وأما ما تعذر علينا فهمه وتصحيحه فأثبتناه على حاله مقرين بالعجز وقد حذفنا حكايات ليست بكثيرة لم نر داعياً الى تخليدها وكان ابتداء طبع هذا الكتاب فى سنة ١٩١٨ والفراغ منه سنة ١٩٢١

الخاتمة

قال ياقوت فى ارشاد الاريب (٦ : ٢٥١) المحسن بن علي بن محمد ابن داوود بن الفهم التنوخي أبو علي القاضي مات لخمس بقين من محرم سنة ٣٨٤ ومولده سنة ٣٢٩ بالبصرة وكانت وفاته ببغداد وله من التصانيف : كتاب الفرج بعد الشدة ثلاث مجلدات . كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه أن لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب أحد عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطبة. قال غرس النعمة :صنف أبو علي المحسن كتاب نشوار المحاضرة فى عشرين سنة أولها سنة ٣٦ وذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب الربيع قال ابتدأته فى سنة ٤٦٨ اه . والنشوار كلمة فارسية أصلها نشخوار ومعناها جرّة الحيوانات المجترة وقد استعملها التنوخي بمعنى الحديث ص ٦٢ س ١٦ « طيب النشوار والادب » ص ٨٦ س ١٤ « حسن النشوار راوية الاخبار » وأما ما ذكر من تاريخ الكتاب فيطابقه ما جرى فيه ذكره من التواريخ فان المؤلف ذكر خبراً سمعه فى سنة ٣٤٩ (ص ١٦) ثم أكثر من ذكر حوادث سنة ٣٦٠ (ص ٢١٦ و ٢٣٥) ثم ذكر حادثا حدث سنة ٣٦١ (ص ٢٧٤) . وأما ما اشترط من الاقتصار على ما لم يدون فى كتاب فكثيرا ما أخل بشرطه وقد نبهنا فى مواضع على ورود الحكايات فى الفرج بعد الشدة المؤلف وغيره من الكتب. وأما ما زعم من اشتمال الكتاب على ١١ جزءاً فيؤكده ما يوجد فى بعض الكتب من حكايات منقولة عن النشوار غير موجودة فى جزئنا من ذلك ما أورده السيوطي فى المزهر (٢ : ١٦٣ من الطبعة الاولى) وياقوت

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٤	امح الملاحظة التى عددها ٢		
١٥٥	٤	اكتب	الكتب
١٦٠	٨	الحوزي	الخوزي
١٨٤	٤	نفذت	نفدت
٢١٩	٤	الضاء	الضاد
	١٥	تفيضا	تغيضا
٢٣١	٣	الثعلبي	التغلبي
٢٦٢	١٩	الحسين	الحسن

الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	٣	الوراقين	الزراقين
١٤	٦	المبزر	المبرز
١٥	١٠	الحسن	الحسين
		عباس	عياش

(وقد كثر هذا الخطأ فليصحح)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
	١٩	الموسوم	المرسوم
٢٧	١٥	ملتزمه	ملتزق
	١٦	الناس	الامر
٢٨	٣	وقد	قد
	٩	خطابه	خطائه
٢٩	٥	الى	عن
٤٧	١٩	باموراً	بامور
٦٢	١٩	كان	لعله : كان يامر
٦٧	١٩	حظه	خطه
٦٩	٩	كاتباً	كاتب
٧٢	١	الاكثراث	الاكترات
	٥	الى	في
٨٥	٢٠	خشية	خشبة

فهرسة الحكايات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرسة الاعلام

طريق وحمل معى تلك الغنم الى أن خرجت من أعماله فبعتها بمال عظيم.

حدثنى أبو على الانبارى قال : كنت بحضرة أبى يوسف الزيدى فكتبت كتباً كثيرة وحمى النهار فقمت ضجراً أمشى فى الصحن الاعظم من الدار فلقيت يوحنا الطبيب الاهوازى النصرانى فقال لى : يا أبا على افتصد الساعة وإلا طعنت . فقلت : أمس افتصدت . قال : فحل ازارك وسراويلك . قال : فوقفت وفعلت ذلك . فقال لى : لو لم يتغير لونك الى الاسفار لفصدتك ثانيـة . قال : فعجبت من فطنته لاجتماع الدم فى وجهى ومعالجته بسرعة .

وحدثنى أبو على قال : دخل يوحنا يوماً الى دارى وبحضرتى مطاولات كثيرة فيها نارنج فحين رآها قال يوحنا : منذ كم هذه الاطباق عندك ؟ فقلت : منذ أيام فقال : انا لله تقدم برفعها الساعة والا لم أجاس انا امالى . فقلت : شيلوها . ثم قلت : ما السبب في هذا ؟ فقال : ان النارنج خاصيته أن يرعف وأنه لا يرعف أحـد عقيب ادمانه شمه رعافاً يكون سببه شمه أو بالاتفاق الا يدوم رعافه الى أن يموت فلا حيلة فيه .

أنشدنى أبو القاسم الصورى لنفسه :

ويوم كيوم البين حرا قطعتـه ... على سابح طاوى الاياطل سابق
أخوض عليه جمرة القيظ حاسرا ... كأنى على الهجران فى قلب عاشق

وهذا آخر الـكتاب

وكان الفراغ من كتابته فى يوم الجمعة مستهل رجب الفرد سنة ثلاثين وسبعمائة والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم .

الملك فأحضر كل ماقدر عليه من حصى صغار وأحجار لطيفة فترك على كل نقطة حصاة حتى امتلأ الثوب بالحصا والحجارة اللطاف فوق النقط ثم أمر بجمع أمر عظيم من الغنم وأوقفت بحضرته وأمر رجالا أن يجلسوا ورجالا يقوموا فجلس بعضهم على الثوب فكانوا يأخذون حصاة حصاة فيلقونها عن الثوب فكلما ألقى من الجلوس رجل حصاة أخذ من القيام رجل شاة من الموضع الذى فيه الغنم الى رحلى وسامت الى أصحابى حتى استوفيت على عدد الحصا الذى كان فوق الثوب كل نقطة شاة .
قال : فاستحسنت فطنته لذلك فقلت للتراجم : قولوا له : ما أنصرف الى بلدى بشئ أحسن من فطنة الملك لاستخراج هذا فكيف وقع له هذا وهو لا يلابس مثله وأنا تاجر ما وقع لى ولا لجميع أهل مملكته .
قال : فأعجبه قولى وقال: انك لما أردت الانصراف تأسفت على مايفوتنى من الثوب ففكرت والملوك لا بد أن يدربهم الملك ويصير لهم مزية فى حيل الرأى فى الحوادث التى تطرقهم ليست لغيرهم لان أفكارهم صافية من الاهتمام بما يهم غيرهم من المعايش موقوفة الا على مصالح المملكة ومداراة الخوارج أو على الشهوات قدر ماشغلوا به نفوسهم وليس يتحصل لواحد منهم الملك الا لشرفه ومعنى قد فضل به وتقدم من أجله اما بسعادة تخدمه أو بفضل فى نفسه فلما رأيت أن الثوب يفوتنى فكرت كيف الحيلة فى عدد النقط فوقع لى ما رأيت . فقلت له : أيها الملك فائدتى بما سمعته منك من هذا الكلام أحب الي من فائدتي بما ربحته عليك فى ثمن الثوب . قال : فأجازنى بجائزة سنية وأصحبنى من آنسنى وخدمنى فى

على من بين يديه فقال : لا أظنه يقبلها وهـذا محترق بالعبادة ايش يعمل بالدراهم ؟ قال: فما كان بأسرع من ان رجع رسوله الذى كان انفذه بالدراهم فارغ اليد فقال له بجكم : أى شئ عملت ؟ قال : أخذت اليه الدراهم وأعطيته اياها . قال بجكم : فأخذها ؟ قال : نعم . فعض بجكم على شفتيه وقال : انا لله حيلة تمت عليّ كلنا صيادون لـكن الشباك تختلف .

وحدثنى أبو على الحسن بن أحمد الانبارى الـكاتب عن رجل من التجار الموغلين فى الاسفار قال : سافرت الى وراء باب الابواب بمسافة بعيدة ومعى متاع فبلغت أرضاً لها أهل بيض شقر مرط دقاق قصار عراة قليلو الاظفار لغتهم لغة غـير الفارسية والتركية لا أعرفها لا ورق فى بلادهم ولا عين وانما يتعاملون بالامتعة والاغلب عندهم الغنم فحملت الى ملـكهم فعرضت عليه ما معى فاستحسن منـه ثوب ديباج وكان معى منقطاً فسألنى عن ثمنه فاستمت مالا كثيراً فقال له[1] : لا مال عنـدنا وانما هى هذه الامتعة فان صاحت لك فخذ ما شئت . فقلت : لا تصلح لى . فقال : فالغنم . فقلت : كم عساك تعطينى منها ؟ فقال : حكمك . فقلت : بعدد كل نقطة فى الثوب شاة . فقال : قد أجبتك . فأخذت أعد النقط فلم ينضبط لى ذلك وجهد جميع من عنده فى هذا فتعذر عليهم فقال لى : نعمل الآن قد تعبنا وأتعبناك فى شئ لا يصح فهممت بحمل الثوب . وكان له ترجمانان يكلم أحدهما بلغته فيكلم الترجمان ترجماناً آخر بلغة أخرى فيكلمنى ذاك بالفارسية فأفهم . قال : فبسطت الثوب وأمر

(١) يريد « لى »

فسمعها تقول الابيات التى فيها :

وجهك الميمون حجتنا   يوم تأتى الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره إلى أن أغمى عليه فسقط فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتا فشالوه ودفنوه واستفاض الخبر بهذا وشاع. والابيات لعبد الصمد بن المعذل وأمالى الصولى عنه باسناد ثابت فى أصول سماعاتى:

يا بديع الدل والغنج   لك سلطان على المهج
إن بيتا أنت ساكنه   غير محتاج الى السرج
لا أتاح الله لى فرجا   يوم أدعو منك بالفرج
وجهك المأمول حجتنا   يوم يأتى الناس بالحجج

والصوفية إذا قالوا وجهك المأمول يقلبونه إلى مالهم فى ذلك من المعانى وكانت قصة هذا الرجل وموته فى سنة خمسين وثلثمائة وأمره من مفردات الاخبار.

حدثنى جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها فى طرف الجسر سائلان أعميان يتوسل أحدهما بأمير المؤمنين على عليه السلام والآخر بمعوية ويتعصب لهما الناس وتجيئهما القطع دارّة فاذا انصرفا جميعاً اقتسما القطع فانهما كانا شريكين يحتالون بذلك على الناس .

حدثنى أبو أحمد عبد السلام بن عمر بن الحرث قال : جاء رجل من الصوفية الى بجكم وهو بواسط فوعظه وتكلم عليه بالفارسية والعربية حتى أبكاه بكاء شديداً فلما ولى من بين يديه خارجاً قال بجكم لبعض من بحضرته : احمل معه [1] ألف درهم وادفعها إليه . قال : فحملت فأقبل بجكم

(١) لعله معك

ضللتم عن مداواة هذه المحنة وحراسة بلدكم بهذا العبد الصالح فارفقوا بالمرأة وسلوها قبول الدية ونجعلها من أموالنا . فأطافوا بها وسألوها فقالت : لا أفعل . قالوا : خذى ديتين . فقالت : شعرة من ابنى بألف دية . فما زالوا حتى بلغوا عشر ديات فقالت : اجمعوا المال فاذا رأيته إن طاب قلبي بقبوله والعفو عن الدم فعلت وإلا قتلت القاتل . فقالوا : نعم . فقال الرجل : قومى عافاك الله وردينى إلى موضعى من الجامع . قالت : لا أفعل . قال : فذاك إليك . فما زالوا يجمعون إلى أن جمعوا مائة ألف درهم وقالوا : خذيها . قالت لا أريد إلا قتل قاتل ابنى أثر فى نفسى . فأقبل الناس يرمون بثيابهم وأرديتهم وخواتيمهم والنساء بحليهن والرجال كل يرمى بشيء من متاعه ومن لم يتحمل من ذلك الفداء كان في أمر عظيم وكأنه قد خرج من الدنيا فأخذته وأبرأته من الدم وانصرفت فأقام الرجل في الجامع أياماً يسيرة حتى علم أنها قد بعدت ثم هرب في بعض الليالى وطلب من غد فلم يوجد ولا عرف له خبر حتى انكشف لهم أنه حيلة عملها بعد مدة طويلة .

رأيت ببغداد صوفيا يعرف بأبى الفتح أعور فى مجلس أبى عبد الله ابن البهلول يقرأ بألحان قراءة حسنة وصبى يقرأ (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) فزعق الصوفى بلى بلى دفعات وأغمى عليه طول المجلس وتفرق الناس عن الموضع . وكان الاجتماع فى صحن دار كنت أنزلها فلم يكن الصوفى افاق فتركته مكانه فما أفاق الى قرب العصر ثم قام فلما كان بعد أيام سألت عنه فعرفت أنه حضر عند جارية بالكرخ تقول بالقضيب

بأفرادى[1] وحملى إلى السلطان فسيعرضون لك الدية ولا تقبليها أو يبذلوا لك عشر ديات أو ما استوى لك بحسب ما ترين من زيادتهم وحرصهم فاذا تناهت عطيتهم فى افتدائى الى حد يقع لك أنهم لا يزيدون بعده شيئا فاقبلى الفداء منهم واجمعي المال وخذيه واخرجى من يومك عن البلد الى طريق بغداد فإنى سأهرب وأتبعك . فلما كان من الغد جاءت المرأة فلما رأته فعلت به ما قال لها ولطمته وقالت المقالة التى عليها . فقام أهل البلد ليقتلوها وقالوا : ياعدوة الله هذا من الأبدال هذا من قوام العالم هذا قطب الوقت هذا صاحب الزمان هذا هذا فأومأ اليهم أن اصبروا ولا تنالوها بسوء فصبروا واوجز صلاته ثم سلم وتمرغ في الأرض طويلا ثم قال للناس : هل سمعتم لى كلمة منذ أقمت فيكم ؟ فاستبشروا لسماع كلامه وارتفعت صيحة عظيمة وقالوا : لا . قال : فانى إنما أقمت عندكم تائباً مما ذكرته وقد كنت رجلا فى زيغ وخسارة فقتلت ابن هذه المرأة وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة وكنت محدثاً نفسى بالرجوع إليها وطلبها لتقيدنى خوفاً من أن لا تكون توبتى قد صحت وما زلت أدعو الله تعالى أن يقبل توبتى ويمكنها منى إلى أن أجيبت دعوتى وقبل الله توبتى لما جمعنى وإياها ومكنها من قودى فدعوها تقتلنى وأستودعكم الله تعالى . قال : فارتفعت الصيحة والبكاء وقال له هذا : ياعبد الله ادع لى . وقال له هذا : ادع لى. وأقبلت المرأة بين يديه وهو مار إلى والى البلد وهو يمشى على تأن ورفق ليخرج من الجامع إلى دار الامير فيقتله بابنها . فقال الشيوخ : يا قوم لم

(١) لعله باخراجى

للراحة سبح ولم ينطق بلفظة ولم يشعر به أياما ثم تنبه على مكانه وروعى مدة وعرف خبره ووضعت العيون عليه فاذا هو لا يقطع الصلاة ولا يذوق الطعام فتحير أهل البلد من أمره وكان لا يخرج من الجامع إلا فى الهاجرة في كل يوم دفعة حتى يمضى إلى تلك الميضأة فيبول ويعمد إلى تلك الآجرة وقد عرفها وعليها ذلك المعجون وقد صار مستحيلاً وصورته صورة الغائط الناشف المستحيل فمن يدخل ويخرج لا يشك أنه غائط فيأكله ويقيم أوده ويرجع فاذا يمسح للصلاة العتمة[1] وفي الليل يشرب كفايته من الماء وأهل حمص يظنون أنه لا يذوق الماء ولا الطعام وأنه طاو طول تلك المدة فعظم شأنه ومحله عندهم وقصدوه وكلموه فلم يجب وأحاطوا به فلم يلتفت واجتهدوا في خطابه فلزم لهم هذا الصمت والعمل فزاد محله عندهم حتى إنهم كانوا اذا خرج للطهور جاؤوا إلى موضعه فيتمسحون به ويأخذون التراب من موضع مشيه ويحملون اليه المرضى فيمسح يده عليهم فلما رأى أن منزلته قد بلغت إلى ذلك وكان قد مضى على هذا الفعل سنة اجتمع في الميضأة مع امرأته وقال: إذا كان يوم الجمعة كما تصلى الناس فتعالى فاعلقى بى والطمى وجهى وقولى لى: يا عدو الله يا فاسق قتلت ابنى ببغداد وهربت إلى هاهنا وجئت تتعبد وعبادتك مضروب بها وجهك ولا تفارقينى واظهرى أنك تريدين قتلى بابنك فان الناس يجتمعون عليك وأمنعهم أنا من أذيتك وأعترف بأنى قتلته وتبت وجئت إلى هاهنا للعبادة والتوبة والندم على ما كان منى فاطلبى قودى

(١) الجملة مضطربة

مالك عافاك الله ومن أنت ؟ فقال ابن الزكورى : أنا الروح الامين جبريل رسول رب العالمين أرسلنى اليك . فلم يشك المزابلى فى صدق القول فأجهش بالبكاء والدعاء وقال : ياجبريل من أنا حتى يرسلك رب العالمين إليّ ؟ فقال : الرحمن يقرئك السلام ويقول لك : موسى بن الزكورى غدا رفيقك فى الجنة . فصعق أبو عبد الله وسمع صوت الثياب وقد كان خرج فرأى بياضها فتركه موسى ورجع فلما كان من الغد كان يوم جمعة فأقبل المزابلى يخبر الناس برسالة جبريل ويقول : تمسحوا بابن الزكورى واسألوه أن يجعلنى فى حل واطلبوه لى فأقبل العامة أرسالا إلى دار ابن الزكورى يطلبونه ليتمسحوا به ويستخلوه للمزابلى فظهر وأمن على نفسه.

حدثنى أبو الطيب بن عبد المؤمن قال : خرج بعض حذاق المكديين من بغداد إلى حمص ومعه امرأته فلما حصل بها قال لها : إن هذا بلد حماقة ومال إنى أريد أن أعمل معيبا (قال : وهذه كلمة لهم إذا أرادوا أن يعملوا حيلة كبيرة) فساعدينى عليها بالصبر . قالت : شأنك . فقال : كونى بموضعك ولا تجتازين بى البتة وإذا كان كل يوم خذى لى ثلثى رطل زبيبا وثلثى رطل لوزا نيا فاعجنيه واجعليه وقت الهاجرة على آجرة نظيفة لأعرفها فى الميضأة الفلانية (وكانت قريبة من الجامع) ولا تزيدينى على هذا شيئا ولا تمرين بناحيتى . فقالت : أفعل . قال : وجاء هو وأخرج جبة صوف كانت معه فلبسها وسراويل صوف ومئزرا جعله على رأسه واعتمد أسطوانة فى الجامع بحيث يجتاز عليها أكثر الناس فلزمها يصلى نهاره أجمع وليله أجمع ولا يستريح إلا فى الاوقات المحظورة فيها الصلاة وإذا جلس

والخبز وغيرهما ويومى له بما يريده ويعطيه ثمنه ويحمل الحاجة الى منزل صاحبه .

وحدثني أبي قال : كان عندنا بجبل أنطاكية المعروف بجبل اللكام رجل يتعبد يقال له أبوعبدالله المزابلى وسمى بذلك لانه كان بالليل يدخل الى البلد فيتبع المزابل فيأخذ مايجده منها فيغسله ويقتاته لا يعرف قوتا غير ذلك وأن يتوغل فى جبل اللكام فيأكل من الاثمار المباحة فيه وكان صالحا مجتهداً الا أنه كان حشويا غير وافر العقل وكانت له سوق عظيمة فى العامة بأنطاكية وكان بها موسى بن الزكورى صاحب المجون والصفير فى شعره والحماقات وكان له جار يغشى المزابلى فجرى بين موسى بن الزكورى وجاره ذاك شر فشكاه الى المزابلى فلعنه المزابلى فى دعائه وكان الناس يقصدونه فى كل يوم جمعة غدوة فيتكلم عليهم ويدعو فلما سمعوا لعنه لابن الزكورى جاء الناس الى داره أرسالا لقتله فهرب ونهبت داره وطلبته العامة فاستتر(١) فلما طال استتاره قال : انى سأحتال على المزابلى بحيلة أتخلص منه بها فأعينوني . فقلت : ما تريد ؟ فقال أعطونى ثوبا جديداً وشيئا من الند والمسك ومجمرة وناراً وغلمانا يؤنسونى الليلة فى الطريق الى الجبل . قال أبي : فأعطيته ذلك كله فلما كان فى نصف الليل مضى وخرج والغلمان معه الى الجبل حتى صعد فوق الكهف الذى يأويه المزابلى فبخر بالند والمسك فدخلت الريح الى كهف أبي عبد الله وصاح بحلق عظيم يا أبا عبد الله المزابلى فلما شم تلك الرائحة وسمع الصوت أنكرهما فقال :

---

(١) لعله سقط : عندى

وأخبرنى أبو الحسن الأزرق أيضاً فى سنة إحدى وستين وثلثمائة أنها توفيت فى منزلها فى جواره فى هذه السنة .

حدثنى أبو الطيب بن هرثمة أنه سمع الباغندى المحدث يقول لجارية كانت تخدمه وقد حرد عليها ذهب زمانك الذى كنت تخضبين فيه بالـكلـكين . يريد تطلين على وجهك الـكلـكون[1] . وأنه سمعه قال فى حديث حدث به فى قوله تعالى وفاكهة وأباً فقال فاكهة وأنا .

وأخبرنى بعض من سافر فى الآفاق وهو أبو غانم عبد الملك بن على السقطى البصرى أنه كان فى بعض طرقات اليمن ومعهم رجل معه قفص فيـه قلانس فأصابتهم سماء فابتلت القلانس فأخرجها الرجل فنشرها فى الشمس لما نزلوا وإذا بقطعة عظيمة من القرود قد أحاطوا بالقافلة فلما رأوا القلانس وكانت خارجة من القافلة بالقرب وقفوا ينظرون إليها فجاء قرد كبير يقدمهم فلبس فى رأسه واحدة وأخذ كل واحد منهم واحدة فلبسها إلى أن فنيت القلانس فتأملت صاحبهـا يلطم[2] ان مضوا هؤلاء وهى على رؤوسهم افتقرت فانى لا أملك غير هذه القلانس . فقال أهل القافلة : اجلس واسكت ولا تهجهم فجلس فلما كان بعد ساعة وضع القرد الـكبير القلنسوة من رأسـه فوضعوا كلهـم القلانس وانصرفوا فتبعوه فى الانصراف وقام الرجل الى قلانسه فجمعها .

وحدثنى أيضا قال : رأيت قروداً عـدة مستأنسة ببلدان اليمن القرد منها يخرج بالزنبيل من منزل صاحبه ومعه الفضة فيقف على بائع اللحم

(١) كلمة فارسية معناها لون الورد (٢) لعله سقط :وجهه ويقول :

أن تخرج من السقف او تخرق الحائط بريشة من جناحك وتخرج فلا تكلفني أنا التغرير ببصرى . فأحس اللص بأنها جلدة فأخذ يرفق بها ويداريها ويبذل التوبة . فقالت له : دع ذا عنك فلا سبيل الى الخروج إلا بالنهار . وقامت تصلى وهو يهذى ويسألها وهى لا تجيبه حتى طلعت الشمس وجاء ابنها فعرف خبرها وحدثته بالحديث فمضى وأحضر صاحب الشرطة وفتح الباب وقبض على اللص .

سمعت جماعة من اصحابنا يقولون : من بركة المعتزلة أن صبيانهم لا يخافون الجن وقد حكى لنا أن لصا حصل فى دار لمعتزلى فأحس به فطلبه فنزل الى بئر فى الدار فأخذ الرجل حجرا عظيما ليدليه عليه فخاف اللص التلف فقال له : الليل لنا والنهار لكم . يوهمه أنه من الجن . فقال له المعتزلى : فزن معى نصف الأجرة . ورمى بالحجر فهشمه فقال له : متى يأمن أهلك من الجن؟ فقال المعتزلى: دع ذا عنك واخرج . فخرج وخلاه.

سمعت أبى قال : جئت إلى أبى القاسم ابن بنت منيع لا كتب عنه الحديث فقال لى من فى منزله : قد توجه فى حاجة له . وكانت سنه إذ ذاك نحو مائة سنة فجلسنا ننتظر فاذا به قد جاؤوا به محمولا فألقى كالمغشى عليه واستراح فقلنا له : يا أبا القاسم ما كان هذا الأمر حتى خرجت فيه بنفسك الا كلفتنا حاجتك ؟ فقال : ليس هذا مما أكلفكم إياه مضيت إلى مجلس ستى خاطف فسمعتها وتواجدت فى قولها . قال : فعجبنا من شيخ محدث يحضر مجلس امرأة تغنى بالقضيب . وأخبرنى من أثق بهم أنها باقية إلى هذا الوقت وتغنى بالقضيب وأن لها نحو السبعين سنة .

فمدت الصلاة وتطاول عليه الأمر ومضى نصف الليل وتحير اللص مما نزل وخاف أن يدركه الصبح ولا يظفر بشئ فطاف فى الدار فوجد ازارا جديدا وطلب جمرا فظفر به ووقع فى يده شئ كان له (١) دخنة طيبة فلبس الأزار وأشعل ذلك البخور وأقبل ينزل على الدرجة ويصيح بصوت غليظ ويعمد أن يجعله جهوريا لتفزع العجوز وكانت معتزلية جلدة ففطنت لحركته وأنه لص فلم تره أنها فطنت وقالت : من هذا ؟ بارتعاد وفزع شديد . فقال لها : أنا رسول الله رب العالمين أرسلنى إلى ابنك هذا الفاسق لأعظه وأعامله بما يمنعه من ارتكاب المعاصى . فأظهرت انها قد ضعفت وغشى عليها من الجزع وأقبلت تقول : ياجبريل سألتك بالله الا رفقت به فانه واحدى. فقال اللص : ما أرسلت لقتله . فقالت: فما ذا تريد وبم ارسلت ؟ قال : لآخذ كيسه وأؤلم قلبه بذلك فإذا تاب رددته إليه . فقالت : شأنك يا جبريل وما أمرت . فقال : تنحى من باب البيت فتنحت وفتح هو الباب ودخل ليأخذ الكيس والقماش واشتغل في تكويره فمشت العجوز قليلا قليلا وجذبت الباب بحمية فردته وجعلت الحلقة فى الرزة وجاءت بقفل فقفلته فنظر اللص الى الموت بعينه ورام حيلة فى داخل البيت فى نقب أو منفذ فلم يجدها فقال لها : افتحى الباب لاخرج فقد اتعظ ابنك ؟ فقالت : يا جبريل أخاف أن أفتح الباب فتذهب عينى من ملاحظتى لنورك . فقال : إني أطفئ نورى حتى لا تذهب عينك . فقالت : ياجبريل إنك رسول رب العالمين لا يعوزك

(١) فى الاصل « لهم »

فى الاكل والحديث إلى ان رفعت المائدة وقام أبو جعفر وقمنا وشيلت المائدة واستدعانى إلى موضعه فغسلت يدى بحضرته فلما فرغت أردت أن أبتدئه بالخطاب فقال لى : قد آذيتك ياسيدى يا أبا عبد الله بتأخرك عن منزلك فامض إلى بيتك وما أخاطبك مما فى نفسى ولا فيما أردت مخاطبتك فيه بعد ما تفضلت به . فشكرته وقلت : إن رأى سيدنا أيده الله أن يتم معروفه الىّ بتسليم المؤامرة إلىّ فعل . فقال : هاتوها فما برحت إلا وهى فى خفى وانصرفت الى منزلى وقد سقط المال عنى ولزمته للسلام وصرت أتعمد مؤاكلته والتخصص به فسلمت عليه طول أيامه وسلم جاهى ومالى عليه الى أن مضى.

حدثنى محمد بن الفضل بن حميد الصيمرى مؤدبى قال : كان فى بلدنا عجوز صالحة كثيرة الصيام والقيام وكان لها ابن صيرفى منهمك على الشرب واللعب وكان يتشاغل بدكان أكثر نهاره ثم يعود عشيا إلى منزله فيخبى كيسه عند والدته ويمضى فيبيت فى مواضع يشرب فيها فعين بعض اللصوص على كيسه ليأخذه وتبعه فى بعض العشايا ودخل وراءه إلى الدار وهو لا يعلم فاختفى بها وسلم هو كيسه الى أمه وخرج وبقيت وحدها فى الدار وكان لها فى دارها بيت مؤزر بالساج الى أكثر حيطانه عليه باب حديد تجعل قماشها وكل ما تملكه فيه والكيس فخبأت الكيس فيه تلك الليلة خلف الباب وجلست وأفطرت بين يديه فقال اللص : هذه الساعة تفطر وتكسل وتنام وأنزل فافتح الباب وآخذ الكيس والقماش . قال : فلما أفطرت قامت الى الصلاة ففطن اللص أنها تصلى العتمة وتنام فانتظرها

وجدى بارد فضربت يدى إلى كتفه فأكلتها ثم قدم بعده ألوان وقدم جدى مبزّر فأخذت الكتف فأكلتها ثم جدى بماء وملح فجئت لآخذ الكتف فسبقتنى يد أبى عبد الله إليه فكففت يدى فقال لى : يا أبا الحسن أنت اليوم سابور ذو الاكتاف فاستحيت وخجلت وعلمت أنه ما قالها إلا من غيظ فقصرت وتوقيت بعد ذلك مؤاكلته(١). فقال أبى : ما كان فى حالى ويهتك جاهى . فلم أدر ما أعمل فشاورت بعض من يختص به فقال : طمعه فيك والله قوى وما ينفعك معه شئ غير المال . فقلت : فكر فى حيلة أو مخادعة . ففكر ثم قال : لا أعرف لك دواء إلا شيئا واحدا ان سمحت به نفسك وتركت العلوية عنك وفعلته نجوت . فقلت ماهو ؟ قال : هو رجل سمح على الطعام محب لآكله على مائدته موجب لحرمته وأرى لك إذا وضع طعامه أن تخرج إليه فانك معه فى الدار ولا يمنعك الموكلون من ذلك فتجئ بغير إذن فتجلس على المائدة وتأكل وتنبسط وتخاطبه فى أمرك عقيب الاكل وتسأله وترفق به وتخضع له فانه يسامحك بأكثرها ويقرب ما بينك وبينه . فشقّ ذلك علىّ ثم نظرت فاذا وزن المال أشق منه وكان أبو جعفر لا يأكل إلا بعد المغرب فى كل يوم مرة فلم آكل ذلك اليوم شيئا وراعيت مائدته فلما وضعت المائدة قمت فقال الموكل : الى أين ؟ قلت : إلى مائدة الوزير . فما قدر أن يمنعنى وجاء معى فلما رآنى أبو جعفر أكبر ذلك وتهلل وجهه وقال : إلى عندى ياسيدى إلى عندى . وأجلسنى الى جنبه وأقبلت آكل وأنبسط

---

(١) يظهر ان هذه حكاية ذهب صدرها ويوجد فى الفخرى ما يشبهها

أخبرني غير واحد من أصحابنا أن أبا محمد عبد الله بن عباس الرامهرمزي المتكلم أخبره قال : أردت الانصراف من عند أبي على الجبائي الى بلدي فجئته مودعاً فقال لي : يا أبا محمد لا تخرج اليوم فان المنجمين يقولون ان من سافر في مثله غرق فأقم إلى يوم كذا وكذا فإنه محمود عندهم . فقلت : أيها الشيخ مع ماتعتقده في قولهم كيف تجيء بهذا ؟ فقال : يا أبا محمد لو أخبرنا مخبر ونحن في طريق أن فيه سبعاً أليس كان يجب في الحكمة علينا ألا نسلك ذلك الطريق إذا قدرنا على سلوك غيره وإن كان ممن يجوز عليه الكذب ؟ قلت : نعم . قال : فهذا مثله وقد يجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادات بأن تكون الكواكب إذا نزلت هذه المواضع حدث كذا والأخذ بالحزم أولى . قال : فأخرت خروجي إلى اليوم الذي قاله .

حدثني أبو الحسين الازرق قال : حدثني أبوهاشم الخباز قال : كان أبوعلي من أحذق الناس بالنجوم فولد في جواره مولود فقال ابوه : إني أحب أن تأخذ طالعه . قال : وكان ليلاً فأخذ الاصطرلاب وعمل مولده وحكم له بأشياء صحت كلها بعد ذلك .

جرى الحديث يوماً بحضرة أبي في البخل والبخلاء واختصاص الملوك بذلك وكان أبو الحسن مطهر بن إسحق بن يوسف الاهوازي الشاهد حاضراً فقال : دخلت يوما الى ابي عبد الله البريدي وقد نصبت مائدته فاستدعاني إليها وكنت جائعا فأقبلت آكل منبسطا فقدم جدي مشوي حار فضربت يدي إلى كتفه فأكلتها ثم قدم بعده الوان أخر

وقال أبو معشر : هو شئ من الحيوان . فقال الموفق للآخر : أحسنت . وقال لأبى معشر : أخطأت . ورمى من يده تفاحة وأبو معشر قائم فتحير وعاود النظر فى الزائجة ساعة ثم عدا يسعى نحو التفاحة حتى أخذها فكسرها ثم قال : الله أكبر وقدمها إلى الموفق فاذا هى تنغش بالدود فهال الموفق مارآه من إصابته وأمر له بجائزة عظيمة[1] . وهذا بعيد دقيق ولكن مما قد شاهدته من بعض صحة أحكام النجوم كفاية . هذا أبى حوّل مولد نفسه السنة التى مات فيها فقال لنا : هى سنة قطع على مذهب المنجمين وكتب بذلك الى بغداد إلى أبى الحسن بن البهلول القاضى صهره ينعى نفسه اليه ويوصيه فلما اعتل أدنى علة وقبل أن تتحكم علته أخرج التحويل ونظر فيه طويلا وأنا حاضر فبكى وأطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التى مات عنها وأشهد فيها من يومه فجاءه أبو القاسم غلام زحل المنجم فأخذ يطيب نفسه ويورد عليه شكوكا فقال : يا أبا القاسم لست ممن يخفى هـذا عليه فأنسبك إلى غلط ولا أنا ممن يجوز عليه هـذا فتستغفلنى . وجلس فواقفه على الموضع الذى خافه ثم قال له أبى دعنى من هذا بيننا شك فى أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فإنه ساعة قطع عندهم ؟ فأمسك أبو القاسم واستحيا منه أن يقول نعم فامسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبى وبكى أبى طويلاً ثم قال يا غلام الطست فجاءه به فغسل التحويل وقطعه وودع أبا القاسم توديع مفارق فلما كان فى ذلك اليوم العصر بعينه مات كما قال .

---

(١) هذه الحكاية نقلها ياقوت الى معجم الأدباء ٥ : ٣٤٤

فقلت : فهل يطلق أم لا ؟ فنظرت أطلب شيئاً أزجره فرأيت السقاء قد صب الماء وهو يخرج من قربته فقلت إنكم تمضون وقد أطلق فهل أصبت ؟ فقال له ابو معشر : نعم وفرجت عنى ايضاً اعطوه الدنانير واصرفوه فأبى ان يأخذ فما تركه ابو معشر حتى اخذها وخرج فطرح نفسه كالمستريح من امر عظيم ووضع يده على فؤاده وقال فرج عنى .

حدثنى أبو أحمد عبد الله بن عمر بن الحرث الحارثى قال : حدثنى أبى قال : كنت أحد من يعمل فى خزائن السلاح فكنت قائماً بحضرة الموفق فى عسكره لقتال صاحب الزنج وبحضرته أبو معشر ومنجم آخر أسماه إلى وأنسيته أنا فقال لهما : خذا الطالع فى شئ أضمرته منذ البارحة أسألكما عنه وأمتحنكما به وأخرجا ضميرى. فأخذا الطالع وعملا الزائجة وقالا جميعاً : تسألنا عن حمل ليس لأنسى . فقال : هو كذلك فما هو ؟ قال : ففكرا طويلاً ثم قالا : عن حمل البقرة . قال : هو كذلك فما تلد ؟ قالا جميعاً ثور. قال : فما شيته ؟ فقال أبو معشر : أسود فى جبهته بياض . وقال الآخر : أسود وفى ذنبه بياض . قال الموفق: ترون ما أجسر هؤلاء أحضروا البقرة فأحضرت وهى مقرب فقال : اذبحوها فذبحت وشق بطنها وأخرج منها ثور صغير أسود أبيض طرف الذنب وقد التف ذنبه فصار على جبهته فتعجب الموفق ومن حضره من ذلك عجباً شديداً وأسنى جائزتهما .

قال : وحدثنى أبى قال : كنت أيضاً بحضرة الموفق فأحضر أبا معشر هذا وهذا المنجم فقال لهما : معى خبئ فما هو ؟ فقال أحدهما بعد أن أخذ الطالع وعمل الزائجة وفكر طويلاً وقال : هو شئ من الفاكهة .

له : أنظر فى نجمنا وأى شئ هو وفى أى شئ هو ذا نمضى . ففكر الزراق ساعة ثم قال : تمضون فى أمر محبوس . قال : فانتقع لون أبى معشر [1] ودهش وتلجلج لسانه : فقلت أنا له : فهل يطلق أم لا ؟ قال : تمضون وقد أطلق . فقال لى أبو معشر : انطلق بنا فهذا اتفاق ظريف وهوس . فسرنا وجئنا إلى صاحب الشرطة فسألناه فى أمر الرجل فقال : الساعة والله وردت عليّ رقعة فلان يسألنى فى أمره فأطلقته . فنهض أبو معشر مبادراً وقال : إن لم أعرف من أين أصاب الزراق فى حكمه ذهب عقلى وخرقت كتبي واعتقدت بطلان النجوم ارجع بنا إليه . قال : فرجعنا فوجدناه فى مكانه فى الطريق فقال له أبو معشر : قم بنا فأخذناه وحمله إلى داره وقال له : أتعرفنى ؟ قال : لا . قال : أنا أبو معشر . فقبل الزراق يده وقال : أستاذنا وقد سمعت باسمك. قال : دعنى من ذلك لك خمسة دنانير عيناً واصدقنى من أين حكمت لنا بما حكمت به . قال : أنا والله أصدقك ولا أجسر أن آخذمنك شيئاً وأنت أستاذ هذه الصناعة اعلم أنى لا أحسن من النجوم شيئاً وإنما أنا أزرق وأهذى على النساء وبين يدى هذا التخت والاصطرلاب والتقويم للخلق حيلة ولكن قد صحبت أهل البوادى فى وقت من الاوقات وتعلمت منهم الزجر والفأل والعيافة يعتقدون إذا سئلوا عن شئ أن ينظروا إلى أول ما تقع عليه عيونهم فيستخرجون منه معنى يجعلونه لما يسألون عنه وما يحكمون عنه . فلما سألتنى فى أى شئ نمضى تلجلجت فوقعت عينى على سقاء معه ماء محبوس فى قربته فقلت: محبوس.

(١) نسى المؤلف ان أبا معشر هو المتكلم

الحاير ليزور فاجتاز فى طريقه بموضع قريب من الأعراب وهم نزول فحط رحله ونزل وجلس يأكل هو وغلمانه فوقف به بعض أولئك الاعراب يستطعم . قال : فقلت له : اجلس حتى نأكل وندفع اليك نصيباً فجلس قريباً منا فاذا بغراب قد طار قريباً منه وصاح صياحاً متتابعاً فقام الاعرابى يرجمه ويقول : كذبت يا عدو الله كذبت يا عدو الله . قال : فقلنا له : ماالخبر ياأعرابى ؟ قال : فقال : يقول الغراب إنكم ستقتلوننى وأنتم تريدون أن تطعمونى فكذبته فى خبره . قال : فاستحمقناه وتممنا أكلنا وكان فى السفرة سكين بزماورد[1] عظيمة حادة أنسيناها فى السفرة فجمعنا السفرة بما فيها وقلنا للأعرابى : خذها وفرغ ما فيها واردد السفرة . فجمعها بما فيها وشالها فضرب بها ظهره بحمية من فرحه بتمكيننا إياه من جميع ما فيها فخرجت السكين بحدتها فدخلت بين كتفيه فخر صريعاً يصرخ : صدق الغراب لعنه الله مت ورب الكعبة . فخشينا أن يصير لنا مع الأعراب قصة فتركنا السفرة وقمنا مبادرين فاختلطنا بالقافلة حتى لا نعرف وتركناه يتشحط فى دمائه ولا نعلم هل عاش أو مات .

حدثنى أبو الحسين قال : حدثنا سليمان بن الحسن قال : قال لى أبومعشر المنجم وقد جرى حديث الزراقين : رأيت أعجب شئ وهو أن رجلا فى جوارى بسر من رأى اعتقل فأتانى أبوه وكان صديقاً لى فقال : تركب معى إلى صاحب الشرطة نسأله إطلاقه . فركبت فاجتزنا بزراق على الطريق فقلت هل لك فى أن نتلهى بهذا الزراق ؟ فقال افعل . فقلت

(١) اسم نوع من الطعام

ينعب على حائط دار ابى الحسين قاضى القضاة فقال للنفسين اللذين خلفه : إن هذا الغراب ليخبرنى بموت صاحب الدار . فقال له الآخر : أجل إنه ليموت بعد ثلاثة أيام . فقال الآخر : نعم ويدفن فى داره . فقلت : أسمعت ما قالوا ؟ قال : نعم هؤلاء أجهل قوم . وافترقنا فلما كان فى ليلة اليوم الرابع سحرا ارتفعت الصيحة بموت قاضى القضاة أبى الحسين فذكرت قول الأعرابى وعجبت وحضرنا جنازته ودفن فى داره . فقلت لابى طاهر رأيت أعجب من وقوع مقالة الاعرابى بعينها ايش هذا ؟ فقال : لا والله ما أدرى ولكن تعال حتى نسأل عنهم ونقصدهم ونستخبر منهم من أين لهم ذلك . فقال : كنا أياماً نسأل عنهم وعن حلتهم من البلد فلا نخبر إلى أن أخبرونا أنهم نزول حلة من بنى أسد بباب حرب فقصدناهم فقلنا : هل فيكم من يبصر الزجر ؟ فقالوا : أجل ثلاثة أخوة فى آخر الحى يعرفون ببنى القائف . ودلونا على أخبيتهم فجئنا فصادفنا أصحابنا بأعيانهم ولم يعرفونا فأخبرناهم بما سمعناه منهم وسألناهم عنه فقالوا: إنا وغيرنا نعرف نعيباً للغراب بعينه لا ينعبه فى موضع إلا مات ساكنه مجرباً على قديم السنين فى البوادى لا يخطئون ورأينا ذلك الغراب نعب ذلك النعب الذى نعرفه . فقلنا للآخر : كيف قلت إنه يموت بعد ثلاثة أيام ؟ قال : كان ينعب ثلاثاً متتابعات ثم يسكت ثم ينعب قلنا على هذا فحكمت بذلك . فقلت للآخر : وكيف قلت إنه يدفن فى داره ؟ قال : رأيت الغراب يحفر الحائط بمنقاره ورجليه ويحثو على نفسه التراب فقلت إنه في داره .

حدثنا ابو الحسين بن عياش قال : أخبرنى صديق لى أنه خرج إلى

فقال المنجم : ما تقول ؟ قال : هذا جهل . فبينا نحن كذلك إذ طار زنبور على رأس إسمعيل وغلام يذب عنه فضرب الزنبور فقتله فقام الأعرابى وقال : قتلت والله المزنر ووليت مكانه ولى حق البشارة . وجعل يرقص وإسمعيل يسكنه فنحن كذلك إذ وقعت الصيحة بخبر الولادة فقال : أنظروا ما المولود . فقالوا ذكر . فسر إسمعيل بذلك سروراً شديداً لأصابة العائف فى زجره وترجية الوزارة وهلاك صاعد ووهب للأعرابى شيئاً وصرفه فما مضى على هذا إلا دون شهر حتى استدعى الموفق إسمعيل وقلده الوزارة وسلم إليه صاعداً . وذكر حديث الاعرابى فطلبه فجاؤوا به فقال : خبرنى كيف قلت ماقلته ذلك اليوم وليس لك علم الغيب ولا هذا مما يخرج فى نجوم . فقال : نحن إنما نتفاءل ونزجر الطير ونعيف ما نراه فسألتنى أولا لأى شئ طلبت فتلاحت الدار فوقعت عينى على برادة عليها كيزان معلقة فى أعلاها . فقلت : حمل . فقلت لى : أصبت . ثم قلت لى : أذكر أم أنثى ؟ فتلمحت فرأيت فوق البرادة عصفوراً ذكراً فقلت : ذكر . ثم طار الزنبور عليك وهو مخصر والنصارى متخصرون بالزنانير والزنبور عدو أراد أن يلسعك وصاعد نصرانى الأصل وهو عدوك فزجرت أن الزنبور عدوك وأن الغلام لما قتله أنك ستقتله . قال : فوهب له شيئاً صالحاً ثم صرفه .

وحدثنا أبو الحسين قال : اجتزت أنا وأبو طاهر بن نصر القاضى بشارع القاضى نقصد دار قاضى القضاة أبى الحسين فى علته التى مات فيها لنعوده فاذا بثلاثة من الاعراب ركبان فشال أحدهم رأسه وقد سمع غراباً

عندك أنت مثل هذا يا أبا مشكاحل ؟ فتنكر المكتفى وتنمر وهم به فأومى إليه العباس بالامساك فأمسك وترك العقد ابن الجصاص بحضرة الخليفة وخرج . فقال المكتفى للعباس : بالله ويخفى عليك هذه الكنية يلقبنى بها العامة ؟ فقال : لا والله يامولانا ولكن هذا رجل رقيع عامى والعامة إذا افتخرت على إنسان قالت له مثل هذا وقد ربحت بهذه الكلمة العقد بلا ثمن فدعنى وابن الجصاص فان جاءك فأحله عليّ . فلما كان بعد أيام جاء ابن الجصاص فأذكر المكتفى بثمن العقد فقال له : الق العباس . فجاء إليه فطالبه بالمال فقال : ويحك تطالب بثمن العقد بعد ما لقيت الخليفة بسبة واجترأت عليه بما لا يجوز أن يجترأ بمثله على بعض غلمانه لا تتكلم بهذا فتولد لنفسك منه ما لا تحتاج إليه . فأمسك ابن الجصاص وذهب منه العقد والمال بالكلمة .

حدثنى أبوالحسين ابن عياش قال : أخبرنى من أثق به أن اسمعيل ابن بلبل لما قصده صاعد لزم داره وكان له حمل قد قرب وضعه فقال : أطلبوا لى منجماً يأخذ مولده . فأتى به فقال له بعض من حضر : وما تصنع أيدك الله بالنجوم ؟ ها هنا أعرابى عارف[1] ليس فى الدنيا أحذق منه فقال : يحضر . فأسماه الرجل فطلب وجاء فلما دخل قال له إسمعيل : تدرى لأى شئ طلبناك ؟ قال : نعم . قال : ما هو ؟ فأدار عينه فى الدار فقال : لتسألنى عن حمل . وقد كان إسمعيل أوصى ألا يعرف فتعجب من ذلك فقال له : فأى شئ هو أذكر أم أنثى ؟ فأدار عينه فى الدار فقال : ذكر .

(١) لعله : عائف

لنا شئ إلا على يديه وكان مشغوفاً به فكسب فيه الاموال وحصل يأكل معه ويشاربه إذا أراد الشرب فينام ندماؤه كلهـم غيره فولد له ذلك أنساً تاماً فـكان يخرج إليه على النبيذ بأسراره ويحادثه ويأنس به ويرد إليـه أمر داره والاشراف على جميع نفقاته وحاله تقوى وتتزايد حتى عرض له تزويج ابنته بالمعتضد فأنفذه فى الرسالة حتى عقد الإملاك ثم أجرى أمر الجهاز على يده فجرف الأموال بغير حساب .

قال : فأخبرنى بعض أصحابه أنه لحق بعض الفرش الذى كان فى جهاز قطر الندى ابنـة خمـارويه مطر فيما بين دمشق والرملة فنزلهـا ابن الجصاص وكتب إليه يعرفه الخبر ويستأذنه فى تطرية ذلك فأذن له فيه فأقام شهرين بهذا السبب وطرى الفرش فاحتسب فى النفقة ثلاثين الف دينار .

قال : ولما حصلت قطر الندى ببغداد أضاق خمارويه إضاقة شديدة لأنه افتقر بما حمله معها وخرج من جميع نعمته حتى طلب شمعة فاحتبست عليه ساعة إلى أن احتيلت فقال : لعن الله ابن الجصاص افقرنى فى السر .

قال : ومن عجيب أخبار ابن الجصاص انه طلب منه المـكتفى عقدا حسناً من فاخر الجوهر يبتاعه منه فقال : كم تبلغ يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثلاثين ألف دينار . قال : لاتصيب كما تريد ولـكن عندى عقد فيه ستون حبة ولا أبيعك إياه بأقل من ستين ألف دينار فان بلغت حملتـه . فقال : افعل . فحمله اليـه والعباس بن الحسين قائم بين يديه فعرضه عليـه فهال المـكتفى امره وحسنه وقال : ما رأيت مثل هذا قط . فقال : ومن اين

التجار ولم ازل اشترى ما قدرت عليه إلى ان حصلت مأة حبة أشكال فى النوع الذى ارادته وجئت بها عشياً فقلت : إن خرط هـذا يحتاج إلى زمان وإنظار وقد خرطنا اليوم ماقدرنا عليه وهو هذا (ودفعت إليهم المجتمع) والباقى نخرط فى أيام. فقنعت بذلك وارتضت الحب وخرجت فما زلت أياماً فى طلب الباقى حتى اجتمع فحملت إليهم مائتى حبة قامت عليّ بأثمان قريبة تكون دون مأة الف درهم أو حواليها وحصلت جوهراً بمائتى ألف دينار ثم لزمت دهليزهم وأخذت لنفسى غرفة كانت فيه فجعلتها مسكنى . قال : فلحقنى من هذا أكثر مما يحصى حتى كثرت النعمة وانتهت إلى ما استفاض خبره .

حدثنى أبو الحسين بن عياش قال : سمعت مشايخنا يقولون ان أصل اختصاص ابن الجصاص بأبى الجيش ابن طولون أن أبا الجيش كان يشرب إذا قعد للشرب أربعين رطلاً من نبيـذ مصر المعروف بالشيروى قال : ومن يشرب منه رطلا يقدر أن يشرب من غيره أرطالاً . وكان لا يصبر معه أحد من ندمائه ويسكرون قبله فيصعب ذلك عليه ويبقى وحده فكان يتطلب المجيـدين للشرب فوصف له ابن الجصاص وهو إذ ذاك يتجر فى الجوهر فاستدعاه فأدخل إليه فخين مثل بين يديه قبل الأرض ولم يكن الناس يعرفون ذلك فاستطرف خمارويه حسن أدبه . قال : أبو من ؟ قال : عبـد الأمير الحسين . فقال هذه اثنتين . فواكله وشاربه قدحاً وقدحاً حتى سكر خمارويه ثم شرب بعده رطلا فبلغ ذلك خمارويه من غد فأدخله وأجازه إجازة عظيمة وقال : ما صناعتك ؟ قال : الجوهر . قال : لا يبتاع

ورجاء سيف الدولة الشرف الذى يتقاصر التفصيل عن تفصيله
ضمنت تأميلى نداه فرده جذلان من سفر الظنون بسوله
وأفقت حين بلغت ورد نواله عن ورد ممتنع النوال بخيله
فالغيث يغبطنى على إنعامه والدهر يحسدنى على تأميله

وعلمى بأن أقرب مؤمليه أيده الله إليه . وأوجبهم حرمة عليه . أشدهم استزادة لنعمه . وأكثرهم تسحباً على كرمه . بعثنى على التقرب إلى قلبه بالسؤال . ومناجاة كرمه بلسان الآمال .

إن تعلم الايام موضع عبده من عزه ومكانه من رائه
بشواهد الخلع التى يغدو بها متطاولاً شرفاً على نظرائه
فمن العجائب حبس توقيع له وموقع التوقيع من شفعائه

فعل إن شاء الله تعالى .

حدثنى أبو الحسين أحمد بن محمد بن جعلان قال : حدثنى أبو على أحمد بن الحسين بن عبد الله الجوهرى بن الجصاص قال : قال لى أبى : كان بدء إكثارى أننى كنت فى دهليز حرم أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وكنت اتوكل له ولهم فى ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاج إليه وما كنت اكاد افارق الدهليز لاختصاصى بهم فخرجت إلىّ قهرمانة لهم فى بعض الأيام ومعها عقد جوهر فيه مائتا حبة لم أر قبله احسن منه ولا افخر تساوى كل حبة الف دينار عندى فقالت : نحتاج ان تخرط هذه حتى تصغر فتجعل لأربع عشرات اللعب . فكدت ان اطير واخذتها وقلت : السمع والطاعة وخرجت فى الحال مسروراً وانا على وجهى فجمعت

يا عتبة بن عبيد حوشيت من كل عيب (لبيك يا مختصر وأنت حوشيت من السوء)

وأبعد الله قوماً رموك عندى بعيب
قالوا بأنك تهوى زبيبة بن شعيب (كذبوا)
فقلت هذا محال أصبوة بعد شيب
(أحسن الله جزاءك وقلت ما يشبهك وربما كانت)
لقد هتفتم بشيخ نقى ذيل وجيب (بئس مافعلوا والحمد لله على ذلك)

حدثنى أبو الفرج الببغاء قال: تأخر عنى رسم من الكسوة على الامير سيف الدولة وكان آثر الاشياء عنده وأنفقها عليه وأحبها إليه أن يسأل فيعطى وان يستزاد فيزيد وأن يطالب ويناظر حتى كان دائماً يعزل للانسان شيئاً يريد هبته له خلف ظهره ويقول أريد أعطى فلاناً هذا فيخرج من يحضر فيحدث[1] للرجل فيحضر ولا يعطيه فيقول له الرجل ايش وراء مسورة مولانا؟ فيقول وايش فضولك؟ فيقول هذا والله لى عزله مولانا. فيقول لا. فيقول بلى. ويأخذه ويجاذبه عليه فاذا فعل ذلك أعطاه وزاده شيئاً آخر يلتذ هذا. قال فكتبت إليه أستحثه على رسمى فى الكسوة:

الرضا بالمأمول أطال الله بقاء سيدنا الامير سيف الدولة دليل على همة الآمل. ومحل المسئول فى نفسه مترجم عن نفاسة نفس السائل. إذ كان الناس من التخلق بالكرم. والتفاضل بالهمم فى منازل غير متقاربة. ومراتب غير متناسبة. وشرف أدبه. فى شرف طلبه.

(١) لعله: فيخلو

ودب صبغ اللهيب فيه بتضـ ... ريج كصبغ الشقائق الضرج
ظننت شمس الضحى به انكسفت ... للخلق فى قبة من السبج

وأنشدنى لنفسه فى صفة شمعة :

وصفر كأطراف العوالى قدودها ... قيام على أعلى كراس من الصفر
تلبس من شمس الأصيل غلائلا ... فأشرقن فى الظلماء بالخلع الصفر
عرائس يجلوها الدجى لمآتها ... وتحيا إذا أذرت دموعا من التبر
إذا ضربت أعناقها فى رضى الدجى ... أعارته من أنوارها خلع الفجر
تبكى على أحشائها بجسومها ... فأدمعها أجسامها أبداً تجرى
علاها ضياء عامل فى حياتها ... كما تعمل الأيام فى قصر العمر

أنشدنى غير واحد قالوا أنشدنا سرى بن أحمد الرفاء لنفسه :

وذى غنج يرنو بمقلة جؤذر ... متى يعد فيه خالع العذر يعذر
له فوق ورد الخد خال كأنه ... إذا احمر ورد الخد نقطة عنبر

أخبرنى جماعة من أهل عصرنا من المتأدبين ببغداد أن أبا الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى دخل إلى قاضى القضاة أبى السائب عتبة بن عبيد الله وهو جالس للحكم فكتب رقعة كالقصص ودفعها إليه وقد كان مدحه فتأخرت صلته عنه فلما قرأها أبو السائب لم يبن فى وجهه غضب ولا تكبر ووقع فيها شيئاً بخطه وقال أين رافع هذه القصة ؟ فقام ابن سكرة فدفعها إليه فأخذها مقدراً أن فيها ما يستكف لسانه عنه من صلة أو بر فلما قرأها استحيا وانصرف فقرئت الرقعة فاذ الابتداء بخط ابن سكرة شعر والجواب بخط أبى السائب نثر كما نسخناها هاهنا :

على شعر فى عارضيه كأنما زرعن المها اجفانها فيه والسقما
كأن الليالى قد عددن سنينه فصيرن فى خديه داراتها رقما

وأنشدنى لنفسه يصف مجدورا :

قد رق غصن من فوق دعص نقا لم أصغ فى حبه إلى لاح
له لحاظ مرضى بلا سقم سكرى من الغنج تسكر الصاحى
جدر فاعتاض من تورده بصفرة فى ملثم ضاح
كأنه فوق خده حبب يلعب بعد المزاج فى الراح

وأنشدنى لنفسه فى كانون :

كأن تأجج كانوننا تكاثف نور من العصفر
وأحدث إخماده زرقة تأجج فى مدمج أحمر
كبركة خمر بحافاتها بقايا تفتح لينوفر

وأنشدنى لنفسه فى كانون :

أنظر إلى كانوننا يضحك من غير فرح
لحمرة من شفق دبجها قوس قزح

وحدثنى أبو الفرج الببغاء قال كنت بحضرة أبى العشائر ابن حمدان وبين يديه كانون قدعمل النار فيه فى باطن فحمة فعملت فى الحال وأنشدته:

ومجلس حل من يحل به من المعالى فى أرفع الدرج
أمسى فدام الكانون فيه لنا أكثر أنس النفوس والمهج
يبدى لنا ألسنا كألسنة الـــحيات من ثابت ومختلج
لما بدا الفحم فيه اسود كالــليل وبث الشرار كالسرج

أسمت فتاة العير حمـل العلا وقد ... نهيت من الاشفاق عن حملك القبا
ومشيتهـا تحت الشريعـة والقضا ... ولو سمت رضوى حمل ذين قضى نحبا
فيا عجباً ان لم يسخ رسغهـا القضا ... وما هد ثقل الدين من متنها الصلبا
ومن ذا يطيق الطود حلما اذا رسى ... ومن يحمـل البحر الخضم إذا عبا
نزلت ببدر منك لم يخف نوره ... وغيث حيا أحيـا بسـقطته التربا
وقمت سليم الجسم يدعولك الثرى ... ويلثم منك الرجل والنعل والركبا
نهى بك المحراب والآى والتقى ... ودستك والأقلام والحـكم والـكتبا

أنشدنى أبو القاسم عبيد الله بن محمـد الصرورى لنفسه يصف زراقة النفط :

وصفراء فى فيهـا لعاب كاونها ... إذا قذفتـه لاعب الريح واستنـا
يجلله من بطنهـا فى خروجه ... رداء دجى حتى يصير له حصنـا
لهـا ذنب فى رأسـه ذنب له ... إذا جر منها رد فى جوفها طعنـا
يمج بروقا بين ليلين من حشـا ... إلى فم أفعى ما ترى بينه سنـا
تخوض الوغى عريانة لتخيفه ... ولو سئلت لم تعرف الخوف والأمنا

أنشدنى لنفسه :

وناولنى فى أسفل الـكأس فضلة ... مزعفرة صفراء والـكاس أبيض
كنرجسة فى الروض ترنو بمقلة ... مذهبة والجفن منهـا مفضض

وأنشدنى لنفسه فى صفة إبريق وساق :

ولاح لنا الابريق من كف شادن ... له وجنة من لحظنـا أبداً تدما
كملحوظة مدت يدا دون وجهها ... وأخرى بها ردت على رأسها الكما

إقبال . وأجل حال . بعد أن أجفل العدو خذله الله مستطيلا مدة إقامته . وشاكا فى إحراز سلامته . متوهماً أن الخيول تطلبه . والرماح تتعقبه . ولا يتعرج على ضعفاء ساقته . ولا يلوى على أخص من فى جملته . وتقدمنا بمكاتبة أوليائنا وكافة رعيتنا بذكر ما هيأه الله عز وجل لنا من تظاهر النعم . وتواتر القسم . وليشهروا ذلك على منابر الصلوات . ويعلنوه بالرسائل والمكاتبات . إذ كان ما يتوجه بالله سبحانه من تتابع المنح وتواصل العوارف عائداً على الملة . ومساوياً بالنفع للأمة . فالحمد لله الذى اختصنا من اختياره . وأفردنا بايثاره . بما رآنا له أهلاً لخلافة نبيه صلى الله عليه وسلم من حراسة أمته . واعزاز كلمته . وإليه نرغب فى توفيقنا للاعتراف بعوارفه . لما يكون به النعم محروسة والموهبة محفوظة لا ينقصها كفران . ولا يرتجعها عدوان . إن شاء الله تعالى .

حدثنى أبى قال : حدثنى المعوج قال : كبا الفرس ببدر الحمامى وافتصد فدخلت إليه فأنشدته أبياتاً عملتها فى الحال :

لا ذنب للطرف ان زلت قوائمه ... وليس يلحقه من عائب دنس
حملت بأساً وجوداً فوقه وندى ... وليس يقوى بهذا كله الفرس
قالوا افتصدت فما نفس العلا معها ... خوفا عليك ولا نفس لها نفس
كف الطبيب دعا كفا[1] يقبلها ... ويطلب الرزق منها حين يحتبس

فأمر لى بخمسة آلاف درهم فأخذتها وانصرفت وكنت سقطت من بغلة فعمل أبو القاسم عبيد الله قصيدة أنشدنيها منها

---

(١) لعله دعى

إلى أن حل بفنائنا . ملقيا مقاليد امره إلى الاستسلام . وآخذا من وفائنا بأوكد ذمام . وافتتحنا الفداء يوم السبت غرة رجب الذى هو غرة الأشهر الحرم وقد عرف الله تعالى المسلمين ما استودعناه من صالح الاعمال . وزكى الأفعال . تعجل البركات . وتناصر الخيرات . فاستمر بأكمل هدى . وأنجح سعى . وابسط قدرة واعم بصيرة واعز سلطان . واوضح برهان. وكلمة الله هى العليا. وكلمة الذين كفروا السفلى . والله عزيز حكيم ولم تزل الحال فى ذلك جارية على أحكم نظام . واحسن التئام . إلى أن استنقذ الله بنا من كاد تطاول الأسر يستغويه. والاياس من الخلاص أن يرديه . وهم على أفضل ما عهدناهم عليه من حسن اليقين . والتمسك بعصم الدين . وسارعنا من فاديناه من البطارقة المذكورين . والزراورة المشهورين بأجسام ظاعنة . وقلوب قاطنة . تتلفت الى ما خلفته من غامر تفضلنا . وألفته من ألطاف تطولنا . فهم بعد الفداء موثوقون فى أسر الاحسان . ومع الخلاص مقرنون برق التطول والامتنان . ولما أحضرونا من أسروه من الأعمال النازحة . والبلدان الشاسعة . لم نستخر ادخار الأموال عن خلاصهم ولا الشح بها عن تعجيل فكاكهم فابتعناهم من الأثمان بأعظمها . ومن الأموال بأجسمها . ولم نطع فى ادخار الذهب والفضة المقرون بمخاوف الوعيد . وفظيع التهديد . أمر الشك فى ربح الصفقة بمتاجرة الله تعالى واثقين بعاجل الخلف وآجل الجزاء وذلك الفوز العظيم . وتداركنا من عمارة أحوالهم ما كان مختلا بمعاناة الفقر . ومتهافتاً بتطاول الأسر . وانقلبنا قافلين بأسعد منقلب . وأربح مكتسب . وأتم

أيديهم من الموحدين . ومن فى رقهم من المسلمين . أفضل كاسب لعاجل الشكر . وأوفى ضامن لآجل الأجر . فأنفذنا الى سائر الأقطار . وبثثنا الأصحاب فى جميع الأمصار . لاحصاء السبي وانتزاعه . والتوفر على جمعه وابتياعه . من خالص ملكنا وخاص مالنا من غير مسامحة لأحد من أهل زماننا فى معاونتنا بغير الثياب[1] التى شركناهم بها فى نيل الحمد وكسب المثوبة وأضفناهم الى من ملكناهم بحكم الرماح . وأحرزناه بقهر الخيل والصفاح . من أكابر البطارقة وأنجاب الزراورة ووجوه الأعلاج وأنجاد الأنجاس ولم يزل من سلف قبلنا من الملوك وتقدمنا من السلاطين فى عقد الهدن واقامة الأفدية يرغب الى سائر نظرائه وذوى البيعة من أتباعه والمكنة من رعيته فى معاونته بالأحوال . ومعاضدته ببذل الأموال . وأبى الله لنا إلا التفرد بأجر ذلك وشكره . وحميد أثره وجميل ذكره . وفدينا[2] أكابر الغلمان وثقات الخدم لتسييرهم بأعم رأفة وأتم رفق حسب ما أمرنا به من ترفيه السبي ومراعاة الأسرى إلى أن عبرنا بجميعهم من الفرات بحيث سألنا صاحبهم الانجذاب اليه . ورغب إلينا فى النزول عليه . تأنساً بمجاورة الدروب المستصعبة . وحذراً من مفارقة الجبال المستعصمة . فلما اقتضى قربنا سرعة المسير . وتنجز دنونا إمضاء الأمر بعد التقرير . أقدم مرتاباً بإقدامه . وسار متهماً عواقب رأيه واعتزامه . بجموع يفرق الجزع آراءها . وقلوب يشتت الخوف أهواءها . وافكار مكدودة بالوجل . ومنن مستعبدة لأوامر الفشل . يحسبون كل صيحة عليهم « هم العدو فاحذرهم »

(١) كذا بالاصل والمعنى غير واضح (٢) لعله وندبنا

باحراز فضله . بعد ان استراحت فيـه النيات الى الغفلة ومطاوعة الشح ومساكنة الراحة ويظنون بالله الظنون فالحمد لله حمداً نستديم بالاخلاص فيه مد عوارفه وأياديه وصلى الله على سيدنا محمد وآله ولما كانت منح الله تعالى لدينا . ونعمه المتظاهرة علينا . أعظم من ان تطاول بثناء . وأجل من ان تقابل بجزاء . رأينا الاعتراف بما احرزناه من سالفها . والاشارة بما قابلناه من مستأنفها . أقدر على استزادتها . وأولى بحراستها . ولم نزل ولله المنة منذ عرفنا ما ندبنا اليـه . وتأملنا ما حضضنا عليه . من الخفوف لجهاد والتعبد لقتال المخالفين . بين رأى يتضمن التوفيق عواقبه . وعزم يصرع الاقبال مغالبه . وفتح يجمع الاسلام اثره . وبلاء تتداول الأيام خبره . ولا ننصرف عن عزم الا الى يقين . ولا نتشاغل بنظر إلا الى تدبير . ولا نعتد بالمال إلا ما أنفقناه . ولا نسر بذخر إلا ما انفدناه . فيما حرس الأمة . وحصن الملة . وبث العدل . وجمع الشمل . الى أن استعبدنا ملوكهم بالأسر . وحبسنا ذرياتهم بكتائب النصر . وأوحشنا المراتب من اربابها . وأسفرت لنا الحصون عن اصحابها . وجمعنا ملكهم بصهره وابن أخته قهرا . وأثكلنا اخاه مراغمة وصغرا . فلما أدلنا الحق من الضلال . وأعاده الله تعالى بنا من العز الى اشرف حال . عدلت السيوف عن دمائهم الى أغمادها . واستبدلت اصدارها بايرادها . ونصلت الرماح أسنتها . وطاوعت الخيل أعنتها . واستماحتنا الأعداء الى الموادعة . ورغبت الينا بالتضرع فى المساءلة . واستفتحوا ذلك بطلب الفداء الذى لا يسعنا الامتناع منه . ولا نجد تأولاً فى الاضراب عنه . فرأينا بعد الاثخان فى الارض فك من فى

إلى قراءته .

حدثنى أبو الحسن قال : سمعت أبا محمد السليمانى الهاشمى المعروف بعباد وقد جرى ذكر البربهارى بحضرته فقال : وقف يوما للقاهر فقال يا أمير المؤمنين أهلكِ الهاشميين . فقال القاهر : افعل وانما أراد أن يذكره بهم ويقول أهلكَ . ورأى عينا هائجة فقال لو استعمل لها الخضرط عوفيت . فقيل له : ليس هو الخضرط فقال : نعم غلطت هو الخضخض . فسكتوا عنه وانما أراد الحضرم .

حدثنى أبو الفرج الببغاء قال : لما أقام سيف الدولة الفداء بشاطئ الفرات فى رجب سنة خمس وخمسين وثلثمائة لزمه عليه خمسمائة ألف دينار فى شراء الاسارى والاموال التى وصلهم ورم بها أحوالهم وأخرج جميع ذلك من ماله صبراً واحتساباً وطلباً للثواب والذكر غير أن يعاونه أحد من الملوك عليه ولا غيرهم وكان ذلك خاتم أعماله الحسنة وأفعاله الشريفة التى تجاوز الوصف وتفوق العد فلما فرغ من ذلك تقدم الى كل من بحضرته فى الوقت من أهل الكتابة أن ينشئ كل واحد منهم نسخة كتاب ليكتب عنه الى من فى البلدان من الجيش والرعية بخبر تمام الفداء ووصف الحال فيه فكتبت عنه فى ذلك : كتابنا تولاكم الله بكفايته وحرسنا فيكم بناظر رعايته من معسكرنا المعروفة[1] بالمعقلة من شاطئ الفرات بعد امضائنا أمر الفداء الذى اختصنا الله به بشرف ذكره . وانتخبنا للنهوض بمعظم أمره . وولينا بالمعونة فى تحمل ثقله . ووفقنا للفوز

(١) كذا بالاصل

بينهما ولعبا فتوالى اللعب على جحظة من الرجل بأن تجئ الفصوص على ما يريد الرجل من الاعداد فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش إلى السماء وقال كأنه يخاطب الله تعالى: لعمرى إنى أستحق هذا إنى أشبع من أجعته.

وحدثنى قال: سمعت بعض شيوخنا يحكون أن رجلا مؤذنا عادى محتسباً فأحضره فقال له: أي شئ بينكما (١) مما يوجب استدعاءك لى؟ قال: أريد أن تعرفنى وقت الصلاة فان كنت عالما بها وإلا لم أدعك تؤذن مع الناس بالصلاة فى غير وقتها. فوجده غير قيم بذلك فمنعه الأذان

وحدثنى قال: حدثنى جماعة عن أبى بكر بن دريد أنه قال: كان أبو عثمان الأشنانداني معلمى وكان عمى الحسين بن دريد يتولى تربيتى فاذا أراد الأكل أستدعى أبا عثمان يأكل معه فدخل عمى يوما وأبو عثمان المعلم يروينى قصيدة الحرث بن حلزة التى أولها:

آذنتنا ببينها أسماء

فقال لى عمى: إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا. ثم دعا بالمعلم ليأكل معه فدخل إليه فأكلا وقعدا بعد الأكل ساعة فالى أن خرج المعلم حفظت ديوان الحرث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره عليّ فوجدنى قد حفظته فدخل إلى عمى فأخبره فأعطانى ما كان وعدنى. قال: وكان أبو بكر واسع الحفظ جدًّا ما رأيت أحفظ منه كان يقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى حفظها فيحفظها وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق

(١) لعله بيننا

ضاق صدرى وأريد أبعد عنهم . فقال له : مثل ماذا ؟ قال : يرونني أفعل أشياء ولا يسألونني عنها ولا يستكشفونها فيعلمون[1] أنها ليست كما وقع لهم ويخرجون ويقولون الحلاج مجاب الدعوة وله معونات قد تمت على يده والطاف ومن أنا حتى يكون لى هذا ؟ يحسبك أن رجلا حمل الىّ منذ أيام دراهم وقال لى اصرفها الى الفقراء . فلم يكن فى الحال أحد فجعلتها تحت بارية من بوارى الجامع إلى جنب أسطوانة عرفتها وجلست طويلا فلم يجئنى أحد فانصرفت إلى منزلى وبت ليلتى فلما كان من غد جئت الى الأسطوانة وجلست أصلى فاحتف بى قوم من الصوفية فقطعت الصلاة وشلت البارية وأعطيتهم تلك الدراهم فشيعوا علىّ بأن قالوا إنى إذا ضربت يدى إلى التراب صار فى يدى دراهم . قال : وأخذ يعدد مثل هذا أشياء فقام خالى عنه وودعه ولم يعد اليه . وقال : هذا منمس وسيكون له بعد هذا شأن . فما مضى إلا قليل حتى خرج من البصرة وظهر أمره وتلك الأخبار عنه .

حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخى قال : حدثنى أبو على بن الأعرابى الشاعر قال : كنت فى دعوة جحظة فأكلنا وجلسنا نشرب وهو يغنى إذ دخل رجل فقدم إليه جحظة زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل وكان بخيلا على الطعام . قال : وكأن الرجل كان طاوى سبع فأتى على الزلة وشال الطيفورية فارغة وجحظة يرمقه بغيظ ونحن نلمح جحظة ونضحك فلما فرغ قال له جحظة : تلعب بالنرد ؟ فقال : نعم . فوضعناها

(١) لعله فيعلموا

الساعة صرت أبو على . فاسترحت وطلبت مقراضاً وكان لى سبال كما يكون للجند فقصصته فضجت من ذلك وقالت : ما هذا ؟ فقلت : بعد هذا لا أخدم غير ربى . فصار هذا سبب عبادتى. قال : وخبره مستفيض ومنزلته مشهورة وصارت هذه الكلمة عادته لا يقول فى حشو كلامه وأكثر أوقاته غيرها ياقديم الاحسان . قال: وكان يقال انه مجاب الدعوة وكان الناس يقولون انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فمسح يده عليه فسألته عن ذلك فحدثنى بهذا الحديث وقال : ما كان سبب عافيتى غيره . قال : فقال لى : كان لي قراح على شاطىء دجلة بالمدائن وكان فيه تلال وأشياء ينبغى أن تستخرج ويطم بها مواضع فيه فتحتاج الى رجال كثيرة فكنت ليلة فيه وكانت قراء فعرفونى فقلت لهم : فهل لكم أن تكسحوا هذا القراح الليلة وتسووا تلوله بالارض وتأخذوا منى كذا وكذا ؟ فقالوا نعم أتحفنا بالأجرة . فعملوا ذلك فأصبحنا وقد صار أرضاً مستوية فقالت العامة : الملائكة أصلحوه . وكذبوا ما كان غير هذا .

حدثنى أبو الحسن محمد بن عبيد القاضى قال : حملنى معه الحسين بن منصور الحلاج وهو إذ ذاك فى جامع البصرة ويتعبد ويتصوف ويقرىء قبل أن يدعى تلك الجهالات ويدخل فى ذلك وكان أمره إذ ذاك مستوراً إلا أن الصوفية تدعى له المعجزات من طرائق التصوف وما يسمونه معونات لا من طرائق المذاهب . قال : فأخذ خالى يحادثه وأنا صبى جالس معهم أسمع ما يجرى فقال لخالى : قد عملت على الخروج من البصرة . فقال له خالى : لم ؟ قال : قد صير لى أهل هذا البلد حديثاً فقد

وقد علم الله انى لا أتزوجها الا لصيانتها لا لغير ذلك فأقمت معها مدة ثم انى رأيت يوماً حية وهى داخلة الى جحرها فانثنت علىّ فنهشت يدى فشلت قال ثم شلت الاخرى بعد مدة ثم زمنت رجلاى واحدة بعد أخرى ثم عميت ثم خرست فمكثت على هذه الحال سنة لم يبق فيّ جارحة صحيحة إلا سمعى أسمع به ما أكره وكنت طريحا على ظهرى لا أقدر على إشارة ولا إيماء فأسقى وأنا ريان وأترك وأنا عطشان وأطعم وأنا ممتلئ وأفقد الطعام وأنا جائع لا أدفع عن نفسى ولا أقدر على إيماء بما يفهم مرادى سنة فدخلت امرأة بعد سنة الى زوجتى فسألتها عنى فقالت : كيف لبيب ؟ فقالت لها وأنا أسمع : لا حى فيرجى ولا ميت فينسى . فغمنى ذلك وبكيت وضججت الى الله تعالى بسرى وكنت فى جميع ذلك الحال لا أجد ألما فى شئ من جسمى . فلما كان فى ذلك اليوم ضرب بدنى كله ضربا شديدا لا أحسن أصفه وألمت ألماً مفرطاً فلما كان فى الليل سكن الالم فنمت وانتبهت ويدى على صدرى فعجبت من ذلك وكيف صارت يدى على صدرى ولم أزل مفكراً فى ذلك ثم قلت : لعل الله قد وهب عافيتى فحركتها فاذا هى قد تحركت ففرحت وطمعت فى العافية وقلت : لعل الله أذن بخلاصى . فقبضت إحدى رجلى إليّ فانقبضت وبسطتها فانبسطت وفعلت بالأخرى كذلك فتحركت فقمت قائما لاقلبة بى ونزلت عن السرير الذى كنت مطروحا عليه فخرجت الى الدار ورفعت طرفى فرأيت الكواكب وإذا أنا قد أبصرت ثم انطلق لسانى فقلت : يا قديم الاحسان باحسانك القديم . ثم صحت بزوجتى فقالت : أبو على ؟ فقلت :

الجامع خمسة عشر يوما من رمضان الى أن راح المال وأنا أؤاكله هكذا فلما افترقنا انعلّ بعد العيد بايام مات فيها فقلت : انا لله ليت لا يكون ما عملته معه سببا لموته غما .

حدثنى أبو الحسن احمد بن يوسف الازرق قال : حدثنى أبو القاسم على بن الاخزر المشهور بعلم النحو وكان نبيلا جليلا مرتفعا عن الكذب فى نفسى : قال حججت فدخلت الى طاهر بن يحيي العلوى أسلم عليه فجاءه رجل فقبل رأسه ويديه وأخذ يعتذر اليه . فقال : لا تعتذر قد زال ما فى نفسى وقبلت عذرك فان شئت اخبرتك قصدك اياى وسبب عذرى لك من قبل أن تخبرنى . فتعجب الرجل وقال : افعل ياسيدى . قال انك رأيت رسول الله صلى الله عليه فى منامك معاتبك على قطع عادتك عنى اذا دخلت المدينة حاجا وانك طويتنى عدة حجج دخلت فيها الى المدينة ولم تجئنى فقلت له ان الحياء منعك من قصدى وانك لا تأمن الا أبسط عذرك . فقال لك : انى آمر طاهر بن يحيي بيسط عذرك فلا تخف ولدى وصله . فجئت الىّ . فقال الرجل كذا والله كان فمن أين لك ياسيدى هذا ؟ : قال : أتانى رسول الله صلى الله عليه فى النوم وأخبرني بما جرى بينكما على الشرح .

حدثنى ابو الحسن ايضاً قال[1] : كان فى باب الشام رجل يقال له لبيب العابد زاهد ناسك صالح فأخبرني قال : كنت مملوكا روميا فمات مولاى فعتقنى فحصلت لنفسى رزقا برسم الرجالة وتزوجت بستى زوجة مولاى

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ٢ : ١٤

مكاشفة فكتبت الى الوزير احرضه عليه وكتب يتشكانى فوردت الكتب الى شاكر الاسحاق وهو أمير الكوفة ان يجمع بيننا فى المسجد ولا نبرح ولا ننفصل أو يرضينى فركبت وجئت الى باب اسحق [1] ولم أدخل وعرفته ماورد وأننى متوجه الى الجامع فركب ولحقنى وقال: ورد علىّ مثل هذا . فقلت : تحضر أسدا . فركب اليه فأحضره فحين اجتمعنا تجارحنا فى الكلام الى أن قلت له : أتظن أنى لا أعرف اباك وأنه كان راجلا على باب ديوان الضياع يرزق دينارين فى الشهر ؟ قال : وكان اجتماعنا فى أول يوم من شهر رمضان فلم ينته الكلام الى فصل وجاءت المغرب فقام شاكر ليركب وأسد معه فجلست أنا فقالا : لم تجلس ؟ فقلت : أنا لا اخالف أمر الوزير ولا ابرح الا بفصل أو بالمال . فقال شاكر لأسد اجلس معه ولا تبرح . وقال لى : لولا ان قعودى معكما مالا فائدة لكما فيه ويضرنى لقعدت . واعتذر الىّ فعذرته وانصرف وقمت أنا الى موضع من الجامع يقال له قبة خالد فجلست عنده أصلى وجلس أسد مكانه وأنفذ الى داره يستدعى الافطار وأنفذت الى دارى فجاء طعامه وطعامى معا فقام الىّ وسألنى أن أجعل افطارى معه وبسطت سفرته و أصلحت مائدته وأقبل أسد يسألنى المجىء اليه وأنا أمتنع الى أن حلف وكنت أعرف بخله فقلت لغلمانى : اخرجوا طعامنا تصدقوا به على من حوالى الجامع . ففعلوا وجئت فأكلت معه منبسطا أكل صائم ولونه يتغير ولا يقدر على النطق فتقطعت نفسه ولم نزل متلازمين فى

(١) يريد الاسحاقي

البهلول التنوخى قال : كان لابى فص حجر خمرى اللون عليه صورة ذبابة وقد شاهدته غير دفعة واحدة فيجعله فى دكان اللبان وهو مملوء ذبابا فيتطاير الذباب فاذا تنحى عادت فاذا عاد تنحت وقد شاهدت ذلك غير دفعة .

حدثنى أبو الحسين أحمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول التنوخى قال : حدثنى أبى قال : كان أسد بن جهور كثير النسيان فحضرته يوما فى مجلس عبيد الله بن سليمان وهو يخاطبه فى أمر من الامور فيقول له اسد سمعا لأمر القاضى أعزه الله وقد نسى أنه الوزير . قال : وكان الى جنب ابى العباس بن الفرات فغمزه أبو العباس وقال : قل الوزير(١) أعز الله القاضى . قال : فضحك ابن الفرات وقال : لست القاضى فارجع الى صاحبك فقصه . قال : وكنت يوما عند أسد فجفت دواته وهو يكتب منها فقال : ياغلام كوز ماء للدواة . فجاء الغلام بالكوز ليصبه فيها فأخذه وشربه ومضى الغلام فقال : ويلك هات الماء للدواة . فجاء ثانية فشربه أيضا ومضى الغلام واستمد من الدواة فكانت أجف فقال : ويلكم كم أطلب ماء للدواة ولا يجيئنى ؟ فجاءوه بكوز ثالثة فاخذه وشربه(٢) فقال الغلام : ياسيدى تصب فى الدواة . فقال : نعم نعم فصبه في الدواة . قال : وأخرجنى ابن الفرات فى سنة سبع وسبعين أنظر فى أمر اصلاح الطريق ونفقات الموسم وسبب لذلك مالا على الكوفة وأسد بن جهور عاملها فلما جئتها وكان لى صديقا تاخر عن قصدى فتأخرت عنه أيضا فولد بيننا ذلك وحشة واستقصيت عليه فى المطالبة بالمال وتقاعد بى فصارت

(١) الجملة ناقصة (٢) لعله ليشربه

الخير فلو خاطبته ولم اكن أعرفه فدخلت اليه فعرفني ولم أعرفه فقام واكرم وقال لى : حاجتك ؟ فذكرت له حال الاكسية . فقال : كم تريدون ؟ قلت : خمسين كساء . فحملها معى فى الحال ففرقتها فيهم . ولقد جاءنى منذ أيام رجل من أهل البيوتات فشكى من خلته ما أبكانى وذكر أن صلاح أمره فى نيف وثلاثين درهما فما طمعت له فيها من أحد ولا عرفت من أعلم أنني ان خاطبته فيها أجاب وورد لنا فى هذه السنة صاحب لأبى هاشم فخاطبنا له جماعة واجتهدنا فى شئ يحصل له يغير حاله فما حصل له من ذلك قليل ولا كثير ولقد كان فى الدرب الذى أنزله هذا وهو درب مهرويه خلق من أمراء وكتاب وتناء وتجار حسبت ما كانوا يملكون فكان أربعة آلاف ألف دينار وما فى هذا الدرب اليوم من يحتوى ملكه على أربعة آلاف درهم غير أبى العربان أخى عمران بن شاهين .

حدثنى أبو الحسين بن سهيل الحذاء قال: حدثنى أبو العباس الفرغانى الصوفى وكان ممن ختم القرآن فى ركعة وكثير الصلاة واخف الناس روحا واشدهم مجونا وأطيبهم قولا ورقصا قال : اجتزت فى الطريق بمخنث يتغوط وهو جالس ويديه على جبهته كأنه انسان مغموم فوقع لى ان اولع به فقلت يا أختى لم أنت مغمومة تخافين الا يجيئك بدله خلفه سريع الله يخلف عليك . فقال لى بالعجلة ليس غمى لهذا ولكن غمى أنكم جماعة وهو قليل لا يكفى غداءكم اليوم .

حدثنى أبو الخطاب محمد بن على بن ابراهيم بن يعقوب بن اسحق بن

(١) يريد قرس

من فعل الله عز وجل فامتنع رسيله من ملاعبته فقال : هو ذا تكفر فلا ألعب معك فشارطه أن يلاعبه على أن لا يكفر فلعب معه فغلبه دفعات فقال لرسيله : يا هذا لست أنقض الشرط بأن أكفر ولكن قل أنت : ليس هذا قصد قبيح .

تجارينا ذكر شدة زماننا ونفر الناس فيه وضيق أحوالهم واستحبابهم البخل حتى ان بعضهم يسميه احتياطا وبعضهم إصلاحا وتوصية الناس بعضهم بعضا به وتحذر التجار من معاملات الناس ومسك الناس أيديهم عن الاحسان إلى أحد اوره (١) أو إغاثة ملهوف أو التنفيس عن مكروب وأن ذلك فى الاكثر لضيق احوالهم فقال لى أبو الحسن أحمد بن يوسف: لقد كان يجئ الرجل من أهل العلم فيجي له من أصحابنا الالف الدرهم والأقل والاكثر فى يوم لا يحتاج الى أحد يخاطبه فى ذلك مع قلة عدد أصحابنا اذ ذاك ولقد قدم رجل أردنا أن نرتبطه ليتعلم لجودة قريحته وكان يحتاج الى مائة درهم فى كل شهر فكلمت ابراهيم بن خفيف الكاتب صاحب ديوان النفقات وكان من أصحابنا ورجلا آخر من أصحابنا فأجريا عليه مائة درهم فى كل شهر كل واحد منهما خمسين درهما وكان الرجل يأخذها الى أن خرج من بغداد سنين ولقد قال لى يوما بعض من حضر الى مجلس أبى الحسن الكرخى من الفقهاء : يحتاج أهل المجلس الى اكسية فقد قرص (٢) الهواء فقمت افكر فيمن أخاطبه فى ذلك فاجتزت فى طريقى بدار فقال لى بعض من كان معى هذه دار تاجر موسر من أهل

(١) كذا بالاصل (٢) يريد قرس

وشتمهم . قال : فحدثني هو قال : دخلت ليلة الى صديق له مستهتر بالشطرنج أيضاً وكانت المغرب قد وجبت فقال لي : بت عندى الليلة حتى نلعب الشطرنج ونتحدث فما بت[1] فقال : نصلي ونلعب دستاً أو دستين إلى وقت العتمة وتنصرف . فصلينا وجعل السراج عندنا ولعبنا وطاب لي اللعب فواصلناه والليل يمضي ونحن لا نشعر به إلى أن أحسسنا في أنفسنا بتعب شديد وضجر ووافق ذلك سماعنا للأذان فقلت له : قد أذنت العتمة وتعبت ولا بد من قيامي . فصاح بغلمانه فلم يجيبوه فقام معي فأنبههم وقال : امضوا بين يديه . فلما خرجنا نظرنا فاذا الاذان هو أذان الغداة وإذا الليلة كلها قد مضت ونحن لا نعقل. قال : وكذا كان على الاستهتار بها إذا لمته قال : ليس أنا بمستهتر بها المستهتر بها هو مثل من قيل له وقد احتضر : قل لا إله الا الله : فقال : شاهك ودع الرخ . قال : فقلت له : لا أعرف مثلك كأنك لست ترضى من نفسك إلا بهذا القدر . قال : وكان يصف من فضائل الشطرنج أشياء فيقول: هي تعلم الحرب وتشحب[2] اللب وتدرب الانسان على الفكر وتعلمه شدة البصيرة فلو لم يكن فيها شيء من المعوز في غيرها الا أن أهل الارض يلعبون بها منذ ألوف سنين ما وقع فيها دست معاد قط من أوله الى آخره .

وبلغني عن بعض لعاب النرد أن لعبا توجه عليه لرسيله فقال له المتوجه عليه اللعب : غلبتك : صل على النبي . فقال : لا أفعل ذا حتى لا تصيب غلبتي العين . وأن آخر منهم كان اذا غلب يكفر ويعرض بأن غلبه

(١) لعله فأبيت (٢) لعله تشحذ

سمعت بخبرها فى هذا الزمان لاتعرف غير الصلاة والصيام وطلب الرزق على أجمل الوجوه عاتق الى الآن دينة جداً ولاتعرف، الى الآن فى المشاهد وعند اهلها إلا بالعلوية الزمنة .

سمعت قاضى القضاة أبا السائب عتبة بن عبد الله بن موسى يقول : الشاهد اذا لم يكن فيه ثلاث خلال من خلال أهل النار صار هو من أهل النار فقلت له ماهى ؟ قال : قلة الحياء لأن الشاهد اذا كان مستحياً أجاب الى كل محال يسأله فيذهب دينه ويصير من أهل النار والحياء فى الاصل من الايمان وأهل الأيمان فى الجنة كما روى الخبر فقلة الحياء من خصال أصحاب النار . والثانية أنه يحتاج أن يكون فيه سوء الظن لأنه متى أحسن ظنه تمت له الحيلة والتزويرات فيشهد بالمحال فيدخل النار وإذا كان سيء الظن سلم وسوء الظن فى الأصل إثم كما قال الله تعالى والاثم من خصال أهل النار . والأخرى فقد نسيتها أنا ثم قال : ما ظنكم ببلد فيه عشرات ألوف ناس ليس فيهم شهود إلاعشرة أنفس أقل أو أكثر وأهل ذلك المصر كلهم يريدون الحيلة على هؤلاء العشرة كيف يسلمون إن لم يكونوا شياطين الانس فى التيقظ والذكاء والتحرز والفهم ؟

حدثنى أبى قال : كان لى صاحب يخدم أبى ويخدمنى بعده من أهل أنطاكية يقال له أبوإبراهيم وكان مستهتراً بلعب الشطرنج وكان له فيها عجائب : منها أن غلمانى كانوا يلاعبون بها وكان إذا لعب بها برك على الارض واتكأ على ذراعيه كالنائم فيجىء أحدهم من ورائه فيعبى على ظهره عدة مخادّ ولا يشعر بها فاذا انقضى الدست أحس بذلك فنحاها عن ظهره

أبى طالب عليه السلام فقلت : يا أميرالمؤمنين ما ترى ما أنا فيه لو دعوت الله تعالى أن يهب لى العافية . فقال لى الرجل : أنا أبوك محمد رسول الله . فقلت : يا رسول الله ادع الله لى . قالت فحرك شفتيه ثم قال لى : هاتى يديك . فأعطيته يديّ فأخذهما وأجلسنى ثم قال لى : قومى على اسم الله . فقلت : يارسول الله كيف أقوم ؟ فقال : هاتى يديك . فأخذهما فأقامنى ثم قال لى : امشى على اسم الله . فقلت كيف امشى ؟ فقال: هاتى يديك. فمشا بى ثم جلست ففعل بى ذلك ثلاث مرات ثم قال لى : قد وهب الله لك العافية فاحمديه . وتركنى ومضى فانتبهت وأنا لا أشك أنى أراه لسرعة انتباهى فصحت فظنت خادمتى أنى أريد البول أو شيئاً مما يثقل عليها فتثاقلت فقلت لها : ويحك ائتنى فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه فى النوم فانتبهت وأنا مسجاة فاستشرحتنى فقلت لها : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه فدعا لى فى النوم وقال : قد وهب الله لك العافية . فقالت لى العجوز : ويحك فإنى أرجو أن تكونى قد برئت من العلة هاتى يديك إلى أن قالت فقالت لى والله كما قال النبى صلى الله عليه فى النوم ولم أكن عرفتها ذلك فأعطيتها يدى فأجلستنى وقالت لى : قومى فقمت فتعبت ثم جلست ففعلت بى ذلك ثلاث مرات ثم قمت (١) فمشيت بحضرتهم متوكية فكثروا عليّ فى الليل ومن غد حتى كدت أن أتلف وما زالت قوتى ترجع الى أن مشيت كما أمشى الآن ولا قلبة بى . قال : وقد رأيتها بعد ذلك أنا تمشى وتجىء إلى عيالنا ماشية وهى الآن باقية صحيحة وهى أصلح وأورع وأزهد امرأة

(١) فى الرواية اختصار فليراجع الفرج بعد الشدة

الانقباض فى ذكر مثله واتصل بى ما كان من أمر الواجبة الحق عليك المنسوبة بعد نسبتك اليها اليك . ومن الله صياتها فى اختيارها ما لولا أن الأنفس تتنا كره . وشرع المروءة يحظره . لـكنت في مثله بالرضا أولى. وبالاعتداد بما جدده الله من صياتها أحرى . فلا يسخطنك من ذلك ما رضيه موجب الشرع وحسنه أدب الرسالة فمباح الله أحق أن يتبع وإياك أن تكون ممن اذا عدم اختياره سخط اختيار القدر له والسلام.

حدثنى أبو محمد يحيي بن محمد بن فهد قال[1] : كانت فى شارع دار الرقيق صبية علوية زمنت نحو خمس عشرة سنة وكان أبى يتفقدها وكانت مسجاة لا يمكنها أن تتقلب من جنب الى جنب أو يقلبها غيرها ولا تقعد أو تقعد وكان لها من يخدمها فى ذلك وفى الإنجاء والاكل وكانت فقيرة وإنما قوتها مما يبرها الناس فلما مات أبي اختل أمرها فبلغ تجنى جارية أبى محمد المهلبي أمرها فكانت تقيم بأكثر أمرها وإنها أصبحت فى يوم من الايام قد باتت فى ليلة زمنة على تلك الصورة فأصبحت من غد وقدمشت وبرئت وقامت وقعدت وكنا مجاورين لها وكنت أرى الناس ينتابون بابها كالموسم فأنفذت امرأة من دارى صدوقة ممن شاهدتها زمنة على طول السنين فسألتها عن الخبر فقالت : انى ضجرت بنفسى فدعوت الله تعالى طويلا بالفرج أو الموت وبت وأنا على غاية الألم والصياح والقلق وضجرت المرأة التى كانت تخدمنى فلما استثقلت فى النوم رأيت كأن رجلا قد دخل عليّ فارتعت منه فقال : لا تراعى فأنا أبوك . فظننته على بن

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ١ : ١٧٤

ولن يرتفع لغادر علم إلا وضعه الله سبحانه وتعالى بمثله أيده الله من كرام المخلصين لديه . ولا يبسط لبطل أمل إلا قطعه الله تعالى بأقرب الطائعين إليه . فقال الله جل ذكره في عباده ليجعل جنده المنصورين . وأعداءه المقهورين . وليظهر حقه . على يد مستحقه . (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وإن الله لسميع عليم . ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) إلا منه حرسه الله (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) وهنأ الله مولانا الامير نعمه عليه . وضاعف قسمه ومنحه إليه . وأصلح به وعلى يديه . وجعل الخير والسعادة واصلين إليه . وكبت أعداءه وحسدته . وبلغه في الدين والدنيا أمنيته . ولا ابتزه ثوب نعمته . وحرس الأمة بحراسة مهجته . وصرف عين السوء عن دولته . وشيد قواها[1] بقدرته . فالسعيد من وفق لخدمته وحظى بجميل رأيه والشقى من نفر عن حوزته وخرج عن ظله وجملته والله وليه والدافع عنه والذاب عن الاسلام وأهله ببقائه والمحسن إليهم بالمدافعة عن حوبائه وهو حسبنا ونعم الوكيل .

حدثنى أبو الفرج الببغاء قال جرى بحضرة الامير سيف الدولة ذكر رجل تزوجت أمه من أصحابه وحديث الترسل والكتابة فقال لى أكتب الساعة على البريد رقعة عن نفسك الى هذا الرجل تعزيه بتزويج أمه فكتبت رقعة بين يديه ارتجالا وحفظتها :

من سلك سبيل الانبساط لم يستوعر مسلكا من المخاطبة فيما يحسن

---

(١) لعله قواعدها

مصاحبة للصواب والسداد . وراياته موصولة بالعز والنصر . ونعمة الله عنده محفوظة بالحمد والشكر . وبحسب ذلك يكون دواعى المزيد . وعلى قدره تضاعف التمكين والتأييد . لهذه الشيم السنية . والفضائل الجليلة العلية . والطوية الحميدة المرضية . ما يجدد الله منحه لديه . ويديم دفاعه عنه وإحسانه إليه . ويسبغ آلاءه ونعمه عليه . ويجعل كلمته العليا . وكلمة أعدائه بسهم الله السفلى . وينوه باسمه ثبته الله فى سائر البلاد . ويجعل زناده أناره الله أضوء زناد . وبشرت الدعاء[1] على التنائى بذكره . وتصل ألسنة من قرب وبعد بشكره . والحمد لله على ما خوّله وأولاه . وإليه الرغبة فى زيادته فيما نوله وأعطاه . وحراسته فى بدء كل أمر وعقباه . وإعلائه على كل من حسده وناواه . وقصر عن شأوه فعاداه . والحمد لله الذى جعل سفرته ظاهرة البركة . سعيدة السكون والحركة . ميمونة الأحوال . محمودة الحل والترحال . مؤذنة بحسن الانقلاب . على أحسن الوجوه وأجمل الأسباب . عائدة بشكر الرعية ودعائهم . جامعة لسياتهم[2] على اختلاف آرائهم . وهو المرجو الأعانة على ما قرب إليه . والمسئول حسن التوفيق لما يزلف لديه . إنه ولى حميد . فعال لما يريد . ولقد صدق الله فله الحمد فى مولانا أدام الله عزه ظنون أوليائه وأهل طاعته وحقق بما تفضل به من ظهوره على أعدائه تقديرات خدمه وعبيد نعمه فشكرهم لله تعالى على ما منحه من التوفيق والنعمة فى ذلك بحسب موقعها ومقدارها وموضعها وما يخصهم ويعم غيرهم منها ويصل إلى القاصى والداني الحظ بها

(١) لعله الدعاة (٢) كذا بالاصل

وله :

كأنما الماء عليه الجسر درج بياض خط فيه سطر [1]
كأننا حين استتب العبر أسرة موسى حين شق البحر

كان الحسين وابراهيم ابنا ناصر الدولة حالفا على أخيهما أبى تغلب فضل الله بن ناصر الدولة عقيب قبضه على أخيهم محمد بن ناصر الدولة وإصعاده به الى القلعة مقيدا وقبضه على نعمته وخرجا إلى أعماله محاربين له ومواطئين حمدان بن ناصر الدولة على محاربة أبى تغلب واجتمعوا معه فخرج أبو تغلب بالجيوش إليهم فلقيهم وانهزم حمدان ودخل الحسين إلى أبى تغلب وانحدر ابراهيم إلى باب السلطان ببغداد ليدخل فى الأمان وكان ابتداء ذلك فى شعبان سنة ستين والصلح فى شوال فكتب أبو محمد يحيي بن محمد بن سليمان بن فهد إلى أبى تغلب بالتهنئة على ذلك كتابا نسخته :

لم تزل عادة الله عند مولانا الامير السيد أطال الله بقاءه وأدام تأييده وكبت أعداءه . جارية بالمواهب النبيلة . والنعم المتصلة الجليلة . على التوفيق والسواد . مطردة بمنة الله أجمل اطراد . لما خصه الله تعالى بحسن النية وجميل الاعتقاد . وأفرده من تعمد الحق فى الاصدار والايراد . وألهمه اياه من التوفر على شكره وحمده . واجتلاب المزيد لذلك من عنده . فابتدا آته أدام الله تأييده دالة على حسن عواقبها . ومبشرة بنيل البغية فى أوائل الامور وأواخرها . وأفعاله مقترنة بالرشاد . وآراؤه بحمد الله

(١) ص ١٢٤

كأنها مسبلة من زرد مضاعف[١]

وله :

يا ليلة لست أنسى طيبها أبدا قد كان كل سرور حاضرا فيها
باتت وبت وبات الزق ثالثنا حتى الصباح فتسقيني وأسقيها
كأن سود عناقيد بلمتها أهدت سلافتها صرفا إلى فيها

وله :

بتنا نعلل من ساق أعد لنا بخمرتين من الصهباء والخدّ
كأنه حين أذكى نار وجنته سكرا وأسبل فضل الفاحم الجعد
يعل ماء عناقيد بطرته بماء ما حملت خداه من ورد

وله :

وظبي غرير فى فؤادى كناسه إذا التبست غور الفلاة وقورها[٢]
فمن خَلقه لباتها ونحورها ومن خُلقه عصيانها ونفورها

وله :

وجناته تجنى على عشاقه ببديع ما فيها من اللألاء
بيض عليها حمرة فتوردت فعل المدام مزجته بالماء
فكأنما برزت لنا بغلالة بيضاء تحت غلالة حمراء

وله :

كأنما تساقط الـ ـثلج لعيني من يرى
أوراق ورد أبيض والناس فى شاذ كلى[٣]

(١) ص ٦٥ (٢) في ص ٦٧ من الديوان وصورها (٣) كذا بالاصل

لو رآنى إذا استهلت دموعى　　　فى صبوح ذكرته أو غبوق
أسرق الدمع من نديمى بكاسى　　　فأحلى عقيانها بالعقيق

وله :

هل تحسان لى صديقا صدوقا　　　يحفظ العهد أو رفيقا رفيقا[1]
لا رعى الله يا حبيبيَّ دهرا　　　فرقتنا صروفه تفريقا

وله :

من السلوة فى عينيـــ　　　ـك آيات وآثار[2]
أراها منك فى القلب　　　وفى القلوب أبصار
إذا ما برد الحب　　　فما يسخنه النار

وله :

الحزن مجتمع والصبر مفترق　　　والحب مختلف عندى ومفترق[3]
ولى إذا كل عين نام صاحبها　　　عين تخالف فيها الدمع والارق
لولاك يا ظبية الانس التى نظرت　　　لما وصلن إلى مكروهى الحدق
لكن نظرت وقد سار الخليط ضحى　　　بناظر كل حسن منه مسترق

وله :

يامن يلوم على هواه جهالة　　　انظر إلى تلك السوالف تعذر[4]
حسنت وطاب نسيمها فكأنها　　　مسك تساقط فوق ورد أحمر

وله :

ومرتد لطرة　　　مد له الرفارف

---

(١) ص ٣٧　(٢) ص ٦٥　(٣) ص ٤٦　(٤) ص ١٢٣

وتركت حلو العيش لم احفل به … لما رأيت اعزه فى مره
والمرء ليس ببالغ فى اهله[1] … كالصقر ليس بصائد فى وكره

وله :

فى الناس ان فتشتهم … من لايعزك او تذله[2]
فاترك مجالسة اللئيم … فان فيها الفخر كله

وله :

وفضل الناس فى الأنفس … ليس الفضل فى الحال
غنى النفس لمن يعقل … خير من غنى المال

وله :

ندل على موالينا ونجفو … ونعتبهم وان لنا الذنوبا
بأقوال يجانبن المعالى … وألسنة يخالفن القلوبا .

وله :

ولقد علمت كما علمت … وإن أقمت على صدوده[3]
إن الغزالة والغزال … لفى ترائبه وجيده

وله :

قد كان لى فيك حسن صبر … خلوت يوم الفراق منه
لم يبق لى فى الجفون إلا … ما استنزلتنى الخدود عنه

وله :

لى صديق على الزمان صديقى … ورفيق مع الخطوب رفيقى[4]

(١) فى الديوان بغانم فى ارضه (٢) ص ١٢٧ (٣) ص ٦٥ (٤) ص ١٣٤

فان الداء أقتل ما تراه يكون عن الطعام أو الشراب

هـذا شعر أبى فراس ابن أبى العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون العدوى الثعلبى :[(١)]

أشـد عدويك الذى لا تحارب وخير خليليك الذى لا تناسب
لقد زدت بالايام والناس خبرة وجربت حتى هذبتنى التجارب
فأقصاهم أقصاهم عن اساءتي وأقربهم مما كرهت الأقارب
*وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب
*وما أنس دار ليس فيها مؤانس وما قرب أهل ليس منهم مقارب
نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب

وله :

اذا كان فضلى لا اسوغ نفعه فأفضل عندى أن أرى غير فاضل
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل يجور على حوبائها حكم جاهل[(٢)]

وله :

لمن أعاتب مالى اين يذهب بى قد صرح الدهر لى بالمنع والياس[(٣)]
ابغى الوفاء بدهر لا وفاء له كأننى جاهل بالدهر والناس

وله :

وأخ أطعت فما رأى لى طاعتى حتى خرجت بأمره عن أمره[(٤)]

---

(١) راجع ديوانه المطبوع فى بيروت ١٩٠٠ ص ١٢٦ والبيتان المعلم عليهما بالنجيم ليسا هناك (٢) فى الديوان كل جاهل (٣) راجع ص ٨٤ من الديوان (٤) ص ٦٤

خيراً . وانه قال : احصيت ما انا فيه من المكاره فما وجدت منه شيئاً لحقني إلا ممن احسنت اليه . فقال لى أبو الحسن : هذا صحيح ولكن حدث عند فساد الزمان وإلا فالأكثر من عدد الناس كان قديماً على تصرف زمانهم ما يعتقدونه من مودات اخوانهم فلما فسدت الطباع وتسمح الناس فى شروط موداتهم صار الانسان ساكناً ممن لا يعرفه لا يلحق به شره ولا يناله ضره وإنما يلحق الآن الضرر من المعارف ومن يقع عليه اسم الاخوان وذلك أنهم يطالبون فى المودة بما لا يفعلون مثله فان اسدى اليهم احساناً عرف طعمه فهى العداوة القليلة وان حفظ الانسان ما يصنعونه أبداً حصل تحت الرق وان قارضهم الافعال ثارت العداوة وتواترت عليه المكاره هذا اذا سلم من أن يبدأك من تظنه صديقاً بالشر والتجنى والمعاملة القبيحة بالتوهم والتظنى من غير تثبت ولا استصلاح فأما اذا كان ليس بينكما أكثر من المعرفة فالضرر معها بالثقة لان كل مكروه يلحقك اذا حصلته كان ممن يعرفك ويقصدك به على علم بك فأما الضرر ممن لا تعرفه فبعيد جداً مثل لصوص يقطعون عليك الطريق غرضهم أخذ المال منك أو من غيرك وما يجرى هذا المجرى على أن أشد الضرر من اللصوص ماوقع عن تعيين وعلى معرفة بالانسان فمهما أمكن العاقل أن يقل من المعارف واجتلاب من يسمى أخاً فى هذا الزمان فليفعل وليعلم أنه أقل من الاعداء وكلما استكثر منهم فقد استكثر من الاعداء . وكان ابن ألوى جمع هذا فقال :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

حياً ثم يخرج عن ايدى المسلمين بعدك وقتلتنا الروم وسبت ذرارينا وصليت بأثمنا فى القيامة وعارنا فى الدنيا والله الله فينا فقد صدقتك يا امير المؤمنين والامر اليك بعد ذلك . قال : فنكس المعتضد رأسه ساعة ثم رفعه وقد بكى وقال : فكيف اعمل وقد سبق قولى بأن اهدمه . فقلت له : تعمل الفعلة فى هذا اليوم فقط فيكون فى ذلك ابرار لقول امير المؤمنين ثم اذا رحل هو عنا اذن لنا فى إعادة ما هدم اليوم فقط . فقال : انفذوا غداً من يرد الفعلة ويمنعهم من هدم السور بعد اليوم وقد اذنت لكم فى إعادة ما انهدم . فشكرناه ودعونا له وارتفعت الصيحة بالدعاء له وعدنا فوجدنا الفعلة قد هدموا ذلك اليوم قطعة منه فأعدناها بعد خروج المعتضد من اموالنا فهى معروفة الى الآن فى السور لتغير بنائها عن البناء الاول .

جرى بينى وبين ابى الحسن الكاتب الاهوازى (وهذا الرجل من معقلى الناس وفضلائهم عقلا ونبلا وبراعة فى صناعته وتقدماً وقد ولى كبار الاعمال للسلطان وخلف ابا عبد الله البريدى على الأهواز وتولاها لمعز الدولة مكان ابى عبد الله البريدى عقيب هربه من معز الدولة ثم استخلفه بعد ذلك ابو القاسم البريدى على البصرة ثم خلف ابا على الطبرى وابا محمد المهلبى كأنه اذ ذاك على كور الاهواز ثم تقلد عمالة البصرة لسباشى الحاجب الخوارزمى التركى ثم لمعز الدولة رياسة فى ايام وزارة ابى محمد المهلبى وحلب الدهر اشطره وجرب الأمور وسبر الزمان) ذكر الزمان وتصرفه وفساد الاخوان فيه وقلة المودات وما بلغنى عن ابى الحسن ابن الفرات انه قال : جزى الله عنا من لا نعرفه ولا يعرفنا

والعدو يطرقنا و نطرقه ان هدمت هذا السور كان ذلك أقوى عدة للعدو علينا وكان البلد له عند أيسر ضعف يلحقنا وحادثة تطرقنا فان رأيت أن ترحم ضعفنا وتستر ذرارينا بهذا السور . فقال : قد كثرت الحوادث علينا من هذه الثغور واعتصام كل مخالف بحصن منها وقد علمتم مالحقنا بالامس من ابن الشيخ واليوم من هذا الخادم وقد سبق منى القول ولا أدع حصناً إلا هدمته وأنا أهدم هذا السور وأحصنكم من العدو باضعاف عدد الشحنة وإدرار الارزاق وإطلاق مال للمطوعة يقوون به على جهاد العدو فتكون قوتهم مانعة للعدو وكأن السور لم يزل ولم يطمع أحد فى التحصن به على العصيان . قال : فلم يكن عند أصحابى حجة وضعف كلامهم ورأيت المجلس كالمنقوض على هذا فقمت واستأذنت فى الكلام فأذن لى فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله لو خلد أحداً فى الارض لخلد محمداً صلى الله عليه وان هذه الحصون والاسوار لم توضع لسنة بعينها ولا لايام خليفة بعينه وانما جعلت لتبقى على الدهور وتدفع عن أهلها فى أيام كل ملك سائساً كان أو متوانياً ولو كنا نثق بحياة أمير المؤمنين أبداً ما سألناه خلاف ما يراه أو كنا نثق ان من يلى أمور المسلمين بعده يكون لهم باهتمامه بمصالحهم وسياسته لخاصتهم وعامتهم مثله لسهل ذلك علينا المصيبة بفقدان السور الذى لا عوض عنه وان كان من يتقلد بعده لنا مثله لما كان لنا فى ذلك عزاء عن السور إنا لا نأمن من اهمال من يجىء بعد ذلك الخليفة أيضاً أن تشغله حادثة عنا تمنعه من مصالحنا فنكون نحن درية لسيوف الروم ورماحهم وإنك يا امير المؤمنين ان هدمت هذا السور بقى بلدنا ما دمت

ثم قال لى : احفظها يابن أخى عليّ فإنه لاخامس لقافيتها بشرط ألا تغير الصاد والدال . ثم ضربت عنقه ، وانتبهت وأنا أنشد الابيات فى الحال فعلقتها وطلبت فيما أعرفه واذكره قافيـة خامسـة للأبيات فلم أجد . قلت أنا :وطلبت لها قافية فوجدت ما يصلح أن يضاف إليها «فاصده» من الفصد «وعاصده» ولا أدرى كيف ذهب ذلك على أبى أحمد ولعل غيرى إن فتش وجد قوافى أخر لـكنها قافية عزيزة على هذا الشرط كيف تصرفت الحال

حـدثنى أبى قال : لما خرج المعتضد الى قتال وصيف الخادم الى طرسوس وأخـذه وعاد الى أنطاكية فنزل خارجها وطاف بالبلد بجيشه وكنت صبياً اذ ذاك فى المكتب قال : فخرجت فى جملة الناس فرأيته وعليه قباء أصفر بلا سواد وسمعت رجلا يقول : الخليفة بقباء أصفر بلا سواد . قال : فقال أحد الجيش : هذا كان عليه وهو جالس فى داره ببغداد فجاءه الخبر بعصيان وصيف فخرج فى الحال من داره الى باب الشماسية فعسكر وحلف ألا يغير هـذا القباء أو يفرغ من أمر وصيف فأقام بباب الشماسية أياماً حتى لحقه الجيش ثم خرج فهو عليه الى الان ما غيره . قال : فحدث أبى بعد ذلك : وأنفذ المعتضد الى سور انطاكية بفعلة يهدمونه فماج الناس وتلحّت العامة وتشاور شيوخ المدينة فى هـذا فأجمع رأيهم أن كفوا العامـة . ومضوا الى مضرب الخليفة وسألوا الوصول فأنفذ اليهم أن اختاروا عشرة منكم يدخلون اليّ ويخاطبوننى . فاختاروا عشرة كنت منهم فحدثنى قال : دخلنا عليـه فسلمنا ووقفنا فأمر باجلاسنا فجلسنا فقالوا ياأميرالمؤمنين نحن فى وجوه عدو كلب وجهاد متصـل

فقلت : أيها الوزير ما أحب أن أزداد على عطية رسول الله صلى الله عليه شيئاً فانى أرجو البركة فيه لا فيما عداه . فبكى على بن عيسى وقال : هذا اليقين خذ ما بدا لك . فأخذت أربعمائة دينار وانصرفت فقصصت قصتى على صديق لى وأريته الدنانير وسألتـه أن يحضر غرمائى ويتوسط بينى وبينهم ففعل وقالوا : نحن نؤخره ثلاث سنين بالمال فليفتح دكانه . فقلت : لا يأخذون منى الثلث من أموالهم . وكانت ستمائة فأعطيت كل من له شيء ثلث ماله فكان الذى فرقته مائتى دينار وفتحت دكانى وأدرت المائتين الباقية فى الدكان فما حال الحول عليّ إلا ومعى ألف دينار فقضيت دينى كله وما زال مالى يزيد وحالى تصلح .

حدثنى أبو أحمد الحارثى بن عبد الله بن عمر قال : رأيت فى منامى كأنى مجتاز بالبصرة فى بنى نمير على مجلس الشرطة والناس مجتمعون فقلت ما هذا ؟ قالوا : فتى يضرب عنقه . فاطلعت فى الحلقة فأذا بفتى حسن الوجه قد أجلس وشد ليضرب عنقه فقال لهم : دعونى أتكلم بكلمتين ثم اعملوا ماشئتم. فقالوا له : تكلم . فقال : أهاهنا رجل من أهل الأدب يحفظ عنى ما أقول ؟ قلت : نعم . فقال :

أيا شاهدى قتل المشوق تحملا ... زكى سلام طيته مقاصده
إلى الظبية اللعساء من سند الحمي ... بحيث تحرى باب عثمان قاصده
فقولاله[1] إن المشوق الذى اعتدت ... عليه لريب الدهر ايد تراصده
مضى وباحناء الضلوع هواكم ... إلى أن يرى إنشاءه بعد حاصده

(١) الصواب لها

حدثنى جماعة من أهل الحضرة [١] أن رجلا عطارا من أهل الكرخ كان مشهورا بالتستر ارتكبه دين فقام من دكانه ليلة جمعة وصلى صلاته ودعا ونام . قال : فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى منامى وهو يقول لى : اقصد على بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك . قال : وكان عليّ قيمة ستمائة دينار فلما كان من غد قلت : قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى فلم لا أقصد هذا الوزير ؟ قال : فقصدته فلما جئت إلى الباب منعت من الوصول إليه فجلست إلى أن ضاق صدرى وهممت بالانصراف فخرج الشافعى صاحبه وكان يعرفنى معرفة ضعيفة فأخبرته الخبر فقال : يا هذا إن الوزير والله فى طلبك منذ السحر وإلى الآن وقد سألت عنك فما عرفنيك أحد والرسل مبثوثة فى طلبك فكن مكانك . قال: ومضى فدخل فما كان بأسرع من أن دعونى فدخلت إلى أبى الحسن على بن عيسى فقال : ما اسمك ؟ قلت : فلان بن فلان العطار . قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم . قال : يا هذا أحسن الله جزاءك فى قصدك إياى فوالله ما تهنيت بعيش منذ البارحة جاءنى رسول الله صلى الله عليه فى منامى فقال : أعط فلان ابن فلان العطار من الكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه وكنت اليوم طول نهارى فى طلبك وما عرفنيك أحد . ثم قال : هاتم ألف دينار فجاؤوا بها عينا فقال : خذ منها أربعمائة دينار امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وستمائه دينار هبة منى لك .

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ١ : ١٧٦

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رأى أحدكم فى منامه ما ينكره فليتحول من جانبه إلى الآخر وليقل ثلاثا أستغفر الله ويلعن إبليس ويستعيذ بالله ثم ينم . فرفع رأسه وقال : يا أخى فكيف إذا كانت الطامة من جهة رسول الله صلى الله عليه ؟ قال : فقال لى : الست ذاكرا رؤيا طاهر بن الحسين ؟ فقلت : بلى . قال عبيد الله : وكان طاهر وهو صغير الحال رأى النبي صلى الله عليه فى منامه فقال له : يا طاهر إنك ستبلغ من الدنيا أمرا عظيما فاتق الله واحفظنى فى ولدى فإنك لا تزال محفوظا ما حفظتنى فى ولدى . فقال : ما تعرض طاهر لقتال علوى قط وندب إلى ذلك غير دفعة منه . قال : ثم قال لى أخى محمد بن عبد الله : إنى رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامى كانه يقول لى: يا محمد نكثتم . فانتبهت فزعا وتحولت واستغفرت الله تعالى وتعوذت من إبليس ولعنته واستغفرت الله تعالى ونمت فرأيته صلى الله عليه وسلم الثانية وهو يقول يا محمد نكثتم . ففعلت كما فعلت فى الاولة ونمت فرأيته صلى الله عليه وسلم الثالثة وهو يقول : نكثتم . وقتلتم أولادى والله لا تفلحون بعدها أبدا . فانتبهت وأنا على هذه الحالة وهذه الصورة منذ نصف الليل ما نمت . قال : واندفع يبكى وبكيت معه فما مضت على ذلك إلا مديدة حتى مات محمد ونكبنا بأسرنا أقبح نكبة وصرفنا عن ولاياتنا ولم يزل أمرنا يخمل حتى لم يبق لنا اسم على منبر ولا علم فى جيش ولا إمارة وحصلنا إلى الآن تحت المحن .

ونرزقك رزقاً . فحمدت الله وشكرته وصليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوت لامير المؤمنين وانصرفت والمال معى وصرت الى منزلى وما طلعت الشمس واهل المسجد يتوقعون خروجى للصلاة وقد انكروا تأخيرى عنهم فنزلت فصليت بهم وسلمت واذا بالخراسانى فأدخلته منزلى واخرجت اليه بقية ماله فرأى ختمه غير صحيح وقلت : خذ هذا فهو بقية مالك فقد صرفته . واومأت الى المال الذى كان معى وقلت : خذ تمام مالك . فقال : ما قصتك ؟ فأخبرته الخبر فبكى وحلف لا يأخذ شيئاً وحلفت عليه فقال : والله لا اخذته ولا ادخلت مالى شيئاً من مال هؤلاء وبدأت بالنظر فى امر بناتى وتزويجهن وتجهيزهن وتقدمت بابتياع سواد ودابة وغلام وصرت الى المأمون يوم الموكب فأدخلت فسلمت فأوقفت مع القضاة وأخرج الي عهداً من تحت مصلاه وسلمه إليّ وقال : قد قلدتك القضاء فى الجانب الغربى وهذا عهدى إليك عليها فاتق الله وقد أمرت لك بكذا وكذا في كل شهر رزقا فما زال أبو حسان يتقلدها فى أيام المأمون .

حدثنى أبى قال : حدثنى الصولى أن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حدثه قال : لما عاد محمد بن عبد الله أخى من مقتل يحيي بن عمر العلوى رضى الله عنه بعد مديدة دخلت إليه بعد ذلك يوما سحرا وهو كئيب مطأطأ الرأس فى أمر عظيم كأنه قد عرض على السيف وبعض جواريه قيام لا يتجاسرن على مسئلته وأخته واقفة فلم أقدم على خطابه فأومأت إليها ماله ؟ قالت : رأى رؤيا هالته . فتقدمت إليه وقلت : أيها الأمير

أتنكب الطريق حتى لا يزحمونى بدوابهم . فجذبت العنان لادخل دربا فاذا بهم يصيحون بى فوقفت فقالوا : من أنت ومن تكون ؟ قلت : رجل من الفقهاء . فمسكونى فجاذبتهم وجاء رئيسهم فقال : من أنت رحمك الله ؟ لا بأس عليك ان صدقت . قلت : رجل من الفقهاء والقضاة . قال : بمن تعرف ؟ قلت بأبى حسان الزيادى . فصاح الله أكبر الله أكبر أجب أمير المؤمنين . فسرت معه حتى أدخلت على المأمون فقال لى : من أنت ؟ قلت : رجل من الفقهاء والقضاة أعرف بالزيادى ولست منهم انما سكنت فى محلة لهم فنسبت اليهم . فقال : بأى شىء تكنى ؟ قلت بأبى حسان . قال : ويحك مادهاك وما قصتك فان رسول الله صلى الله عليه ما تركنى البارحة أنام بسببك أتانى دفعة فى اول الليل ووسطه وهو يقول أغث أبا حسان الزيادى فانتبهت ولا أعرفك وأنسيت السؤال عنك فلما كان الساعة أتانى فقال : أغث أبا حسان الزيادى . فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر من ذلك الوقت وقد بثثت الناس فى جانبى البلد أطلبك فما قصتك ؟ قال : فصدقته عن الخبر حتى لم أكتمه منه حرفاً وقلت : أنا رجل كنت أتقلد للرشيد من أبى يوسف القضاء بناحية فلما مات صرفت وانقطعت ارزاقى ولزمتنى العطلة والاضاقة فكان من خبرى مع رجل خراسانى كيت وكيت . فبكيت وبكى وقال : انا لله وانا اليه راجعون هاتوا خمسة آلاف درهم فجاؤوا بها فقال : خذ هذه فارددها مكان ما تصرفت فيه . ثم قال : هاتم عشرة آلاف درهم فجاؤوا بها فقال : خذ هذه فأصلح بها امر بناتك وزوجهن واذا كان يوم الموكب فصر الينا بسواد لنقلدك عملا

وقلت : مالك ؟ فقال : قد انصرفت عن السفر الى مكة وأريد المقام ببغداد فترد اليّ تلك الوديعة . قلت له : ليس أتمكن من ذلك الساعة فتجيئنى غداً غدوةً . فنهض ونهضت الى منزلى وما بى طاقة للمشى فيما بين المسجد وبيتى فدخلت مغشياً علي واجتمع أهلى فلما أفقت قالوا : ما دهاك ؟ قلت : أنتم حملتمونى على التصرف فى مال الخراسانى وقد جاءنى الساعة يطلبه فكيف أعمل والآن أفتضح ويذهب جاهى وأهلك بين الناس وأحبس فأموت صبراً وغماً . فبكوا وبكيت وجاءت المغرب فلم أقدر على الخروج الى المسجد وكذلك العشاء ثم قمت فصليت فى البيت فقلت : هذا أمر لا يكشفه إلا الله وليس لى إلا الفزع اليه . فجددت طهوراً وصففت قدمى فى المحراب أصلى وأبكى وأدعو حتى ختمت القرآن وقد كاد يطلع الفجر وما اكتحلت غمضاً فقلت لاهلى : الساعة يجيء الرجل الى المسجد فكيف أعمل ؟ فقالوا : لا ندرى . فقلت : أسرجوا لى . وكان لى بغلة أركبها وقلت لهم : انى هو ذا أركب لا أدرى الى أين أمضى ولست أرجع اليكم وان تلفت ولا وجه لى يقوينى على كلام الخراسانى فان طالبكم وأخرجكم الى مكروه فسلموا اليه بقية المال وأصدقوه الحديث وان أمكنكم مدافعته فدعونى مستوراً فلعلى أرجع بفرج أو رأى فى أمره . وركبت لا أدرى أين أقصد وليس معى ضياء ولا غلام وتركت عنان البغلة على عرفها وجاءت الى الجسر وعبرته الى الجانب الشرقى وأنا عليها وصارت بى الى باب الطاق وعطفت بى فى الشارع الكبير المنفذ الى دار الخليفة فلما توسطته اذا بموكب عظيم وضياء وقوم يجيؤن من ناحية دار الخليفة فقلت :

تعريض بالسلف . قالا : فبلغنا أن البربهارى قال بلغنى أن نائحة يقال لها خلب تنوح اطلبوها فاقتلوها .

حدثني أبي عنه بأسناد ذكره أن أبا حسان الزيادى (١) كان من وجوه فقهاء أصحابنا ومن غلمان أبي يوسف وكان من أصحاب الحديث وكان تقلد القضاء قديماً ثم تعطل فأضاق فلزم مسجداً حيال داره يفتي ويدرس الفقه ويؤم ويحدث وإضاقته كل يوم تزداد وهو يطلب التصرف أو الرزق فلا يظفر به وقد نفد ماعنده وباع كل ما يملكه وركبه دين عظيم إذ جاءه يوماً رجل خراسانى وقد حضر وقت خروج الناس من بغداد الى مكة فقال له : اني أريد الخروج الى الحج وهذه عشرة آلاف درهم معى تقبلها وديعة لى فان رجعت من الحج رددتها عليّ وان رجع الناس ولم أرجع فاعلم أنى هلكت وهى لك هبة حلالا . قال أبو حسان : فأخذتها الى منزلى وقصصت على زوجتى الخبر فقالت : نحن في ضر شديد فلو تصرفت فيها من الآن وقضيت دينك واتسعت فلعل الله يجعلها لك فتكون قد تعجلت العيش . فقلت : لا أفعل . فما زالت فى يومى وليلتى تحملنى على ذلك حتى أجبتها اليه من غد ففضضت الختم عن الكيس وقضيت منه دينى وتأثثت وتوسعت فى منزلى واشتريت ثياباً لى ولها ولبناتى وأصلحت جميع أمرى بنحو خمسة آلاف درهم من ذلك ومضى على هذا الحديث ثلاثة أيام أو أربعة فالتفت يوماً من الصلاة فاذا بالخراسانى ورأى فلما رأيته قامت قيامتى

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ١ : ١٥٣ وفى الف ليلة (طبع الهند) ٢ : ٣٠٦

أصدق عنى أن ينوح

لم أمرضه فأسلو لا ولا كان مريضا

فانتبهت فزعة . قال : وقالت العجوز « لم أمرطه » بالطاء لأنها لا تتمكن من إقامة الضاء فسكنت منها إلى أن نامت . ثم قال لى : يا أبا القاسم مع معرفتك الرجل قد حملتك الأمانة ولزمتك إلى أن تبلغها له . فقلت : سمعا وطاعة لأمر سيدة نساء العالمين . قال : وكان هذا فى شعبان والناس إذ ذاك يلقون جهدا جهيدا من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى الحاير فلم أزل أتلطف حتى خرجت فكنت فى الحاير ليلة النصف من شعبان فسألت عن ابن أصدق حتى رأيته فقلت له : إن فاطمة عليها السلام تأمرك بأن تنوح بالقصيدة :

لم أمرضه فأسلو لا ولا كان مريضا

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك . قال : فانزعج من ذلك فقصصت عليه وعلى من حضر الحديث فأجهشوا بالبكاء وما ناح تلك الليلة إلا بهذه القصيدة وأولها :

أيها العينان فيضا واستهلا لا تفيضا

وهى لبعض الشعراء الكوفيين وعدت إلى أبى الحسن فأخبرته بما جرى . قال أبى وابن عياش : كانت ببغداد نائحة مجيدة حاذقة تعرف بخلب تنوح بهذه القصيدة فسمعناها فى دور بعض الرؤساء لأن الناس إذ ذاك كانوا لا يتمكنون من النياحة إلا بعز سلطان أو سرا لأجل الحنابلة ولم يكن النوح إلا مراثى الحسين وأهل البيت عليهم السلام فقط من غير

يمشى فرأته امرأة وكان حسن البدن فقالت ليت على ابنتى شحم هذا المخنث . قال فقال لها المخنث مع بغائى . فشتمته فقال لها كيف صار تأخذين الجيد وتدعين الردى ؟

حدثنى أبى قال : خرج إلينا يوما أبو الحسن الكاتب فقال : أتعرفون ببغداد رجلا يقال له ابن أصدق ؟ قال:فلم يعرفه من أهل المجلس غيرى فقلت : نعم فكيف سألت عنه ؟ فقال : أى شيء يفعل ؟ قلت : ينوح على الحسين عليه السلام . قال : فبكى أبو الحسن وقال : إن عندى عجوزا ربتنى من أهل كرخ جدان عفطية اللسان الأغلب على لسانها النبطية لا يمكنها أن تقيم كلمة عربية صحيحة فضلا عن أن تروى شعرا وهى من صالحات نساء المسلمين كثيرة الصيام والتهجد وإنها انتبهت البارحة فى جوف الليل ومرقدها قريب من موضعى فصاحت بى يا أبا الحسن فقلت : مالك ؟ فقالت : الحقنى . فجئتها فوجدتها ترعد فقلت ما أصابك ؟ فقالت: إنى كنت قد صليت وردى فنمت فرأيت الساعة فى منامى كأنى فى درب من دروب الكرخ فأذا بحجرة نظيفة بيضاء مليحة الساج مفتوحة الباب ونساء وقوف عليه فقلت لهم من مات أو ما الخبر ؟ فأومؤوا إلى داخل الدار فدخلت فأذا بحجرة نظيفة فى نهاية الحسن وفى صحنها امرأة شابة لم أر قط أحسن منها ولا أبهى ولا أجمل وعليها ثياب حسنة بياض مروى لين وهى ملتحفة فوقها بأزار أبيض جدا وفى حجرها رأس رجل يشخب دما فقلت: من أنت ؟ فقالت: لا عليك أنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وهذا رأس ابنى الحسين عليه السلام قولى لابن

شيء جيد . فأخبرني[١] انها قالت تهجو ابا جعفر محمد بن القاسم الكرخي لما ولي الوزارة وتعيبه بقصر قامته :

شاورني الكرخي لما بدا النيروز والسن له ضاحكة
فقال ما نهدي لسلطاننا من خير ماالكف له مالكة
قلت له كل الهدايا سوى مشورتي ضائعة هالكة
أهد له نفسك حتى اذا اشعل نارا كنت دوباركة

انشدتني ذلك في سنة اثنتين واربعين وثلثمائة . الدوباركة كلمة اعجمية وهي اسم للعب على قدر الصبيان يحلونها اهل بغداد في سطوحهم ليالي النيروز المعتضدي ويلعبون بها ويخرجونها في زى حسن من فاخر الثياب وحلي يحلونها كما يفعل بالعرائس وتخفق بين يديها بالطبول والزمور وتشعل النيران فهجته هذه المرأة بما تحقق عندى انها صادقة فيه لانه يليق بكلام النساء وقد كانت تنشدني لنفسها اخل من هذا الكلام وكتبت ذلك عنها وهو ثابت في مواضع من كتبي وما تعلق بحفظي لها غير هذه الابيات .

حدثني أبي قال : أماشي المعوج الشامي الشاعر ببغداد وكان دقيقا دقيق الوجه أشهل معوج الوجه فلقينا مخنث فولع به المعوج فقال له المخنث : لا تسكت يامن كانه ديك يطلع في سطل فيه ماء فأسرع المعوج من يده وقال لو كان هذا شاعرا كان أشعر الناس والله ما شبهني أحد أصح من تشبيهه .

حدثني أبو الطيب ابن هرثمة قال : كنت مجتازا ببغداد ومخنث

---

(١) الصواب فأخبرتني

اليوم يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ستين وثلمائة وخلع عليه من الغد وهو يوم الاربعاء وكان القبض عليه يوم ثلاثاء وخلع على أبي الفرج للوزارة صارفاً له يوم الاربعاء وبين الامرين أربعمائة يوم وجاء ابو الفرج فجلس فى دار ابى الفضل ونظر فى الوزارة :

يا سيداً طلعته لم تزل | اشهى الى عينى من النوم
لم تظلم الناس وحاشاك أن | تحيف بالظلم على القوم
جازيتهم مثل الذى اسلفوا | فى الرأى والمجلس واليوم

ثم خرج عن مجلسه فجلس جماعة فى دار الوزير ابى الفضل فأنشدنا شيخ حضر من الكتاب لابن زريق الكاتب فى مثله وهو ابو القاسم ابن زنجى قال انشدني ابن زريق لنفسه فى الكوفى لما صرف :

إنا لقينا حجاباً منك ارمضنا | فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضا
فاسمع مقالى ولا تعجل عليّ فما | ابغى بنصحك لا مالا ولا عرضا
فى هذه الدار فى هذا المكان على | هذى الوسادة كان العز فانقرضا

انشدتنى عائدة بنت محمد الجهنية لنفسها وهذه امرأة فاضلة كاتبة كانت زوجة عم الوزير ابن شيرزاد وخليفته على كتابة بجكم وسبكتكين فى الديوان الذى كان لابى جعفر وجاءه ابن زريق فحجب ثم دخل بحيلة على ما اخبرنا . قال : فأنشدته هذه الابيات فلما ولى الوزارة نفعه واستخدمه فلما قبض على الحسن بن على المنجم وحبس ابنته فى دار ابى وكل هذه المرأة بها وهى اذ ذاك عجوز فكانت تناشدنا الاشعار وتنشدنا لنفسها كل

قد صار بالباب يستأذن عليك . قال : فنهض الشيخ وخرج اليه وقبل يده وقال : أبيت أيدك الله الا الاخذ بالفضل . قال : لا تشكرني واشكر الخليفة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه على ذلك . ودخل اليه فقال : انك انصرفت وقد أمضى خطابك وقد كان ما خاطبتك به على ضجر مني وغير اعتقاد وركبت في الحال الى الخليفة فخاطبني وأنا مشغول القلب بما دار بيننا فوجد كلامي مضطرباً وأقسم عليّ الا أخبرته [١] فأخبرته فأخذ يعذلني ويوبخني على ما لقيتك به وقال : لا تقف امض اليه الساعة معتذراً وأخرجه من بيته واقض حاجته وانظر في أموره . قال : ثم دعا بدواة فوقع لي بما كنت سألته بمال وصلني به وتصرف قلدنيه ونهض فشكرته ودعوت للخليفة وحمدت الله تعالى على ما وفقه لي .

حدثني أبو الحسين بن سهيل الحذاء قال حدثني أبو الحسن علي بن عبد الله الحذاء قال حدثني جعفر الخالدي الصوفي قال كنا مع ابن واصل الصوفي في سنة احدى عشرة بالهبير فلما أخذ الناس في الوقعة وبدأ السيف في أهل القافلة اجتمعنا اليه فقلنا تدعو الله لنا أن يخلصنا . قال ليس هذا وقت الدعاء هذا وقت الرضا والاستسلام انه اذا نزل القضاء لم ينفع الدعاء

حضرت أبا عبد الله بن الحجاج الكاتب البغدادي صاحب السخف في شعره ينشد أبا الفضل الوزير ليوم قبض ببغداد على حرم أبي الفرج محمد بن العباس وأسبابه وأطلق الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين وتقلد الوزارة وكان محبوساً في دار أبي الفرج فجلس فيها أكثر يومه و كان ذلك

(١) بالاصل لا خبرته

وجرى كذا وكذا وأخبره بالخبر وسلم اليه التوقيعات بما أمر له به الخليفة والكتب الى مصر ووافقه على العمل وأخرج اليه .

وحدثني أيضاً عن ابن أبي خالد هذا قال : كان بغيضا قال : فاتفق أن بكر إليه يوماً رجل شيخ من شيوخ الكتاب يقال له ابن أبي الأضجم متعطلا قد طالت عطلته يغتنم أن يراه سحرا جالسا يشكو إليه حاله ويسأله التصرف فبكر بكوراً شديداً فتلقاه بردّ قبيح وقال : أيش هذا المهم فى مثل هذا الوقت ؟ قال : فاحتدّ عليه الشيخ وقال : ماالعجب منك العجب مني حين ربطت أملى بك وأسهرت عيني توقعا للفجر فى البكور إليك وأسهرت عيالى وغلمانى وتحملت التجشم إليك وأنزلت بك حاجتى حتى تلقانى بمثل هذا وعليّ وعليّ وحلف بأيمان البيعة لا دخلت دارك أبداً ولا سألتك حاجة ولا طلبت منك تصرفا أو تجيئنى إلى دارى معتذرا مما تلقيتنى به وتقضى حاجتى فى منزلى . ونهض فلما صار الرجل إلى منزله ندم ندماً شديداً وقال : هذا رجل لئيم الطبع سيء الظفر شرس الخلق وأنا مضطر إلى لقائه ومسألته إلى حوائجى فلمَ حلفت بهذه اليمين وما أحد أسوأ حالا منى فان هذا الوزير لا يفكر فيّ ولا يجيئنى والله أبداً ولا يكون لى طريق إلى قصده ويحس العمال بذلك فيخربون ضيعتى وتدوم عطلتى ويلحقنى كيت وكيت وأقبل يلوم نفسه ويؤنبها ويفكر كيف يعمل وقد أسفر النهار وتعالى إلى أن صار نحو ساعتين فدخل عليه غلمانه فقالوا : ياسيدنا الوزير مجتاز فى شارعنا . فقال : ما علينا منه . فدخل آخر فقال : ياسيدى قد والله عدل من الشارع الى دربنا وتبادر الغلمان فقالوا :

منه فوقف بحضرة الخليفة وجرى الكلام فقال له الخليفة : قد ألط عامل مصر بالمال وجنح الى المدافعة فاختر رجلا شهماً ننفذه مشرفا عليه ومطالبا بما مضى . قال : وكان ابن أبي خالد يعتني برجل متصرف يقال له الزبيرى فأراد أن يسميه لذلك فقال « الهبيرى » لما كان في نفسه منه وقرب العهد بذكره والغيظ من أمره . فقال الخليفة : أويعيش الهبيرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين لم أرد الهبيرى وانما أردت فلان ابن فلان الزبيرى . قال : يجوز أن تكون أردت الهبيرى[1] ولكن أخبرني بخبر الهبيرى فقد كانت له بي خدمة[2] في حياة أبي وبأسبابنا وهو واجب الحق علينا . فقال : نعم هو يعيش . قال : أحضرنيه حتى أشاهده فان كان مختلا أمرت له بصلة وجار وان كان ينهض بالعمل أنفذته . قال : يا أمير المؤمنين انه متعطل منذ سنين وقد خمل وذهب اسمه وصوته وهذا عمل يحتاج الى من له نباهة . قال : اذا أقبلنا عليه وندبناه لمثل هـذا الامر العظيم تجدد ذكره وتطرى أمره . قال : انه لا حال له ينهضه . قال : نطلق له من مالنا مائة ألف درهم يصلح بها حاله ونحمل اليه من البغال والدواب والخيم والآلات . قال : فأخذ يعتل عليه . قال : أرى فيك تحاملا عليه لتصدقني عن أمره معك . فتلجلج فقال : بحياتي أصدقني . فصدق عن الخبر . فقال الخليفة : قد والله أجرى الله عز وجل رزقه على يدك بالرغم منك كما قال والله لا برحت أو تكتب عهده وتصله بجميع ما أمرته ثم عليّ بالهبيرى . فأحضر وخرج ابن أبي خالد عليه فقال : يا هذا قد والله جاء رزقك على يدى بالرغم مني

(١) الصواب : الزبيرى (٢) الصواب : حرمة

والله ما هذه الدراهم من مال الوزير ولا هى إلا من مالى ورسالته أقبح مما تذهب إليه وإنما كرهت تلقيك بها وأنت من شيوخ هذه الصنعة فتحملت لك هذا الغرم من مالى من غير علم صاحبى صيانة لك وله . فقال : أما أنت فأحسن الله جزاءك ولا حاجة بى إلى مالك ولو مصصت الثماد ولكن أنشدك الله إلا ما أبلغتنى رسالته بعينها وحزت بذلك شكرى . قال : فأديتها إليه على حقها وصدقها . قال : فقال أحب أن تحمل الجواب . فقلت : قل . قال : تقول له والله ما آتيك لك نفسك وإنما أنت رجل قدصرت باباً لارزاقنا إذ كنا لانحسن صناعة غير الكتابة ولا تصرف فيها الا عندك ومن أراد دخول الدار يجب أن يأتيها من بابها وعلى الانسان أن يتعرض للرزق ويأتى بابه فان قسم الله له منه شيئاً أخذه وإلا كان قد أدى ما عليه وليس يمنعنى استثقالك لى أن أقصدك فان قسم الله لى شيئاً من جهتك أو على يدك أخذته على رغمك والا فلا أقل من أن أوذيك برؤيتى كما توذينى بعطلتى . قال : فانصرفت متعجباً منه ولم أعد على الوزير ذلك لئلا يغتاظ وتغافلت يومى فلما كان من الغد بكر الوزير خارجاً من داره وأنا معه فاذا بالشيخ فلما رآه التفت الىّ وقال : ألم أنفذك اليه برسالة ؟ قلت : بلى . قال : فلم عاد ؟ قلت : الخطب طويل طريف واذا اطمأن الوزير فى مجلسه حدثته . قال : فلما نزل فى طياره قال : اخبرنى بما جرى . فقصصت عليه القصة وحملى الدراهم من مالى وما جرى بأسره وأديت اليه رسالته بعينها فكاد أن يطير غيظاً وانتهى الكلام وقد قدم الطيار الى دار الخلافة فدخل اليه وفى نفسه حديث الهبيرى والغيظ

واحد[1] . قال : وكان هذا فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فأخبرت أصحابنا بالخبر وبكينا على الكلام والعربية طويلا وافترقنا .

حدثنى أبى عنه بأسناد ذكره أن رجلا من شيوخ الكتاب يعرف بالهبيرى لزمته العطلة وأضرت به فكان يلازم ابن أبى خالد الأحول وهو إذ ذاك يدير أمور الوزارة فطالت ملازمته داره وكان ابن أبى خالد يستثقله فحجب عن الدار فكان يبكر كل يوم فيقف على دابته بالباب حتى يخرج الوزير ثم ينتظره إلى أن يعود ويدخل الوزير وينصرف هو فطال ذلك على الوزير حتى برم به فقال لكاتب له : الق هذا الرجل وقل له : إنه لاتصرف لك عندى ولست أحب أن أراك فى كل وقت فانصرف عنى ولا تقرب بابى . قال الكاتب : فاستحييت أن أؤدى عن صاحبى مثل هذه الرسالة إلى شيخ من جيل الكتاب وإن كان الزمان قد حطه وعلمت أن ذلك صدر من الوزير لسوء رأيه فيه ومقته له واستثقاله إياه فصرت إلى منزلى وأخذت معى خمسة آلاف درهم وصرت إلى الهبيرى فقلت : الوزير أعزه الله يقرأ عليك السلام ويقول لك : هو ذا يشق علىّ رؤيتك بالباب والأشغال تقطعنى عنك ولا تصرف عندى أرتضيه لك فى هذا الوقت وقد حملت إليك خمسة آلاف درهم فاستعن بها فى نفقتك والزم دارك وارح العناء . فاذا سنح عندى شغل يصلح لك استدعيتك . قال : فاستشاط الشيخ وقال : جعلنى من الشحاذة والمستميحين ينفذ إلىّ برفد والله لاقبلته . قال : فاستجهلته وداخلنى غيظ من فعله فقلت : ياهذا

(١) ليراجع معجم الادباء ٥ : ١٩٩

فى الخلاف . قال : فوقعت ليلة فى الدرب الذى كان ينزل اسمعيل بالبصرة صاعقة فلما أصبح قال لغلمانه : اكنسوا لى الباب وافرشوا لى عليه وإلا أرجف بى المخالفون . ففعلوا وجلس على بابه فاجتاز بعض جلة شيوخ البصرة من المخالفين فلما رآه قال : ألم نخبر أن الله رماك بصاعقة من عنده ؟ قال : ولم ؟ أنا أقول إنى أرى الله جهرة ؟ وقال رجل من أصحاب إسمعيل بالبصرة إن القرآن مخلوق بحضرة غوغاء من العوام فوثبوا عليه وحملوه إلى نزار الضبي وكان أميرا على البصرة فحبسه فطاف إسمعيل على المعتزلة فجمع منهم أكثر من ألف رجل وبكر بهم إلى باب الأمير فاستأذن عليه فأذن له فقال : أعز الله الأمير بلغنا أنك حبست رجلا لأنه قال إن القرآن مخلوق وقد جئناك ونحن ألف كلنا يقول إن القرآن مخلوق وخلفنا من أهل البلد أضعاف عددنا تقول مقالتنا فإما حبست جميعنا مع أخينا أو أطلقته معنا . قال : فعلم أنه متى ردهم ثارت فتنة لا يأمن عواقبها وأن الرأي يوجب الرفق بهم فقال : بل نطلقه لكم . فأطلقه وانصرفوا به عدواً .

حدثنى أبو على الحسن بن سهل بن عبد الله الأيدجى القاضى قال : لما توفى الشيخ أبو هاشم الجبائى ببغداد اجتمعنا لدفنه فحملناه إلى مقابر الخيزران فى يوم مطير ولا يعلم بموته أكثر الناس وكنا جماعة فى الجنازة فبينا نحن ندفنه إذ حملت جنازة أخرى ومعها جُميعة عرفتهم بالأدب فقلت لهم : جنازة من هذه ؟ فقالوا : جنازة أبى بكر بن دريد . فذكرت حديث الرشيد لما دفن محمد بن الحسن والكسائى بالرى فى يوم

سمعت أبا طلحة يقول : روى فلان عن فلان بأسناد طويل من أصبح فى يوم سبت وعنده طباهجة عنبرية وبالقرب منه باقلانى ولم يصطبح لا صبحه الله بخير ولا عافية .

أخبرنى أبو الحسين أحمد بن يوسف ويعقوب بن اسحق بن البهلول التنوخى أن أبا حذيفة واصل بن عطاء خرج يريد سفرا فى رهط من أصحابه فاعترضهم جيش من الخوارج فقال واصل لأصحابه : لا ينطق منكم أحد ودعونى معهم . فقالوا : نعم . قال : فقصدهم واصل واتبعه أصحابه فلما قربوا بدأ الخوارج ليوقعوا بهم فقال : كيف تستحلون هذا وما تدرون ما نحن ولأى شئ جئنا . قالوا : نعم فما أنتم . قال : قوم من المشركين جئناكم مستجيرين لنسمع كلام الله . قال : فكفوا عنهم وبدأ رجل يقرأ عليهم القرآن فلما أمسك قال له واصل : قد سمعنا كلام الله فأبلغنا مأمننا حتى ننظر فيه (ننظر فى الدين) . فقالوا : هذا واجب سيروا . قال : فسرنا والخوارج والله معنا برماحهم يستروننا ويحموننا عدة فراسخ حتى قربنا من بلد لا سلطان لهم عليه فقالوا : ذاك مأمنكم . فقال واصل : نعم فارجعوا عنا وانصرفوا . وذهب أبو حذيفة من[1] ذلك إلى قول الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)[2]

حدثنى أبو الحسين قال : كان إسمعيل الصفار البصرى أحد شيوخ أصحابنا المعتزلة وكان الناس إذ ذاك يتشددون على أهل الحق ويباينونهم

(١) لعله فى (٢) وردت الحكاية فى الكامل للمبرد ٢ : ١٠٦

يابنى حسبك فالى هاهنا جررت برجل أبى من الدارحتى [١] جررتنى منها [٢]

حدثنى أبو الحسين بن سهيل الحذاء عن بعض الصوفية أنه قال : طيب الطعام يستخرج لب الشكر . أنشدنى اسحق بن ابراهيم بن على النصيبينى المتكلم لنفسه فى غلامه سعد :

وفق الله من دعاك بسعد　　فلقد كان فيه عين السعود
أبصر السعد غرة بين عينيـــك فسماك باسمه المحمود
فاذا ما دعاك داع لامر　　كنت ياسعد فيه سعد السعود

وجدت فى كتب أبى كتاباً من أبى محمد المهلبى اليه قبل تقلده الوزارة بسنين أوله :

كتابى أطال الله بقاء سيدنا القاضى عن سلامة لا زالت له إلفاً وعليه وقفاً

وحمد لمولى أستمد بحمده　　له الرتبة العلياء والعز دائما
وان يسخط الايام بالجمع بيننا　　ويرضى المنا حتى ترينيه سالما

وصل كتابه أدام الله عزه فقمت معظماً له وقعدت مشتملاً على السرور به

وفضضته فوجدته　　ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والخدو　　د البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالثغو　　ر أو اللآلى فى النحور
أنزلته فى القلب منـ　　ـزلة القلوب من الصدور

(١) لعله حيث (٢) هذه الحكاية أخذت من كتاب الاخلاق لارسطاطلس

ولقد هيج البلا حين عض السفرجلا

ولقد قام حبكم في فؤادى بأعلى العلا

فقال : خلطت . قال : أنا أبو عيشونة وحياة أصحابى أبج بنفسك . فمضى الرجل وتركه . رأيت حذاء ماجناً بباب الطاق يعرف بالمدلق ويلقب بالقاضى يسمى النعال بأسماء من جنس الصفعة على سبيل الهزل فيقول لمن يخاطبه : هذه صلعكية وهذه راسكية وهذه قفوية . فقال له واحد : كم أعطيت بها ؟ فقال : إذا نزلت فى حلقك عرفتك ثمنها وأخذته منك فمتى وقعت فى عنقك وكرهتها فأنا آخذها منك بالثمن . ورأيت طبيباً يماجن على مريض وقد شكى إليه شيئاً فقال : هذا يدل على أنك ثارت بك الصفراء . وكان الذى شكاه المريض رطوبة فقال : يا هذا أنا مرطوب فكيف تثور بى الصفراء ؟ قال : فالسوداء . قال : لا أعلم . قال : الذى عندى أنه ثارت بك الملعة . ففطن الرجل لموضع قوله الصفراء والسوداء ثم وصف له ما يصلح له مما شكاه إليه . قال لى أبو طلحة الحذاء البصرى وكان مألفاً للأحداث والمنادمين قال : قال لى صديق لى : أريد نعلا يكون لها وجه مليح وأسفل وثيق . فقلت : ياحبيبى عليك بفلان العلق فان وزنت خمسين درهماً فى اليوم ولست أجد لك بهذه الصفة إلا هو .

حدثنا أبو عبد الله بن ورام الكوفى المتكلم قال : كان عندنا بالكوفة رجل له ابن عاقّ به فلاحاه يوماً فى شىء فجر برجله حتى أخرجه من بيته وسحبه فى الطريق شيئاً كثيراً فلما بلغ الى موضع منه قال له :

أحسنت والله يا أبا الحسن فقال : افس عليّ كيف شئت . فخجل جحظة .

قال : وأخبرني أنه كان معه في حديدي لابن الحواري وقد حملهم إلى بلاشكر [1] ليتفرجوا والحديدي يمده الملاحون بالقلوس والجحظة بين يدي الرجل قد صار في أعلى الريح لأنها كانت شمالاً على سطح الحديدي فأقبل جحظة يفسو فأنكر الرجل ذلك وقال : يا هذا الفساء من أين هذا ؟ فقال جحظة هؤلاء المدادون سفل وإذا مدوا فسوا وهم أعلى منك في الريح فهي تحمل فساهم إلينا . قال : فتشبه ذلك على الرجل . فقلت له : يا أبا الحسن لو أن فساء هؤلاء يريد الطرادة التي تجيء على حبلها مستوياً إلى نفس الطرادة ما وصل إلينا بهذه السرعة والريح من جهتك لا من الملاحين وأنا أنبه عليك . قال : فأقبل يصانعني ويفتدي مني يدي أن لا أغمز به . فقلت : على شريطة أن تقطع . قال : نعم .

حدثني أبو القاسم الصروي الكاتب قال : كان بمدينة السلم شاطر يعرف بأبي عيشونة فاجتاز به بعض العلماء من أهل الادب في هيج قد وقع وقد خرج ليأخذ ثياب المجتازين فقبض عليه وقال : اطرح ثيابك . فقال : أنا فلان فاستحى منه فقال : خذ على ما أنشدك . قال : هات . فقلت [2] :

خمسون الف فتى ما منهمُ أحد ... إلا كألف فتى ضرغامة بطل
شدوا ثيابهمُ يوماً على أمل ... فأفرغوها وأدلوها على الاجل

فقال الرجل : أحسنت فبالله زدني من شعرك . فقال :

---

(١) هي قرية بين البردان وبغداد (٢) يريد فقال

الآخر فأذا هو دراهم طرية فوزن لى منها خمسمائة درهم . قال : ياسيدى تلك أمرت به وهـذه الدراهم هـدية منى . فأخذتها وانصرفت وصار الصيرفى صديقى وداره لى .

حدثنى[1] أبو الحسين ابن عياش قال : كان جحظة لما أسن يفسو فى مجالسه فيلقى من يعاشره من ذلك جهـداً وكنت أحب غناءه والـكتابة عنـه لمـا عنده من الآداب وكان يستطيب عشرتى وكنت إذا جلست أخذت عليـه الريح وجلست فوقها فجئته يوماً فى مجلس الادب والناس عنده وهو يملى فلما خفوا قال لى ولآخر كان معى أسماه لى وحدثنى ذلك الرجل هذا الحديث: اجلسا عندى حتى أجلسكما على لبود، وأطعمكما طباهجة بكبود ، وأسقيكما معتقة اليهود ، وأبخركما بعود ، وأغنيكما غناء الممدود ، أطيب من الندود ، فقلنا : هذا موضع سجدة . فجلسنا وصديقى لا يعرف خلقه من الفساء وأنا قد أخذت الريح فوفى لنا بجميع ما شرطه وقال لنا وقد غنى وشربنا : نحن بالغداة فى صورة العلماء وبالعشى فى صورة المخنكرين فلمـا أخذ النبيذ منـه أقبل يفسو وصديقى يغمزنى ويتعجب فأغمزه وأقول : إن ذلك عادة له وخلقه وإن سبيله أن يحتمل إلى أن غنى جحظة صوتاً مليحا الشعر والصنعة له فيه وكان يجيده جداً وهو :

إن بالحيرة قساً قد مجن ... فتن الرهبان فيها وافتتن

ترك الانجيل حباً للصبا ... ورأى الدنيا مجوناً فركن

وطرب صديقى ذلك عليه طرباً شديداً استحساناً له وأراد أن يقول :

---

(١) وروت هذه الحكاية فى معجم الادباء ١ : ٣٩٠

وكذا كانت عادته إذا سكر فقام الناس من مجلسه وقمت وقد طلع الفجر وأضاء وهو وقت تبكر الناس فى حوائجهم فخرجت كأنى لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامى الثياب والعتيدة كارة فصرت إلى منزلى ونمت نومة ثم ركبت إلى درب عون أريد الصيرفى حتى لقيته فى دكانه وأوصلت الرقعة إليه فقال : ياسيدى أنت الرجل المسمى فى التوقيع ؟ قلت : نعم . قال : أنت تعلم أن أمثالنا يعاملون للفائدة ؟ قلت : نعم . قال : وربحنا أن نعطى فى مثل هذا ما يكسر فى كل دينار درهم . قلت له : لست أضايقك فى هذا . فقال : ما قلت هذا لأربح عليك الكثير أيما أحب إليك تأخذ كما يأخذ الناس وهو ما عرفتك أو تجلس مكانك إلى الظهر حتى أفرغ من شغلى ثم تركب معى الى دارى فتقيم عندى اليوم والليلة وتشرب فقد والله سمعت بك وكنت أتمنى أن أسمعك ووقعت الآن لى رخيصا فاذا فعلت هذا دفعت إليك الدنانير بما تساوى من غير خسران. فقلت : أقيم عندك . فجعل الرقعة فى كمه وأقبل على شغله فلما دنت الظهر جاء غلامه ببغل فاره فركب وركبت معه وصرنا إلى دار سرية حسنة بفاخر الفرش والآلات ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل فتركنى فى مجلسه ودخل ثم خرج إلىّ بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره وتبخر وبخرنى بيده بند عتيق جيد وأكلنا أسرى طعام وأنظفه وقمنا إلى مجلس للشرب سرى فيه فواكه وآلات بمال وشربنا ليلتنا فكانت ليلتى عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد فلما أصبحنا أخرج كيسين فى أحدهما دنانير وفى الآخر دراهم فوزن لى خمسمائة دينار من أحدهما ثم فتح

ونمت وقد مضى نصف الليـل فأكلت ما أصلح وغسلت يدى وأسرج لى وأنا عامل على المضى إليه إذ طرقنى رسله فجئته فقال : بحياتى أكلت شيئاً ؟ قلت : أعيذك بالله انصرفت من عندك قبل المغرب وهذا نصف الليل فأى وقت أصلح لى شئ أو أى وقت أكلت ؟ اسأل غلمانك على أى حال وجدونى . فقالوا : والله وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه وهو ذا ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها . فسر بذلك سرورا شـديدا وقدم الطعام فما كان فيّ فضل أشمه فأمسكت عن تشعيثه ضرورة وهو يستدعى اكلى ولو أكلت أحل دمى . قال : وكذا كانت عادته . فأقول له : هو ذا آكل ياسيدى وفى الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا وانقضى الأكل وجلسنا على الشرب فجعلت أشرب بأرطال وهو يفرح وعنده أنى أشرب على الريق أو على ذلك الأكل الذى خلست معه ثم أمرنى بالغناء فغنيت فاستطاب ذلك وطرب وشرب أرطالا فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه قلت : ياسيدى تطرب أنت على غنائى فأنا على أى شئ أطرب ؟ قال : ياغلام هات الدواة فأحضرت فكتب لى رقعة ورمى بها إليّ وإذا هى إلى صيرفى يعامله بخمسمائة دينار فأخذتها وشكرته ثم غنيت فطرب وزاد سكره فطلبت منه ثيابا فخلع عليّ خمسة أثواب ثم أمر أن يبخر من كان بين يديه فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير فأخذ الغلمان يبخرون الناس منه فلما انتهوا قلت : ياسيدى وأنا أرضى أن أتبخر حسبُ ؟ فقال : ما تريد ؟ قلت : أريد نصيبي من العتيدة . قال : قـد وهبتها لك . فأخذتها وشرب بعد ذلك رطلا آخر واتكى على مسورته

فأمر برفع الدجاجة فرفعت ومسح يده ودخل القوم فخاطبهم بما أراد وانصرفوا فقال : ردوا الطبق فأحضر فتأمل الدجاجة ساعة ثم حرد وقال : أين تلك الدجاجة ؟ فقالوا : هي هـذه . فقال : لا وحق أبي عليّ بالطباخ . فحضر فقال : هذه هي تلك الدجاجة ؟ فسكت . فقال : اصدقني ويلك . قال : لا . قال : فما عملت بتلك ؟ قال : لما شيلت لم نعلم أنها ترد إليك فأخذها بعض الغلمان الصغار وأكلها فلما طلبتها أخذنا هذه فكسرنا منها وشعثنا مثلما كنت كسرت من تلك وشعثت طمعاً في أنك لا تعلم بذلك وقدمناها . فقال له : ياحمار تلك كنت قد كسرت منها الفخذ الأيمن وأكلت جانب الصدر الأيسر وهذه مأكولة جانب الصدر الأيمن مكسورة الفخذ الأيسر لا تعاود بعدها لمثل هذا .

حدثني ابو الحسين ابن عياش قال : حدثني جحظة قال : ربحت بأكلة أقريتها خمسمائة دينار وخمسمائة درهم وخمسة أثواب فاخرة وعتيدة طيب سرية . فقلت : كيف كان ذلك ؟ قال : كان الحسن بخيلاً على الطعام سمحا بالمال وكان يأخذ ندماءه فيسقيهم النبيذ ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلا ومن شرب عنده على الخسف حظى عنده . قال : فكنت عنده يوما فقال لي : ياأبا الحسن قد عملت غدا على الصبوح الجاشرى فبت عندى . فقلت : لا يمكنني ولكني أباكرك قبل الوقت فملى اى شيء عملت أن تصطبح ؟ فقال : أعد لنا كذا وكذا ووصف ماتقدم به إلى الطباخ بعمله. فعقدنا الرأى على أن أباكره وقمت وجئت إلى بيتي فدعوت طباخي فتقدمت إليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه ويفرغ منه وقت العتمة ففعل

أشد قبض وقال : ياغث يا بارد ياقليل العشرة ياقبيح الأدب فى الدنيا أحد يستحسن إفساد مثل هذه ؟ فقال ابن أخته : يالئيم يابخيل ياسيئ الاحسان فلأى شئ يصلح ؟ يجعل عقدة فى وجه التركة للأعقاب واسطة للمخانق فى صدور المجالس سرية يتمتع بالنظر إليها ؟ ما أقدر شهد الله أن أدعها من يدى . فتصابرا عليها إلى أن قال له الفتى : فافتدها منى . قال : بما تحب أن أفعله؟ قال : ببغلتك الفلانية. قال: قد فعلت . قال: بسرجها ولجامها الفلانى؟ قال : قد فعلت . قال : ما أرفع يدى عنها أو يحضر ذلك . قال : ياغلام أحضره . فأحضرت البغلة والمركب فسلمها الفتى إلى غلامه وأخرجها ورفع يده عن الدجاجة وانقضى الطعام وشيلت المائدة وقام لينام . فخرج ابن أخته فقال للطباخ عليّ بالفائقة الساعة وبجميع ماشلتموه من المائدة فأحضر إليه ورد الندمان وقعدوا فأكلوا ذلك وانصرفوا وقد أكل الدجاجة والطعام أجمع وحصلت له البغلة والمركب . قال : وإنما كان لايطيق أن يرى ذلك يوكل فأما إذا نحى من بين يديه لم يسل عنه ولم يطالب به

أخبرنى أبو الحسين بن الازرق قال : حدثنى أبى عن الحسن بن مخلد بهذا الحديث أنه حصل مع ابن خاله قال : رأيت الفتى قد غدا إلى ديوان الخراج على بغلة الحسن بن مخلد فسألناه عن السبب فأخبرنا بذلك

سمعت أبا عبد الله بن أبى موسى الهاشمى يقول : كنت بحضرة ناصر الدولة ببغداد فاستدعى بشئ يأكله مستعجلا ليتعلل به فجاؤوه بدجاجة مشوية ورغيف واحد وسكر وملح وخل وقليل بقل فجعل يأكل وأنا أحادثه إذ دخل الحاجب فأخبره بحضور قوم لابد من وصولهم يحتشمهم

أخبرنى غير واحد أن أسد بن جهور العامل كان بخيلا وله سؤدد يتقلد كبار الأعمال وهو عظيم الحال والمال قال : وكتب يوما إلى عامل له فى رستاق : احمل إلىّ مائتى جوانبيرة .[1] فقال العامل : وما يصنع بهذه العجائز كلهن وهذه العدة كيف تجتمع لى من قرية ؟ فجمع ما قدر عليه من النساء بين الشباب والعجائز وأنفذهن طوعا وكرها وكتب إليه : إن كتابك وصل بجمع مائتى جوانبيرة وهذا لا يوجد إلا فى بلد كبير وعدة رساتيق وقد جمعت لك كذا وكذا وحملته مع موصل هذا الكتاب . فلما قرأ كتابه قال : ادفعوهم إلى الطباخ وقولوا له يذبح منهن اليوم كذا وكذا ويصلح منهن كذا وكذا . فقيل له : يذبح لك النساء ؟ قال : وما طلبت نساء . قالوا : أنت طلبت نساء . قال : ردوا الكتاب . فردوه قال : إنا لله إنما أردت جوامرك[2] وكتبت جوانبيرة ادفعوا إلى النساء شيئاً واصرفوهن واكتبوا إليه بجمع الجوامركات . ففعل ذلك وكان معروفا بالبخل على الطعام جدا وكان ندماؤه يلقون من ذلك جهدا وكان يحضرهم ويطالبهم بالجلوس ويحضر كل شئ لذيذ شهى من الطعام فان ذاقه منهم أحد ولو دانقا استحل دمه وعجل عقوبته وكانت معهم[3] إذا شيلت المائدة أن يمسحوا أيديهم فى لحاهم ليعلم أنهم ماشبعوا شيئاً يزهمها . وكان له ابن أخت يجترئ عليه ولا يفكر فيه ويهتك ستره إذا واكله . فقدمت يوما دجاجة هندية فائقة سرية فحين أهوى ابن أخته إليها قبض على يده

(١) كان الكلمة مركبة من جوان أى شاب وپير أى كبير السن (٢) كأنها مركبة من جوان ومرغ أى طير (٣) لعله عادتهم

وتسمعهن فى منزلك فيصير لك بمنادمته رسم وجاهك مع إخوانك باق ببرك وملاقاتك لهم فهم يحامون عليك العاقل منهم ويحافظ لك الآخر فتصير فى مراتب بدئ الأمر وفى جملة وتصير قيادتك كالتشنيع عليك والعتب لك وتخرج عن حد القواد المحض الذين يودون قائما وتكبس منازلهم . قال : فاعتقدت فى الحال أن الصواب ماقاله ومات فى علته فجلست ثلاثة أيام ثم أنفذت وصيته وفرقتها كما أمرنى ثم بيضت الدور وهى هذه وزدت فيها ما اشتهيت واستزدت من الآلات والنقوش والأبنية كما أردت وابتعت هؤلاء الجوارى والغلمان والخدم من بغداد ودبرت أمرى على ماقاله لى أبى من غير مخالفة لشئ منه فأنا أفعل هذا منذ سنين كثيرة مالحقنى فيه ضرر ولا خسرت ولا فيه أكثر من إسقاط المروءة وقلة الحفل بالعيب وأنا أعيش أطيب عيش وأهنأه وألتذ أتم لذة مع هؤلاء الجوارى والغلمان والخدم ومن يعاشرنى عليهم ودخلى بهم أكثر من خرجى ونعمتى الموروثة باقية بأسرها مابعت منها شيئاً بحبة فضة فما فوقها وقد اشتريت من هذه الصناعة عقارا جليلا وأضفته إلى ما خلف أبى علىّ وأمرى يمشى كما ترى . فقلنا ياهذا فرجت والله عنا وأوجدتنا طريقا إلى قضاء حقك واتخذنا نمازحه ونقول فضلك فى هذه الصناعة غير مجهول لأنك قواد ابن قواد وما كان الشيخ ليدبر لك هذا إلا وهو بالقيادة أحذق منك . فضحك وضحكنا وكان الفتى أديبا خفيف الروح وبتنا ليلتنا على تلك الحال فلما كان من الغد جمعنا له بيننا ثلثمائة دينار من نفقاتنا وحملناها إليه فأخذها ورحلنا عنه .

بذلك أمورا ومنها أنك تبتدئ بهذا فلا ينكر عليك فى آخره ومنها أنك تفعل ذلك بجاه وعقار وضياع وأحوال قوية ولا يطمع فيك سلطان أو إن طمع فيك رشوت وبذلت من قدرة وجدة فتخاصت . فقلت : كيف أعمل ؟ قال تجلس إذا مت ثلاثة أيام للعزاء إلى أن تنقضى المصيبة فاذا نفدت تقدمت(١) وصيتى وتجملت بذلك عند الناس وقضيت حتى ثم تظهر أنك قد تركت اللعب وأنك تريد حفظ مالك مع ضرب من اللذة ثم تبتدئ فتشترى من الجوارى والمغنيات والسواذج كل لون ومن الغلمان والمرد والخدم البيض والسود ماتحتاج إليه وتشتهيه ودارك وضياعك وآلتك كما خلفته فان احتجت إلى استزادة شئ فاستزد وتنوق وعاشر من تريد أن تعاشره من غير أن تدخل إليك مغنية قيان ولا من يأخذ جذرا وداخل الأمير والعامل وادعهما مرة فى شهر أو شهرين وهادهما أيام الأعياد بالألطاف الحسنة والقهما كل أسبوع دفعة واجتهد أن تعاشرهما على النبيذ فى دورهما والقهما بالسلام وقضاء الحق واتخذ فى كل يوم مائدة حسنة وادع القوم ومن يكون معهم وليكن ذلك بعقل وترتيب فان ذلك أولا لايظهر مدة طويلة فما ظهر صدق به أعداؤك وكذب به إخوانك وقالوا لعل هذا على سبيل التجوز والشهوة وعلى طريق التخالع أومسامحة الأخوان وإلا فأى لذة له فى ذلك وليس هو مخنثا ولا مجنونا ولا فقيرا فيحتاج إلى هذا فيكثر الخلاف فيك مدة أخرى وأنت مع هذا قد وصلت سلطانك ولعل العشرة بينكما قد وقعت فتستدعى مغنياتك

(١) لعله سقط : بانفاذ

فقلت أفعل . فقال : أنا أعلم أنك ستتلف جميع المال فى مدة يسيرة فعرفنى إذا افتقرت ولم يبق معك شىء تقتل نفسك ولا تعيش فى الدنيا ؟ فقلت: لا . قال: فتحمل على رأسك ؟ فقلت: لا . قال: فتحسن تتصرف وتكسب المال؟ قلت: لا . قال: فعرفنى من أين تعيش؟ قال: ففكرت ساعة فلم يقع لى إلا أن قلت: أصير قوادا . قال: فبكى ساعة ثم مسح عينه وقال: لست أعيب عندك هذه الصناعة فإنها ماجرت على لسانك إلا وقد دارت فى فكرك ولا دارت فى فكرك وأنت تنصرف عنها أبدا بعدى ولكن اخبرنى كيف يتم لك المعاش فيها ؟ فقلت : قد تدربت بكثرة دعواى للقحاب والمغنيات ومعاشرتى لشراب النبيذ فأجمعهم على الرسم فسينفقون فى بيتى ويعملون مايريدون وآخذ منهم الدراهم وأعيش . فقال : إذاً يبلغ السلطان خبرك فى جميعه فيحلقون رأسك وذقنك وينادى عليك ويفرق بجمعك ويبطل معاشك ويقول أهل البلد : انظروا إلى فلان كيف ينادى عليه وقد صار بعد موت أبيه قوادا . ولكن إن أردت هذه الصناعة فأنا أعلمك إياها وإن كنت لا أحسنها فلعلك تستغنى فيها ولا تفتقر ولا يتطرق عليك السلطان بشىء . فقلت: افعل . قال : إنك تحلف لى أنك تقبل منى . فحلفت فقال : إذا مت فاعمل على أنك قد افتقرت وأنفقت جميع مالك وافتقرت وابتدئ كن قوادا ولك ضياع وعقار ودور وأثاث وآلة وجوار وقماش وخدم وجاه وتجارات واعمل كل مافى نفسك أن تعمله إذا افتقرت فاعمله وأنت مستظهر على زمانك بما معك وجيه عند إخوانك بمالك واعمل أنك قد أنفقته واجعل معيشتك بما تريد أن تجعله إذا افتقرت فمنها أن تستفيد

فقالوا ماترى ؟ قلت: نرى أن نفاتش الرجل فننظر ايش هو فان كان ممن يقبل هدية أو برا عملنا على تكرمتـه وارتحلنا ولو كان بخلاف ذلك كنا معتقدين له المكافاة فى وقت ثان وسـألناه أن يحضرنا من نكترى منـه فأو يبدرقنا ورحلنا. فتقرر رأينا على هذا فلما جلسنا تلك العشية على الشرب قلت له : قد طال مقامنا عندك وما أضاف أحد أحدا أحسن مما أضفتنا ونريد الرحيل الى مصر لما قصدناه فى طلب التصرف وأنا فلان ابن فلان وهـذا فلان فعرفت نفسى والجماعة وقد حملتنا من اياديك ومننك مالا يسعنا معـه أن نحمد لك ويجب أن تعرفنا نفسك فنبث شكرك ونقضى حقك ونعمل على الرحيل. فقال أنا فلان ابن فلان أحد أهل دمشق . فلم نعرفه فقلنا : إن رأيت أن تزيدنا فى الشرح . فقال : جعلت فداكم أنا رجل قواد. فحين قال هذا خجلنا ونكسنا رؤسنا . فقال: ما بكم إن لقيادتى خبراً أظرف مما رأيتموه. فقلنا : إن رأيت أن تخبرنا . فقال: نعم أنا رجل كان آبائى تناء تجارا عظيمى النعمة والأموال وانتهت النعمة إلى أبى وكان ممسكا مكثرا ونشأت له وكنت منخرقا مبذرا محبا للفساد والنساء والمغنيات والشرب فأتلفت مالا عظيما من مال أبى إلا أنه لم يؤثر فى حاله لعظمه ثم اعتل وأيس من نفسه وأوصى فدعانى فقال يابنى إنى قد جعلت لك نعمة قيمتها مائة ألف دينار وأكثر بعد أن أتلفت علىّ خمسين ألف دينار وإن الأنفاق لا آخر له إذا لم يكن له بأزائه دخل ولو أردت تحقيق هـذا المال عليك فى حياتى أو الآن حتى لاتصل إلى شئ منه لفعلت ولـكنى أتركه عليك فاقض حقى بحاجة تقضيها لى لاضرر عليك فيها .

المبيت وأغلقوا وانصرفوا فبتنا فى أنعم عيش ليلتنا فلما كان السحر باكرنا الخدم فقالوا مارأيكم فى الحمام فقد أصلح ؟ فقمنا ودخلناه ودخل المرد معنا فمنا من أطلق نفسه معه مما كان امتنع منه بالأمس وخرجنا فبخرنا بالند العتيق وأعطينا الماورد والمسك والكافور وقدمت الينا المرائى المحلاة وأخبرنا غلماننا أن صورتهم فى ليلتهم كانت كصورتنا وانهم أتوا بجوارى الخدمة الروميات فوطئوهن فأقبل بعضنا على بعض يعجب من قصتنا وبعضنا يخاف أن تكون حيلة وبعضنا يقول هذا فى النوم نراه ونحن فى الحديث إذ أقبل صاحب الدار فقمنا اليه وعظمناه فأخذ يسألنا عن ليلتنا فوصفناها له وسألنا عن خدمة الجوارى لنا فحمدناهن عنده . وقال ايما أحب اليكم الركوب الى بعض البساتين للتفرج الى أن يدرك الطعام أم اللعب بالشطرنج والنرد والنظر فى الكتب ؟ فقلنا أما الركوب فلا نؤثره ولكن الشطرنج والنرد والدفاتر . فأحضرنا ذلك وتشاغل كل منا بما اختاره ولم يكن الا ساعتين أو ثلاثا من النهار حتى أحضرنا مائدة كالمائدة الأمسية فأكلنا وقمنا الى الفرش والغلمان المرد فغمزونا وغمزهم منا من كان يدخل فى ذلك وزالت المراقبة وانتبهنا فحملنا الى الحمام وخرجنا فبخرنا وأجلسنا فى مجلسنا بالأمس وجاء أولئك الجوارى ومعهن غيرهن ممن هن أحسن منهن فقصدت كل واحدة صاحبها بالامس بغير احتشام وشربنا الى نصف الليل فحملن معنا إلى الفرش فكانت حالنا هذه أسبوعا فقلت لأصحابى ويحكم أرى الأمر يتصل ومن المحال أن يقول لنا الرجل ارتحلوا عنى وقد استطبتم أنتم مواضعكم وانقطعتم عن سفركم فما آخر هذا ؟

هذا الاحتشام لاضيافنا أعزهم الله أخرجن وهتك الستارة . قال : فخرج علينا جوار لم نر قط أحسن ولا أملح ولا أظرف منهن من بين عوادة وطنبورية وكراعة وربابيـة وصناجة ورقاصة وزفانة بثياب فاخرة وحـلى فغنيننا واختلطن بنا فى المجلس والجلوس وكان تجنبنا أشد وانقباضنا أكثر وضبطنا أنفسنا أعظم فلمـا كدنا أن نسكر ومضى قطعة من الليل أقبل صاحب الدار علينا وقال ياسادة إن تمام الضيافة وحقها والوفاء بشرطها أن يقوم المضيف بحق الضيف فى جميع مايحتاج إليه من طعام وشراب وجماع وقد أنفذت اليكم نصف النهار بالغلمان فأخبرونى بعفافكم عنهم فقلت لعلهم أصحاب نساء فأخرجت هذى فرأيت من انقباضكم عن ممـازحتهم مالو خلوتم بهن كانت الصورة واحدة فما هذا ؟ قلنا: يا سيدنا أجللناك عن تبذل من فى دارك لهذا وفينا من لا يستحل الدخول فى الحرام . فقال: هؤلاء ممـاليكى وهن أحرار لوجه الله إن كان بد من أن يأخذ كل واحد منكم بيد واحدة منهن ويتمتع ليلته بها فمن شاء زوجته بها ومن شاء غـير ذلك فهو أبصر لا كون قد قضيت حق الضيافة . فلما سمعنا هذا وقد انتشينا طربنا وفرحنا وصحنا وأخذ كل واحد منا واحدة فأجلسها إلى جانبه وأقبل يقبلها ويقرصها ويمازحها فتزوجت أنا بواحدة منهن وغيرى ممن رغب فى ذلك وبعضنا لم يفعل وجلس معنا بعد هـذا ساعة ثم نهض فاذا بخدم قد جاؤوا فأدخلوا كل واحـد وصاحبته الى بيت فى نهـاية الحسن والطيب مفروش بفاخر الفرش وفيـه برذعة وطية سرية فبخرونا عليها ونومونا والجوارى إلى جنوبنا وتركوا معنا شمعة فى البيت وما نحتاج إليه من آلة

الارض ولا ندرى أين ننزل فاجتزنا برجل شاب حسن الوجه والثياب جالس على باب دار شاهقة وفناء فسيح وغلمان بين يديه وقوف فقام إلينا وقال : أظنكم على سفر ووردتم الآن . فقلنا نحن كذاك . فقال فتنزلون عليّ وألح علينا وسألنا فاستحيينا من محله وحسن ظاهره وهيئته وحططنا على بابه ودخلنا ودخل أولئك الغلمان يحملون ثقلنا ويدخلونه الدار ولا يدعون أحداً من غلماننا يخدمنا حتى حملوه بأسره فى أسرع وقت وجاؤونا بالطساس والاباريق فغسلنا وجوهنا وأجلسونا فى مجالس حسنة مفروشة بأنواع الفرش الذى لم نر مثله وإذا الدار فى نهاية الحسن والفخر والكبر وفيها دور عدة وبستان عظيم وصاحب المنزل يخدمنا بنفسه وعرض علينا الحمام . فقلنا نحن محتاجون اليه فأدخلنا الحمام فى الدار فى نهاية الحسن وجاء غلمانه نخدمونا بدلا من القيم والمزين وأخرجنا من الحمام الى غير ذلك المجلس فقدم إلينا مائدة حسنة جليلة عليها من الحيوان وفاخر الطبيخ والالوان ونادر الخبز وغريب البوارد وكل شيء وإذا بغلمان مرد فى نهاية الحسن والزى قد دخلوا إلينا فغمزوا أرجلنا فلحقنا من ذلك مع الغربة وطول العهد بالجماع عنت فأمرناهم بالانصراف وفينا من لم يستحل التعرض لهم ويظلف عن ذلك لنزولنا على صاحبهم ثم انتبهنا فنقلنا إلى مجلس آخر على صحنين فى أحدهما بستان حسن فأخرج إلينا من آلات النبيذ كل ظريف وأحضر من الانبذة كل شيء طيب حسن وشربنا أقداحاً يسيرة ثم ضرب بيده على ستارة ممدودة فاذا بجوار خلفها فقال غنين فغنى الجوارى اللواتى كن خلفها أحسن غناء وأطيبه فلما توسطنا الشرب قال ما

سمعت القاضى أبا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمى يقول: كنت بحضرة القاضى أبي عمر بعد قبوله شهادتى بمدة على خلوة وأنس نجرى حديث الملاهى فقلت : فلان يضرب بالرباب . فصاح عليّ أبو عمرو قال: هاه هو ذا تهزأ بنا هو ذا تمس علينا ما هذا الكلام ؟ فقلت : ما هو أيد الله القاضى فوالله ما أدرى أنى قلت شيئاً يتعلق بما قاله القاضى . فقال : قولك يضرب كأنك لا تعلم أن الرباب يجر حتى يجيء صوته ولا يضرب به . فحلفت له بأيمان مغلظة أنى ما علمت هذا ولا رأيت الرباب قط . فقال : ان هذا آفة سبيل الصالح أن يعلم طرق الفساد ليجتنبها على بصيرة لا جهل . فعدت الى دارى فقلت لسائس كان معى : ويلك اطلب لى ربابا فطلبه وجاء به فجره بين يدى فرأيته وكان كما قاله أبو عمر صحيحاً .

قال : واجتاز أبو عمر بطريق قد كسر فيه دن خمر ومعه بعض الشهود فقال الشاهد : شه شه أفيه أفيه . فأمسك عنه فلما جاء فى المجلس ليقيم شهادة لزمته توقف عن استماعها فقامت قيامة الشاهد وطرح عليه من يسأله فقال : هذا كذاب أو جاهل لا يسعنى قبوله وذكر حديث الخمر . وقال : ليس تحريمها يقلب رائحتها فى الطيب الى النتن حتى يقول هذا ما قاله وما قاله الا وهو يعلم أن رائحتها طيبة فنمس وكذب أو هو جاهل بهذا القدر ولا أقبله .

حدثنى أبو محمد يحيي بن محمد بن فهد قال : حدثنى بعض الكتاب قال : سافرت وجماعة من أصدقائى نريد مصر للتصرف فلما حصلنا بدمشق كان معنا عدة بغال عليها ثقل وغلمان لنا ونحن على دوابنا أقبلنا نخترق

مفردة والدراريع الديباج مفردة وكذلك القمص والسراويلات والجباب والطيالس والعمائم . قال : وكان له بنو عم ورثوه وأم ولد قد تزوجها فلما مات أخرجت جميع آلاته وقماشه وثيابه الا اليسير من الدار فخبئته وذهب عليها صناديق السراويلات فلم تخرجها فجاء بنو العم فختموا على الخزائن فلما انقضت المصيبة فتحوها فوجدوها «أخلى من فؤاد أم موسى» فخاصموها الى قاضى البلد فلم تنقطع الخصومة فدخلوا الحضرة فتظلموا فأشخصت وحملت الى القاضى أبى جعفر بن البهلول ووقع اليه بالنظر فيما بينهم على طريق المظالم فحضروا عنده وأخذ يسائلهم عن دعواهم وهى منكرة جميعها فقالوا له : أيها القاضى فلان أنت أعرف الناس بمروءته وثيابه وما كنت تشاهده له وكله كان فى يدها له وساعة مات ختمنا خزائنه وهى كانت فى الدار ولما فتحناها لم نجد له فيها الا عدة صناديق فيها سراويلات وقطعاً يسيرة من ثيابه فأين مضى هذا ومن أخذه وما السبب فى عظم السراويلات وقلة الثياب ؟ قال : فأقبلت الجارية محتدة كأنها قد أعدت الجواب فقالت : أعز الله القاضى أما سمعت ماحكاه الجاحظ من أن رجلاً يعشق الهواوين فجمع منها مائتى هاون ؟ هذا كان يعشق السراويلات . قال : فضحك القاضى أبو جعفر وانفض المجلس من غير شئ فما استنصفوا منها بعد ذلك .

تقدم إليّ رجلان بالأهواز فادعى أحدهما على الآخر حقاً فأنكره فسألته فقلت : أتحلف ؟ فقال : ليس له عليّ شئ فكيف أحلف ؟ لو كان عليّ شئ حلفت له وأكرمته .

رأسها الرصاص حتى خفى أمرها والتزقت وجعلت فيها حلقة وسيرا وكنت أمشي وأتوكأ عليها فخرج علينا اللصوص والأكراد فى عدة مواضع وأخذوا كلما كان فى القافلة ولم يعرض لى أحد إلى أن خرج علينا آخر دفعة اللصوص رجالة فشلحونا فرأى أحدهم عكازى فاستملحها فأخذها فلحقنى من الجزع عليها بسبب الدنانير أمر عظيم فأخذ أهل القافلة يتلهون بي ويقولون : معنا من قد ذهب منه الأموال والامتعة ما قلق قلقك على خشبة . وأنا ممسك لا أصرح بما كان فيها . قال : وتمادى السفر بنا إلى أن وصلت الى مقصدى فبقيت منقطعاً بى واحتجت إلى أن تصرفت ببدنى فى بعض المهن نحو سنة فلما كان بعد سنة اجتزت برهدارى على الطريق وإذا بين يديه قناة تشبه قناتى وتأملتها فأذاهى ورطلتها فأذا ثقلها بحاله فقويت نفسى وقلت للرجل تبيعنى إياها ؟ فقال : نعم . فقلت بكم فقال : بدرهمين . ولم أكن أملك غيرهما فقلت أعطيه إياها على الله تعالى فأن كان مالى فيها فقد فزت والا ابلى عذرا بينى وبين نفسى فأعطيته الدرهمين وأخذت العكاز وصعدت إلى مسجد وطلبت أشفى من بعض الأساكفة وأصعدت به معى إلى المسجد وشققت العصا فأذا بدنانيرى قد خرجت عليّ بعينها فأخذتها ورميت بالقناة وحمدت الله تعالى على حفظ ذلك عليّ وانصرفت فتجهزت وخرجت إلى بلدى بتجارة وخير .

حدثنى أبو على الحسن بن محمد الأنبارى الكاتب قال : مات عندنا بالأنبار فلان وأسماه وكان عظيم النعمة وافر المروءة كثير الثياب وكان لكثرتها يحصل كل فن منها فى عدة صناديق وكانت دراريعه الدبيقية

طويلة ومراوضات بخمسين ألف درهم وقبضت الثمن ثم شك فيهما فأحضرنى وطالبنى بالمال . فقلت : إن كنت تريد أخذ المال باليد والقدرة فأنت السلطان مالى بك قوة وإن كنت تريد أخذه بحجة فبينى وبينك أهل الصنعة . فقال : ليس بعمان من أثق بعلمه . فقلت له : فسرنديب قريبة منك وهى المعدن فأنفذهما إلى هناك فإن قيل إنهما ليسا بياقوت رددت المال . ووضعت فى نفسى أن أتجر فى المال إلى أن ينكشف الأمر فأربح فيه مالا ثم أرد عليه أصل ماله . قال : فضمننى المال على الشرط والمقام وأنفذ الفصين فلما كان بعد سنة أو قريب منها أحضرنى وأخرج كتبا إليه من هناك يذكر فيها أنه جمع أهل الصنعة بسرنديب كلهم وعرض عليهم الفصين فقالوا : هما ياقوت أحمر إلا أن فيه رخاوة ولو كان أصلب من هذا ما له قيمة وإن هذا ياقوت ليس من هذا المعدن . فقرأت الكتب فقال : رد المال . فقلت ما يلزمنى ما بعتك على أنهما من معدن سرنديب أو غيره من المعادن ولا عليّ أنهما صلبان أو رخوان وقد شهد أهل المعدن أنهما ياقوت وقد نعتوهما بالرخاوة وقالوا : إنه لولا هذا العيب ما كان لهما قيمة ولولا هذا العيب ما بعتك بخمسين ألف دينار وأنا تاجر قد قصدت بلدك ولا تظلمنى . فقال لمن بحضرته : ما تقولون ؟ فقالوا : نحن معه فافرج عنى

وحدثنى أيضا الحارثى عمن حدثه : قال سافرت فى بعض الجبال وكان معى دنانير خفت عليها فأخذت قناة مجوفة وجعلت فى انبوبة منها الدنانير حتى امتلأت بها فلم تجلجل ولا جاء لها صوت ثم صببت فى

أعرفك أنك أنت الأحمق لا أنا . قال كيف ؟ قلت : قم معى حتى أعرفك ذلك . فأقمته ومضينا حتى اجتزت بكسار يبيع التمر فى قصعة والذباب يحيط بها فنحيت الرجل بعيدا من القصعة وجعلت الحجر عليها فحين استقر عليها طار جميع الذباب وتركته ساعة وهى خالية من ذبابة واحدة فما فوقها ثم أخذت الحجر فرجع الذباب ثم رددته فطار الذباب ففعلت ذلك ثلاث مرات ثم خبأت الحجر وقلت : يا أحمق هذا حجر الذباب وأنا قدمت فى طلبه من خراسان يجعله الملوك عندنا على موائدهم فلا يقربها الذباب ولا يحتاجون إلى مذبة ولا إلى مروحة والله لولم تبعنى إياه إلا بخمسمائة دينار لاشتريته منك . قال : فشهق شهقة قدرت أنه تلف ثم أفاق منها بعد ساعة وافترقنا وخرجت بعد أيام إلى خراسان والحجر معى فبعته على نصر بن أحمد أميرها بعشرة آلاف درهم .

حدثنى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد العسكرى قال : كان عندنا بعسكر مكرم شيخ أصفهانى مشهور يعرف بالكافورى يتجر فى الجوهر وكان حسن البصيرة بها فأخبرنى أنه اشترى فصين وباعهما مالكهما على أنهما بجاذيين [1] ولم يعرفهما . قال فعرفتهما أنا وعلمت أنهما بلخش وهو جنس يشبه الياقوت الأحمر فاشتريتهما منه بثلثمائة درهم وجلوتهما بالبصيرة فخرج لهما من الماء أمر عظيم واتفق أن خرجت إلى عمان وهما معى فعرضتهما على يوسف بن وجيه الأمير وادعيت أنهما ياقوت أحمر فوصفهما لكل جوهرى وكانوا يصدقوننى فابتاعهما منى بعد خطوب

(١) الصواب بزاديان

متى انهزم بجكم فما كان باسرع من أن جاءنا منهزماً فطار الناس على وجوههم . وقال أبو العباس لحرمه : اخرجوا . فتباطؤا لسبب حليهن فلما زاد عليه الامر دخل فقال : ما لكم إنْ كنتم قد صادفتم صديقا فأقيموا وعرفونى لأهرب وحدى وإن كنتم اتخذتم جنة فاحملوها معنا وإلا فالسيف قد لحق بنا فما هذا التباطئ عن الهرب لندرك ؟ فحدثوه بحديث الحلى ورهنه فكتب إليّ :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلبتَ الجوارى حليهن فلم تدع ... سواراً ولا طوقاً على النحر مذهبا

فاستحييت منه وبعثت بالحلى فأخذه ورحل بجواريه ورحلنا ودخل الديلم البلد .

حدثنى أبو محمد عبد الله بن عمر الحارثى قال : حدثنى رجل خراسانى من بعض أصحاب الصنعة ممن كان يعرف الأحجار الخواصية قال : اجتزت برهدارى بمصر فرأيت عنده حجرا أعرفه يكون وزنه خمسة دراهم مليح المنظر وقد جعله بين يديه فى قماشه وكنت أعرف أن خاصيته فى طرد الذباب وكنت فى طلبه منذ سنين كثيرة فحين رأيته ساومته فيه فاستام عليّ به خمسة دراهم فلم أماكسه ودفعتها إليه صحاحاً فلما حصلت فى يده وحصل الحجر فى يدى أقبل يطنزنى ويسخر منى ويقول: نخون هؤلاء الحمير لا يدرون أيش يعطون ولا أيش يأخذون والله إن هذه الحصاة رأيتها منذ أيام مع صبى فوهبت له دانق فضة وأخذتها وقد اشتراها هذا الاحمق منى بخمسة دراهم . فرجعت إليه وقلت له : يجب أن

فقلت لها أى شيء دهاك فردت بقول كئيب حزين
دهانى ان لست فى قالبى واخشى من الناس ان يبصرونى
وإن يعبثوا بمزاح معى وإن فعلوا ذاك بى قطعونى
فقلت لها مرض تعرفين من المنكرين لهذى الشؤون
ومن كان يشهق إما رآك ويخرج من جوفه كالرنين
ومن كان يصفع فى الله لا ي مل ويشتد فى غير لين
ويسلح ملأك كيل التمام إما على صحة أو جنون
ففارقها ذلك الانزعاج وعادت إلى حالها فى السكون

أنشدنى أبو رياش أحمد بن أبى هاشم القيسى (ومحله من علم اللغة والشعر المحل المعروف) لنفسه فى ابى محمد المهلبى وكان امتدحه فتأخرت عنه صلته وطال إليه تردده على ما أخبرنى به أبو رياش قال فقلت :

وقائلة قد مدحت الوزي ر وهو المؤمل والمستماح
فماذا أفادك ذاك المديح وهذا الغدو معا والرواح
فقلت لها ليس يدرى امرؤ بأى الامور يكون الصلاح
عليّ التقلب والاضطراب جهدى وليس عليّ النجاح

سمعت أبا يحيي زكريا بن محمد بن زكريا الرامهرمزى يحدث ابى قال : كان أبو العباس عبيد الله بن دينار صديقى وكان مقيما عندنا برامهرمز فلحقته اضاقة فضيق على عياله فأنفذوا إليّ أساورة ودمالج وخلاخل ذهب واقترضوا عليها ثلثمائة دينار فأقرضتهم ومضت شهور وجاء الديلم يريدون البلد وخرج بجكم إليهم فهارب الناس منهم وعملنا على الهرب

الرجل فرفع رأسه بعد ساعة وقال ردوا الرجل فردوه فاعتذر إليه وأمر له بصلة وقال : تأخذها إلى أن أقلدك ما يصلح لك فأنى أرى فيك مصطنعا فلما كان بعد أيام قلده عملا جليلا وصلحت حال الرجل .

حدثنى أبو القاسم قال : كانت فى أبى الحسين بن أبى البغل منافرة ومناكرة فورد عليه يوما كتاب من عامل له من بلد بينه وبينه فراسخ كثيرة وقد سحاه بسحاة غليظة واجتهد أبو الحسين فى قطع السحاة بيده وجهد جهدا شديدا فما كان له الى ذلك طريق فترك الكتاب ووقع بأشخاص العامل ومضى اليوم فلما كان بعد أيام قدم العامل فلما جلس بين يديه قال لصاحب الدواة : أين ذلك الكتاب الذى ورد منه بالأسحاة الغليظة ؟ فأحضره فقال له : اقطع هذه الأسحاة فرامها العامل ولم يكن فيها حيلة فأخذ سكينا من دواة بعض الكتاب بحضرته فقطعها . فقال له : أرجع الآن إلى عملك فأنما دعوتك لتقطع هذه الأسحاة وأعلمك أنك أى وقت سحيت كتابا لك بمثلها أنى أستحضرك لتقطعه فرده فى الحال إلى عمله وما تركه يقيم ساعة ولا سأله عن شىء فى أمره .

وكان قد ولى القضاء بالبصرة فى سنة ست وخمسين وثلمائة رجل لم يكن عندهم بمنزلة من صرف به لانه ولى صارفا لأبى الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى فقال فيه أبو القاسم بن بشر الآمدى كاتب القاضيين أبى القاسم جعفر وأبى الحسن محمد بن عبد الواحد :

رأيت قلنسية تستغيـ ـث من فوق رأس تنادى خذونى
وقد قلقت فهي طورا تميـ ـل من عن يسار ومن عن يمين

جميعها فقال له الرجل : إن رأيت أن تقرأها وتقف على جميعها فصخب وتغيظ وقال أليس كلها فى معنى واحد قد والله بلينا بكم يا ظالمين كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفا لو كانت خزائن الأرض اليّ لكانت قد نفذت . ثم قال للرجل : يا هـذا مالك عندى تصرف ولا إليّ عمل ساعة أرده إليك ولا فضل من مالى ما أبرك منه بحسب هـذا . قال : والرجل ساكت جالس إلى أن أمسك ابن أبى البغل فلما سكت ومضت على ذلك ساعة قام الرجل قائما وقال أحسن الله جزاءك وتولى مكافأتك عنى بالحسنى وفعل بك وصنع . قال : وأسرف الرجل فى شكره والدعاء له والثناء عليه بأحسن لفظ وأجود كلام وولى منصرفا . فقال ابن أبى البغل : ردوا من خرج وقال له : تسخر منى على أى تشكرنى على إياسى لك من التصرف أو على قطع رجائك من الصلة أو على قبيح ردى لك عن الأمرين أو تريد خداعى بهذا الفعل ؟ قال : لا ما أردت خداعك وما كان منك من قبيح الرد غير منكر فأنك سلطان ولحقك ضجر ولعل الأمر على ما ذكرته من كثرة الواردين عليك وقد بعلت بمن حضر ونحوسي أن صار هذا الرد القبيح والإياس الفظيع فى بابى ولم أشكرك إلا فى موضع الشكر لانك صدقتنى عما لى عندك فى أول مجلس فعتقت عنقى من ذل الطمع وأرحتنى من التعب بالغدوة والرواح إليك وخدمة من استشفع بهم عليك وكشفت لى ما أدبر به أمرى وبقية نفقتى معى وأجلها تجملى الذي أتجمل به فى بلد آخر فأنما شكرتك على هذا وعذرتك فيما عاملتنى به لما ذكرته أولا . قال : فأطرق ابن أبى البغل خجلا ومضى

ظلمك إياه . فقال : السمع والطاعة لأمر الوزير . فقال لى على بن عيسى : انكب على رأس أبيك ويده فقبلهما . قال : ففعلت ذلك وجذب على بن عيسى دواته ودرجا فأعطاهما أبا الهيجاء وقال : اكتب له بالضيعة إلى أن تشهد . فكتب أبى بالضيعة لى وقال الوزير : خذ خذ فاذا عاد إلى البيت فاكتب عليه العهد وأشهد عليه جماعة من العدول فان امتنع عرفنى حتى أطالبه لك بذلك . قال : وخرجنا ونحن مصطلحون فلما صرنا فى الدهليز قال أبي : يا حسن أنا عاتبك على نفسى بالوصية التى وصيتك بها كأني بك وقد جئت لتشكوني فلما صرت فى الدهليز ذكرت وصيتى لك فقلت : لأن استعملها مع أبى أولى فلما صرت فى مجلس الوزير قلت له ما قلت ولم تشكني إليه . قلت : والله يا سيدى كان . فقال : إذا كان فيك من الفضل ماقد حفظت معه وصيتى فى مثل هذه الحال فما ترى بعدها منى ما تكرهه. فقبلت يده وعدت معه إلى دارنا فسلم إلىّ الضيعة وأشهد بها لى وصلحت نيته بعد ذلك واستقامت الحال بيننا وكان قبول الوصية أبرك شئ عليّ .

حدثنى أبو القاسم سعد بن عبد الرحمن الأصفهاني كاتب الأمير أبى حرب سند الدولة الحبشى ابن معز الدولة ومحله من النبل والجلالة والثقة والأدب والعلم مشهور قال : كان أبو الحسين بن أبي البغل يتقلد بلدنا فأخبرني من حضر مجلسه وقد دخل إليه شيخ قدم من بغداد بكتب من وزير الوقت ومن جماعة من رؤساء الحضرة وإخوان أبى الحسين بها يخاطبونه بحضرته ونفعه فسلم وجلس وأوصل الكتب وصادف ضجراً وضيق صدر وكانت أضبارة عظيمة فاستكثرها ابن أبى البغل ولم يقرأها

فقال : من تعنى ؟ فقال : الحسن هـذا القائم فعل الله به وصنع . فقال له الوزير : يا هذا قد وسوست أى شئ كان أول هذا ؟ والله ما نطق هذا الفتى فى أمرك بحرف ولا سمعته قط ذكرك بما يوجب عتبا عليه وكيف علىّ فى تمكيني منه ؟ ولو فعل ذلك لغض به عندى من نفسه . فاستحي أبى وعلم أني لم أخاطب الوزير بشئ وأمسك . فقال له الوزير : لا بد من أن تحدثنى بما بينكما فانك ما حملت نفسك على الرجوع إلا لأمر عظيم وهو ذا أرى الحسن أيضاً به أثر قبيح وقد سألته فقال ان كرة أفلتت من يد غلمان ضرب معهم بالصولجان فأصابت وجهه فوقع الىّ أنه صادق فلما جئت الآن وقدرت أنه قد شكاك وقع لى أن هـذا شئ من فعلك ولا بد أن تصدقنى . قال : فقص عليه أبو الهيجاء القصة كما جرت ناقبل عليه على بن عيسى فقال : ما تستحي يا أبا الهيجاء أن يكون هـذا قدر حلمك عن ابنك وأكبر ولدك فاذا كنت بهذا الطيش معه فكيف تكون مع الغريب وأى شئ كان فى مسألته لك أن تهب له ضيعة لو فعلت ذلك ما كان ذلك بدعا من أمر الآباء بأولادهم ولما لم تسمح له بذلك قد كان يجب أن ترده ردًّا جميلاً أو قبيحاً اذا اغتظت وأما أن تبلغ به ضرب السياط آه آه . قال : وزاد عليه فى العتب والتوبيخ وهو مطرق مستحي حتى قال له : وليس العجب من هذا حتى رجعت من عملك غيظاً عليه وقدرت أنه قد شكاك الىّ وأني أطلق له بنقصك فجئت عاتباً علىّ لوهم توهمته فيه . قال: فأخذ أبى يعتذر اليه من ذلك فقال : والله ما أقبل عذرك ولا تنغسل عن نفسى هـذه الآثار الا بأن تشهد لحسن بالضيعة وتهبها له جزاء عن

بغداد وأنا وقيذ من الألم والغيظ حتى وردت بغداد وكان الوزير إذ ذاك علىّ بن عيسى وهو فى غاية العناية بأبى وهو قلده العمل وكان يحبنى ويكرمنى ويختصنى ففكرت أن أدخل اليه أشكو أبى وأريه الأثر الذى بى فقصدت دارنا فأدخلت البغلين والقماش الى الدار ولم أنزل وتوجهت الى دار الوزير فحين نزلت عن دابتى وصرت الى الصحن ذكرت وصية أبى لى فى أمر الأهل وندمت على دخول دار الوزير وقلت : لأن أقبل الوصية فى أبى أولى من قبولها فى الأهل . فعملت على أن أغالط الوزير ولا أعرفه وجئت وسلمت على الوزير ووقفت بين يديه ولم تكن عادتي تجرى فى جلوسى بحضرته فحين رآني أعظم الأثر الذى بوجهي وقال : ما لحقك ؟ وأنكره لأنه كان قبيحاً جدّاً . فقلت : لعبت بالصولجان والكرة فأفلتت فضربت وجهي . فقال : أليس كان قد خرجت مع أبيك فلم رجعت ؟ فقلت : خرجت مشيعاً فلما بعد عدت لألزم خدمة الوزير . قال : فأخذ يسألنى عن مسير أبى فاذا بأبى قد دخل واذا هو لما رجعت من الطريق وبلغه خبر رجوعى قد اغتاظ فرجع إما ليردني أو ليقبض علىّ وجاء الى داره فعرف أني لم أنزل وأني توجهت الى دار الوزير فلم يشك فى أني قد مضيت أشكوه فجاء فوجدني أخاطبه فتحقق ذلك عنده فجلس فقال له الوزير : ما ردك يا أبا الهيجاء ؟ فقال : أيها الوزير ما هذا حق خدمتي لك ومناصحتى إياك وانقطاعى اليك وأخذ يعتب على الوزير أعظم عتب وأنا قائم ساكت أسمع . فقال له الوزير : فما هذا العتب على أى شئ عملت ؟ فقال : تمكن هذا الكلب من ذكرى بحضرتك والتبسط فىّ ؟

أهلك ويراك الناس عنده وجيهاً فيكرمونك فان كان له منزلة من السلطان جاز أن تصل اليها باستخلافه إياك عليها أو انتقاله الى ما هو أكبر منها وكذلك ان كانت منزلة من غير سلطان . ولا تقل أنا أقعد منه فى النسب وإني خير قرابته وهذا أمس كان وضيعاً وكان دوننا فان الناس بأوقاتهم . فقلت : نعم يا سيدى . قال : ثم أقبل عليّ وونسنى (١) وولد لى فى نفسه القيام على تلك الدواب منزلة فقال : اخرج معى الى العمل . وخرج فخرجت معه وكنت أسايره الى جسر النهروان أحادثه فولد ذلك الانبساط فى نفسى طمعاً فيه أن أسأله شيئاً فذكرت بجسر النهروان أن له ضيعة جليلة عظيمة بنواحى الموصل يقال لها النهروان كنت اشتهيتها فقلت له : ياسيدى قد كثرت مؤنتى وتضاعفت نفقتى فلو وهبت لى النهروان ضيعتك لأستعين بغلتها على خدمتك ما كان ذلك منكراً . قال : فحين سمع هذا تغيظ غيظاً شديداً واندفع يشتمنى بأقبح شتيمة وقال : يا كلب سمت بك نفسك الى أن تملك النهروان ؟ وقنعني بالسوط الذى كان فى يده وهو مفتول كالمقرعة فوقع السوط على وجهي فشجه من أوله الى آخره وأحسست بالنار فى وجهي وورد ذلك على غفلة فتداخلنى ألم عظيم وغيظ مما عاملنى به أشد من الألم . وقلت فى نفسى : ما كان هذا جوابي وقد كان يقنعه أن يردني ولكن نيته فاسدة لى بعد وقصرت عن مسايرته ولحقنى غلماني فوقفوا معى ساعة حتى صلحت قليلا وسار هو فعننت رأس دابتى وأنفذت من رد بغلين كانا لى فى السواد عليهما قماشى وثيابي وغلماني ورجعت أريد

(١) يريد وانسنى

رددت أمرها اليك لأجربك بها فى الأمور الكبار فان قمت بها حتى تصح وتبرأ وتسمن وكان فيك فضل لذلك قلت انك تصلح لما فوقه وان لم تصلح على يدك فهو أول عمل رددته اليك من أمرى وآخره. فعجبت من أول عمل أهلنى له أن أكون سائس دواب ولم أجد بداً من الصبر فقلت: السمع والطاعة. وأخذت الدواب وأفردت لها اصطبلا وجعلت لنفسى فيه دكة واستأجرت لها سواساً وأدرت أرزاقهم وطالبتهم بأشد الخدمة وكنت أحضر أمر الدواب دفعات فى اليوم حتى توقح وتعالج وتسمن وأفردت بياطرة فرها لذلك فما مضى عليها الا شهر وأيام حتى صحت وسمنت وصارت على غاية الحسن. وأزف خروجه فقال لى: يا حسن ما فعلت بتلك الدواب؟ فقلت: قم الى الأصطبل حتى تراها. فقام فرآها فى غاية الحسن فسر بذلك وأعجبه وأثنى عليّ وقال لى: يا حسن هوذا أعلمك بدل قيامك بهذا الأمر شيئاً تنتفع به وفيه قضاء حقك بقدر ما أتعبتك فيه. فقلت: يا سيدى قل. قال: اذا رأيت السلطان قد رفع من أهلك رجلاً أو الزمان قد نوه به ورأيته فاياك أن تحسده وتشغل نفسك بعداوته فانك تتعب ولا تصل الى فائدة وتسقط أنت ولا تضره هو وتغتم أنت ولا يتأذى هو وتغض من نفسك ببغضك من رجل صار كبيراً من أهلك فانه ما ارتفع الا بآلة فيه يرفعك بها أو اقبال يدفعك عنه واجهد أن تخدمه وتصافيه الود ليكون ذلك الفضل الذى فيه فضلاً لك وذلك الفخر راجعاً اليك وتجمل بثنائه عليك واطرائه لك وتصير أحد أعوانه فانه أحسن بك من أن تكون من أعوان غيره ممن ليس من

ثم بدأت بعمل مقصورتى التى أولها :

لولا التناهى لم أطع نهى النهى أى مَدى يطلب من حاز المُدى

حدثنى أبو عبد الله بن هرون التسترى المقرئ وكان أقام بمسجدنا بالبصرة قال : أقمت أحفظ القرآن سنين كثيرة فلما بلغت الى موضع أنسيت الذى قبله حتى كأنى ما سمعته قط فشق ذلك علىّ فحججت وتعلقت بأستار الكعبة ودعوت الله تعالى وسألته أن يعيننى على حفظه ورجعت الى البصرة فلزمت التلقين فحفظت القرآن فى ستة أشهر على حرف أبي عمرو ثم تعاطيت السبعة فما حال الحول عليّ الا وقد حكمت أكثرها .

بلغنى عن بعض الصوفية أنه قال : الاستغفار صابون المعاصى والشكر لله عزوجل سفتجة الرزق والصلاة جوارشن المعدة والصوم روباس البدن واليقين الرأس الأكبر .

وعن بعضهم من أهل زماننا المعرفة بالله دليل لا ضيعة معه والعمل الصالح زاد لا يخاف معه طول السفر .

حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد قال : حدثنى أبو اسحق محمد بن أحمد القراريطي قال : حدثنى ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان قال : كان أبي أبو الهيجاء شديد الانحراف عنى أول نشوءى لما يراه من الفضل فىّ وخوفه منى على أعماله فكان يغض منى ويتجافاني ويمسك يده عنى فأتحمل ذلك وأصبر عليه فولى طريق خراسان فجلس يعرض دوابه فبقى منها خمسين دابة ما بين زمن وأعجف الى غير ذلك ثم قال : يا حسن أريد أن أخرج بعد شهرين الى العمل وهذه الدواب مسلمة اليك وقد

على الكميت مناقبه بنزار أولها :

أفيق من ملامك يا ظعينا كفاني اللوم مر الأربعينا

وهى نحو ستمائة بيت فاشتهيت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن وأهلى فقلت : يا سيدى تخرجها إلىّ حتى أحفظها . فدافعنى فألححت عليه فقال : كأنى بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ثم ترمى بالكتاب وتخلقه علىّ . فقلت : ادفعها الىّ فأخرجها وسلمها الىّ وقد كان كلامه أثر فىّ فدخلت حجرة كانت برسمى من داره نخلوت فيها ولم أتشاغل يومى وليلتى بشئ غير حفظها فلما كان فى السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها نخرجت اليه غدوة على رسمى فجلست بين يديه فقال : هى كم حفظت من القصيدة ؟ فقلت : قد حفظتها بأسرها . فغضب وقدر أنى قد كذبته وقال لى : هاتها فأخرجت الدفتر من كمى فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد الى أن مضيت فى أكثر من مائة بيت فصفح منها عدة أوراق وقال : أنشد من هاهنا فأنشدت مقدار مائة بيت الى آخرها فهاله ما رآه من حسن حفظى فضمنى اليه وقبل رأسى وعينى وقال : بالله يا بنى لا تخبر بها أحداً فانى أخاف عليك من العين .

حدثنى أبى قال : حفظنى أبى وحفظت بعده من شعر أبى تمام والبحترى سوى ما كنت أحفظه لغيرهما من المحدثين والشعراء[1] مائتى قصيدة قال : وكان أبى وشيوخنا بالشام يقولون : من حفظ للطائيين أربعين قصيدة ولم يقل الشعر فهو حمار فى مسلاخ انسان . فقلت الشعر وسنى دون العشرين

(١) لعله : والقدماء

انفذني صاحبي لأنفق في رجال لأبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء فأنفقت فيهم واستفضلت أنا وكاتب أبي محمد والجهبذ والنقيب نحو عشرة آلاف درهم فقالوا : ندخل في موضع ونتحاسب ونقسم . فدخلنا مسجدا حيال دار أبي محمد ولم نر فيه إلا رجلاً عليلاً نائماً كأنه سائل فحقرناه وأخذنا نتحاسب ونقول وصل إلينا من رزق فلان الساقط كذا وفلان البديل كذا ومن الصرف كذا ومن فضل الوزن كذا ومن كذا كذا إلى أن حصلنا مبلغ الفضل وما يخص كل واحد منا فأقبلنا نزن . فشال العليل رأسه وقال : يا أصحابنا أخرجوا لي قسطا . فقلنا : ومن أنت ؟ قال : أنا رجل من المسلمين قد سمعت ما كنتم فيه . فقلنا : هو ضعيف أعطوه خمسة دراهم . فقال : لا أريد إلا قسطا صحيحا بالسوية مثل ما يأخذه أحدكم . فاستخففناه فقال : لا عليكم إما أعطيتموني ما التمست والا جلست الساعة في سميرية ومضيت الى أبي بكر الصيرفي وقلت : انكم أخذتم باسم فلان البديل كذا وكذا (قال فأعاد جميع ما قلنا وتحاسبنا عليه حتى ما أخل بحرف واحد منه) فأقل ما يعمل بكم اذا لم يصرفكم ويؤذكم أن يرجع منكم ما سرقتم . فنظرنا الى ما قاله فوجدناه صحيحا فرمنا منه أن يقتصر على بعض ما طلبه . فقال : لا والله الا بقسط كما يأخذ أحدكم . فلم نجد من دفع ذلك اليه بدًّا فدفعنا اليه قسطاً مثل ما أخذه واحد منا فأخذه وافترقنا .

حدثني أبي قال : سمعت أبي ينشد يوماً وسني إذ ذاك خمس عشرة سنة بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفتخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم ويرد

كنا فيه فقال : يا شيخ لا تستحي تمدحنا بقصيدة ليست لك تدعيها ؟ قال : ولم أكن أعرف خبره فى سرعة الحفظ فقلت : أعيذك بالله ياسيدى والله ما قالها غيرى . فقال : سبحان الله هذه علمنيها المعلم فى المكتب من كذا وكذا سنة . وابتدأ ينشدها حتى مضى فى جميعها ما أخل ببيت واحد وكانت فوق الخمسين بيتا فاسقط فى يدى نخجلت واندفعت أحلف بالطلاق والعتاق أنها لى وأنا لا أدرى من أين أتيت . فلما رحمنى القاسم قال : يا هذا لا تقلق فأنى أعلم أنك صادق ولكن أبا عبد الله لا يسمع شيئا ينشد طويلا ولا غيره إلا حفظه فى دفعة واحدة يسمعه وإنه حفظها لما انشدتنا إياها وأجازنى وانصرفت .

حدثنى أبى أن جماعة كان عملها جعفر بن القاسم تحتوى على ارتفاع فارس أو ناحية من فارس (الشك منى) ومشايخ الناحية ومعاملاتها وخراجها وما أدى وما بقى ودخل ذلك وخرجه وكان يرفع حسابها إلى الوزير وطلبت الجماعة فقفقدت فقال أبو عبد الله [1] : لا عليكم وأملاها من حفظه فى الحال بحضرة الوزير ودفع [2] الحساب عليها ثم وجدت الجماعة التى كانت ضاعت فقوبل بها التى أملاها من حفظه فوجدت موافقة لها حرفاً بحرف إلاّ فى باب واحد فانه جاء به مقدماً ومؤخرا .

حدثنى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عينويه الكاتب قال : حدثنى الكرمانى كاتب كان لأبى بكر ابن الصيرفى صاحب الجيش قال :

(١) بالاصل : ابو جعفر (٢) لعله ورفع

بلغ أبي أن الشمع اذا عتق عشرات سنين ثم استعمل كان ما يحترق منه هذا القدر ونحوه . فعتق شمعاً كثيراً ونسيه ومات وتشاغلت بعده عن استعماله فلما احتفلت هذه الدعوة الآن ذكرت الشمع العتيق الذى فى خزانتنا فأخرجت هاتين منه وكان أمرهما ما رأيت وصحت التجربة لنا فيها .

أخبرنا أبو الفرج الأصفهاني قال : أخبرنا أبو بكر يموت بن المزرع قال : سمعت أبا عثمان الجاحظ يحدث أنه رأى حجاماً بالكوفة يحجم بنسيئة الى الرجعة لشدة ايمانه بها . أخبرني به أبو الفرج الأصفهاني قال : سمعت رجلا من القطيعة يؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن علياً ولى الله محمد وعلى خير البشر . فمن أبى فقد كفر . ومن رضى فقد شكر . ضرطت هند على ابن عمر . حى على الصلاة حى على الفلاح حى على خير العمل الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وهذا عظيم مفرط ونستغفر الله منه ونستعيذه من الجهل .

أخبرني جماعة من البغداديين أن الحنابلة بنوا مسجداً ضراراً وجعلوه سبباً للفتن والبلاء فتظلم منه الى علي بن عيسى فوقع على ظهر القصة أحق بناء بهدم وتعفية لرسم بناء أسس على غير تقوى من الله فليلحق بقواعده ان شاء الله تعالى .

حدثني أبي قال : حدثني أبو عبد الله المنجم قال : أنشدت أبا محمد القاسم ابن محمد الكرخي قصيدة طويلة مدحته بها فلما استتممتها خرج ابنه أبو عبد الله جعفر بن القاسم من خيش كان فى صدر المجلس الذى

أبا محمد المهلبي قال: اجتزت ببغداد فى بعض طرقها فرأيت الناس مجتمعين على رجل طريح فقلت : ما هذا ؟ فقالوا الشبلى جاز الساعة على هذا الهراس ومناديه يقول الى كم تغلط ؟ فتواجد وصاح حتى أغمى عليه . قال فمضيت وعجبت من جهله فرأيت بعض الصوفية فأخبرته الخبر وقلت له : ويحك أيش فى هذا حتى يصيح الشبلى منه ويتواجد ؟ فقال : يعتقد أن الله تعالى يكلمه على لسان المنادى . فقلت : هـذا أظرف لو كان بحذاء المنادى مناد لهراس آخر يصيح مثل صياحه الى كم تغلط ؟ أيهما كان كلام الله ؟ فقال : الجواب عليه فى هذا .

ومن الأخبار المفردات أيضاً ما أخبرنى أبو الحسين بن عياش قال : دعا أبو الطيب بن أبى جعفر الطائى مع أبى القاسم سليمان بن الحسن وابنه أبي محمـد دعوة أنفق فيها مائتى دينار وأظهر من الآلات والنعم والمروءة كل شئ حسن ظريف غريب فاخر وكان أحسن ما شاهدنا له شمعتين موكبيتين فيهما ثلاثون أو أربعون منا فى تورين كبيرين نصبهما فى وسط المجلس وفرق الشموع الصغار حواليهما وكان الفراشون اذا أرادوا قط الشمعتين تطاولوا شـديدا حتى يقطوهما وكان لون الشمعتين غـير مليح يضرب الى البياض مما قد عشب عليهـما التراب وجلسنا الى قريب من الغداة وهما يتقدان فى ليلة شتوية ونمنا وانتبهنا وهما يتقدان فاذا الذى اتقد من كل واحـدة منهما أصابع يسيرة وهما بحالهما . قال : فما تمالـكت أن سألته فيما بينى وبينـه عن سبب ذلك . فقال : هما عندى وعنـد أبي منذ خمسين سنة ما استعملناهما وعندنا شمع كثير هذا سبيله فعمدنا تعتيقه لأنه

ثم تقدم إلى الزيت فاغترف بكفه منه فغسل به صدره وذراعيه وهو يصيح صياحا شديدا يوهم به من حضره أنه يريد الدعاء وكان عندى أنه تألم وتوجع وتأوه ثم نزل فأقبل يدعو ويقول للعامة : أنا أرجو أن أجيئكم بعد أيام بسباع الأجمة أقودها بآذانها . فحملناه معنا إلى منزلنا وتغسل بماء حار وتدلك وبخرناه وأقام عندنا يومه فسألناه عن سبب ذلك فقال : من أطاع الله أطاعه كل شيء . فأمسكنا عنه فلما كان بعد أيام جاء جماعة من الأنبار فقالوا : نحن نغلى الزيت ونعمل كما عمل ونغلى القار ونأخذ من القِدْر بايدينا حارا . قال : فجمعناهم بحضرته فعملوا ذلك فأبلس وقال : هذا إنما لحقتكم بركتي . وهرب من البلد من غد . فسألنا الذين عملوا ذلك فقالوا : جربنا على انفسنا وتصبرنا كما يصبر الواحد منا على الماء الحار الشديد الحرارة فى الحمام ولا يصبر عليه آخرون .

ويشبه هذا ما أخبرنى به أبو احمد بن أبى سلمة العسكرى أحد الشهود بها أنه شاهد رجلا يدخل يده في قدر السكر الحار ويخرج منه ما يطرحه فى الظروف .

وأخبرنى أبو الطيب أنه رأى الشبلى الصوفى يدخل يده فى طنجير حار فيه فالوذج حار مغلى فيأخذ من اللقم فيأكلها . قال : وهذا أشد ما شاهدته وفعل ذلك مرارا فقال له فى بعضها صوفى كان حاضرا : ويحك اعمل أن يدك كسنتيان[1] حلقك مصهرج ؟ قال : وكان الشبلي ينتف شعر رأسه وكانت لهذا الشبلى عجائب وحكايات : منها ما سمعت الوزير

---

(١) لعله كسندان

فوقعت نخط يدك قطعها الله يا عاجز ألا سلمته ثم حملته يا عاض كذا وكذا أردت أن ينطبق لفظك بانطباق ناظرى يا غلام اصفع فصفع وأخذ خطه بالمال .

ومن الأخبار المفردات ما أخبرنى به أبو الحسن أحمد بن يوسف ابن الأزرق قال : قدم علينا بالأنبار رجل من أهل القصر يقال له عمر يعظ العامة ويرى نسكا ويقول : من أطاع الله أطاعه كل شىء وإنه يغمس يده فى الزيت الحار المغلى الشديد الحرارة فلا يضره . فافتتن أهل البلد به واجتمعوا إلى الجامع ليشاهدوا ذلك وسألونى بالحضور فحضرت وإخوتى وسلطان البلد وقد نصب ديكدان فى صحن الجامع على دكة ووضع فوقه طنجير والرجل قائم يصلى فلما جئنا طلبوا زيتا فأنفذت على يد غلامى فجاؤوا بخماسية فصب فى الطنجير وأوقد عليها وقود جيد شديد فلما أغلى الزيت وشق [١] أقبل على أخى وقال يا أبا أحمد الله الا يكون ما أحضرته غير الزيت فأهلك . فحين قال هذا انكشف لى انها حيلة فقلت له : ما هو إلا الزيت . فنزع ثيابه وعمل على بقية كانت فى الخماسية من الزيت مقدارها نصف رطل فصبها فى الطنجير ودعا شاربا فغسل يده غسلا شديدا وذراعيه وصدره ثم أخذ كفا من الماء البارد فرشه على الزيت فزاد نشيشه ثم صعد على الدكة وفى يده صنجات فرمى بها فى الطنجير ثم أدخل يده بسرعة شديدة وصاح بأعلى صوته لا إله إلا الله وغرف بكفه الصنجات فأخرجها ورمى بها بحدة وهو يصيح يا ألله يا ألله بأعلى صوته

(١) لعله ونش

غريب من الخلان فى كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد

حدثنى أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش قال : لما ولى ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد الوزارة صارفاً لابى على بن مقلة وتضمنه هو وأبو العباس الخصيبي بالمال الذى ضمناه به وتسلماه وكنت أختلف إلى أبى القاسم على رسمى فى الملازمة فأرى أبا العباس بحضرته يخاطبه فى معنى أبى على والتشديد فى مطالبته وربما أحضراه ليوقعا به فأقوم لئلا يرانى فيطالب فيضرب فاذا أوجعه المكروه قال : لى فى موضع كذا وكذا كذا فيرفع المكروه عنه ويمضون إلى الموضع ولا يجدون لما ذكره حقيقة . فأذا قال : مالى حال ولا مال وإنما بردت عن نفسى فى الحال ودفعت الموت فلا يتمكن أبو القاسم سليمان من رد المكروه عليه أياما فطالت قصته ولم يستخرج منه شيء فجرت بينه وبين أبى العباس مخاصمة بهذا السبب قال : لا بد من بسط العذاب عليه حتى يروج منه المال من جهته وكان سليمان يستحيي فتقرر الرأى على أن نقل إلى دار أبى الحرث وكان الخصيبي يجيء إليها فيعاقبه ويستخرج المال منه . قال : فاتفق انى دخلت يوماً مسلماً على أبى الحرث وعزمنا على الجلوس للأنس فدخل الخصيبي فدخلت بيتاً من الدار لئلا يرانى وخليا وأخرجا ابن مقلة فأخذ الخصيبي يوبخه ويستخف به على ما ارتكبه منه ومن سليمان ويشتفى منه بالخطاب بكل لون قبيح وقد أقامه بين غلامين وأقام خلفه آخر إلى أن قال له فى جملة كلامه : أقرأنى يعقوب البريدى جوابك إليه لما عدت من البحر فى ظهر كتابى إليك تقول إنه قد امتثل أمرك فى نفيي وحملى إلى اليمن

حاصل منذ أيام عندى فما الذى يأمر الوزير فيه ؟ فقال : يا سبحان الله كأنك قدرت انى استثنيت به لنفسى لقد قبحت فىّ الظن وانما أردت بذلك الاصلاح لحالك وأن أعتقد لك نعمة يبين بها أثر صحبتى عليك فأصلح به أمرك . قال : فقبلت يده وشكرته وعدت الى منزلى وما أتمالك فرحا فحين علمت حصول المال لى حدثتنى نفسى بالوزارة ودعتنى نفسى الى تأهيل نفسى لها والسعى فى طلبها فما زلت من ذلك الوقت أشرع فيها حتى تمت لى .

حدثنى أبو الحسين بن عياش قال : كنت بحضرة أبى على بن مقلة وقد أرجف له بالوزارة الأولى فدخل عليه شيخ من الدينارين كان يكرمه أبو على فأعظمه وجلسا يتشاوران طويلا ثم زاد الكلام حتى سمعت كلام الشيخ وهو يعاتبه على طلب الوزارة ويثنيه عنها ويشير عليه أن لا يدخل فيها وأبو على ساكت فلما انقضى كلامه قال له أبو على : بلغنى عن معاوية وهو ممن لا يدفع عن علم بالدنيا أنه من طلب عظيماً خاطر بعظيمة . قال: فقال له الشيخ : أستودع الله الوزير . وقام فما كان الا بعد أسبوع أو أقل حتى خلع على أبى علىّ وقلد الوزارة .

حدثنى أبو الفضل محمد بن عبد الله قال : كنت بسيراف وقت اجتاز بها أبو عبد الله البريدى يقصد على بن بويه فأعظمه الليث وحمله ولقيه وجوه سيراف فى الجيش والناس كلهم وكنت فيهم فسمعته وهو على دابته وهو يقول من طلب عظيماً خاطر بعظيم . وما أحسن ما أنشدنا المتنبي لنفسه من قصيدة مشهورة :

وخاطبنا فى النفوذ الى المعتمد لنشهد عليه بذلك . فقالت الجماعة : السمع والطاعة ونهضت غيرى فانى سكت وجلست . فقال الموفق : شئ تقوله ؟ فقلت : ان أذن الأمير الناصر أعزه الله قلت . قال : قل . قلت : أيها الأمير تنفذنى الى إمام ولسنا نأمن أن يشهدنا على غير ما نريد أن يشهدنا عليه واذا وقفنا بحضرته فأشهدنا لم يجز أن نشهد على غير ما يشهدنا عليه فما تأمر ؟ قال : فكأنى أيقظته من رقدة وأعلمته أنه انأشهدنا على تثبيت أمر المفوض وخلعه هو وتفسيقه وقع الأمر موقعه . فقال : أحسن الله جزاءك وأضرب عن انفاذنا . قال : ثم كان يختصنى بعد ذلك ويستدعينى فىأوقات وكان ذلك أول ما بان من محلى عند أهل بلدى وتقدمت عليهم.

حدثنى أبو الحسن بن الأزرق التنوخى قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : حدثنى أبو على بن مقلة قال : كنت خصيصاً بأبىالحسن ابنالفرات قبل وزارته الأولى وكاتباً له فلما تقلد الوزارة استدعانى بعد جلوسه وقال : أحضر ابن الأخموش التاجر وجماعة من التجار وغيرهم وبايعهم ثلاثينألف كر منغلات السواد واستنقص السعر معهم واستثن فى كل كر بدينارين وطالبهم بحصول الاستثناء اليوم وحصله وعرفنى . قال : فأحضرتهم وقررت السعر معهم وطالبتهم بالاستثناء عاجلا فقالوا : تصححه فى مدة ثلاثة أيام . فعرفته فأجاب فقال : اذا حصل الاستثناء فاكتب لهم الى العامل بتسليم الغلات وقبض الأثمان . فلما كان فى اليوم الثالث حملوا مال الاستثناء وكتبت لهم بالتسليم وقطعنى شغل عرض عن مطالعة الوزير بذلك فلما كان بعد يومين قلت له : ذلك المال الذى استثنى به من غلات السواد

البطيخ فأنجب فلما طالبته بالأجرة احتسب عليّ بالاربعين دينارا التي بر بها الثغرى بشفاعتي . وكان سبب سقوط محله على ما أخبرنى به أبو الحسين ابن عياش القاضي قصة ابنته فانه ذكر أن الخبر استفاض ببغداد أنه دخل داره فوجد مع ابنته رجلا ليس لها بمحرم فقبض عليه وعمل على ضربه بالسياط فأشير عليه أن لا تفعل وقيل له : ان فى ذلك هتكا لابنتك ولك فأطلق الرجل وقيد المرأة واحفظها . فلم يقبل واستدعى صاحب الشرطة فضرب الرجل بالسياط على باب داره وكان الرجل ظريفاً فأنشأ يقول متمثلا وهو يضرب

لها مثل ذنبي اليوم ان كنت مذنبا ولا ذنب لى ان كان ليس لها ذنب

ياقوم أيحد أحد الزانيين دون الآخر اخرجوا صاحبتى والا فافرجوا عني . قال : فافتضح بذلك وانهتك وتناوله الشعراء والخطباء والناس حتى سقط محله وكان من ذلك ما قاله ابن بسام فى قصيدة أولها

يا قومنا ان القيامة دانيه زان يحد ولا تحد الزانيه

وعمل البيت الأول بيت تمام له وهو

فيا بعل ليلى ليس يجمع سلمها وحربى وفيما بيننا سبب الحرب

حدثنى أبو أحمد عبد الله بن عمر السراج الواسطى المعروف بالحارثى قال : حدثنا أبو بكر قال : حدثنى يوسف بن يعقوب المقرئ الواسطى قال : لما دخل الناصر لدين الله الموفق مدينة واسط بعد صاحب الزنج وأقام بها والمعتمد بفم الصلح ووقعت المراسلة بينهما فى خلع المفوض وتقليد العهد من يختاره الموفق استدعانى الموفق وجماعة من شهود واسط

ابو عبد الله بن ابى عوف وأمر بابعاد دابته لتقدم دابة الوزير وحلف الوزير انه لا يركب ولا يقدم دابته حتى يركب ابن ابى عوف . قال فرأيته قائما والناس قيام بقيامه حتى قدمت دابة ابن ابى عوف فركبها ثم قدمت دابة الوزير فركبها وسارا جميعا .

وحدثنى ابو الحسن قال : حدثنى ابى قال : لما خرج عبيد الله الى الجبل واستخلف القاسم لم يكن يعامل ابن ابى عوف مثلما كان ابوه يعامله فشق ذلك عليه وخاف ان ينفذ كتبه بشكاية الى أبيه فتقع فى يد القاسم فجاءنى دفعات يسلم عليّ ولا يسألنى حاجة حتى جعلنى صديقا ثم سألنى أن اجعل كتبه الى الوزير فى طى كتب حرم صاحبي اليه وكان فى جملة القواد المتجردين مع عبيد الله فكنت أفعل ذلك دائما فيوصل صاحبي الكتب الى الوزير سرًّا وينفذ الأجوبة فترد كتب عبيد الله على القاسم فى الخاص بالصواعق فى أمر ابن أبى عوف ويوكل القاسم بالطرق ويوخذ له كتب أكثر الناس فيقف عليها ولا يجد لابن أبى عوف كتابا فيتميز غيظا ولا يدرى من اين يؤتى الى ان قدم عبيد الله . قال : وسألنى فى تلك الأيام رجل من اهل الثغر أن اشفع له الى ابن ابى عوف فى معاونته على أسرى له فى بلاد الروم فامتنعت من ذلك لعلمي انه تاجر على كل حال فألح عليّ فكتبت له رقعة اليه فجاءنى الرجل فشكرنى وذكر أنه اعطاه أربعين دينارا ومضت السنون فسألنى ابن ابى عوف ان أوجره رقة من ضياعى بالانبار يعمل فيها البطيخ الذى نسب فيما بعد الى العبد لأبى وانما هو مضاف الى عبد الله بن ابى عوف فآجرته اياها بمال جليل وعمل

دخل داری فأكلنا ما كان أصلح لی فی يوم الجمعة كما يفعل التجار ونام فلما انتبه احضرته كيسا وقلت : لعلك على إضاقة فأسألك بالله إلا أخذت ما شئت منه . قال : فأخذ منه دنانير وقام فخرج فأقبلت امرأتی تلومنی وتوبخنی وقالت : ضمنت عنه ما لا يفی به حالك ولم تقنع إلا بأن أعطيته شيئا آخر . فقلت جميلا أسديته وهو رجل حر كريم جليل من بيت وأصل فأن نفعنی الله به فذاك وإن تكن الاخرى فلن يضيع عند الله . ودفعت الرجل بوعد وعدته إلى أيام . فلما كان بعد يومين من هذا الحديث جاءتنی رقعة عبيد الله يستدعينی فجئته فقال : قد وردت عليّ غُلَيْلة من ضيعة لی افتلتت من البيع فی النكبة ومقدار ثمنها ما ضمنت عنی فتأخذها وتبيعها وتصحح ذلك للغريم . فقلت : أفعل ذلك فحمل الغلة إليّ فبعتها وحملت الثمن بأسره إليه وقلت له : أنت مضيق وأنا أدفع الغريم وأعطيه البعض من عندی فاتسع أنت بهذه . فجهد أن آخذ منه شيئا فحلفت أن لا أفعل وقررت الثمن عليه وجاء الغريم فألح عليّ فأعطيته من عندی البعض ودفعت به مديدة فلم يمض على ذلك إلا شیء يسير حتى ولی عبيد الله الوزارة فأحضرنی من يومه وجعلنی فی السماء وقام لی فی مجلسه وكسبت به الأموال وقدر هذه النعمة التی أنا فيها .

حدثنی ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول قال : حدثنی أبی قال : خرجت من حضرة عبيد الله بن سليمان فی وزارته أريد الدهليز فخرج ابن ابی عوف فصاح البوابون والحجاب والخلق هاتم دابة أبی عبد الله فحين قدمت دابته ليركب خرج الوزير ليركب فرآه فتنحى

حدثني ابو العباس نصر بن محمد الشاهد خليفة ابى رحمه الله على فرض الاهواز قال : كان الكوكبي محتسبا عندنا قبل أخي ام موسى القهرمانة وكان خشنا منبسط اليد جلدا فوقعت بينه وبين أبى الحسن بن على السراج نفرة فأمسك عنه أياما ثم صار الى بابه على غفلة وقد كان أخذ بالجلوس فى الجامع مجلسين فوقف فى رجالته على الباب وقال : قولوا للقاضى : ليس لك أن تواصل الجلوس فى منزلك ابرز الى الجامع ينالك القوى والضعيف كما أمرت فى عهدك . فدخل اليه الغلمان فأخبروه فقامت قيامته فأخرج من بحضرته من الشهود يدارونه فقال : لا أدخل ولا انصرف أو تركب الى الجامع فما زال بهما حتى أصلح بينهما

حدثني القاضى ابو عمر عبيد الله بن الحسين المعروف بابن السمسار قال : حدثني أبو على بن إدريس الجمال الشاهد : حدثني أبو عبد الله بن أبى عوف قال : كان سبب اختصاصى بعبيد الله بن سليمان انى جزت يوماً فى الجامع بالمدينة فوجدته وهو ملازم فى يد غريم له فى عقب النكبة بثلمائة دينار وكنت أعرف محله من غير مودة بيننا فقلت له : لاى شى أنت ها هنا أعزك الله جالس وما مضيت إلى الصلاة ؟ فقال : ملازم فى يد هذا بثلمائة دينار عليّ . فسألت الغريم إنظاره فقال : لا أفعل . قلت : فالمال لك عليّ تصبر إلى ما بعد أسبوع حتى أعطيك أياه . فقال : تعطينى خطك كذلك . فاستدعيت دواة ورقعة وكتبت له ضمانا بذلك إلى شهر فرضى وانصرف . وقام عبيد الله فأخذ يشكرنى فقلت : تمم أيدك الله سرورى بأن تصير معى الى منزلى فحملته وأركبته حمارى ومشيت خلفه إلى أن

الى مجلس الوزير وتركته فى خفى وأجريت الحديث مع وكيع الى أن شاغبته بالكلام وقلت لا تسكت يا ابن الصناديقى الجاهل فامتعض وأخرجت المحضر وعرضته على الوزير وسألته أن ينفذ ويستدعى أباه ويشاهده فضحك الوزير وسقط وكيع من عينه فقامت قيامته من يدى.

وولى ابو القسم الجهنى عندنا بالبصرة الحسبة من قبل ابى جعفر الصيمرى. فسمعت اذ ذاك شيوخنا يقولون أنهم ما شاهدوا ولا سمعوا من بلغ مبلغه فى ضبط العامة ورفع الغشوش ومن عرف من اسرار البضائع والامتعة ما عرفه حتى كانه لم يحسن مثله وطالب الناس بمطالبات صعبة فانتشر له حديث عظيم جميل فى البلد لذلك وهيبة فى نفوس الاكابر فضلا عن الأصاغر. فاجتاز يوماً وبين يديه رجال بمؤذن يؤذن لبعض الصلوات فقالوا الجهنى فتطلع المؤذن فرآه فقال: الحمد لله الذى لم يجعل لك عليّ طريقاً. فقال للرجالة خذوه الى الدار. فضج من ذلك وقام معه الجيران. وجاءوا ونزل الجهنى فى داره فادخلهم فقالوا له: أمرت باحضار هذا الرجل المؤذن فأى طريق لك عليه؟ فقال: تحتاج أن تحلف لى أن لا تدخل المسجد بالنعل الذى تدخل به الكنيف فان هذا يفسد صلاة الناس ولا تحل ولا تؤذن وانت جنب. فسألوه ان يعفيه. وقال: اما أن تحلف أو لا تدخل المسجد. فما زال به حتى أحلفه على ذلك فلما أراد الانصراف قال له: يا شيخ الآن علمت أن لى عليك طريقا وأن بيننا معاملة أم لا؟ فقال: أيدك الله أخطأت ولا أعلم. فقال: لا تعاود الكلام فيما لا تحتاج اليه فان الفضول ضارّ.

مسجد هنالك كبير فحضر خلق كثير وركبت فحين حصلت هناك قلت على بخلف الصناديقى فجاءوا بالشيخ كما أقيم من العمل وآلته معه ويده ملوثة كما كنت وصيتهم. قلت لهم : أعزكم الله انى كنت سألتكم الحضور لأخاطب هذا الشيخ بحضرتكم بشئ آخذ خطوطكم به فاحفظوا ما يجرى. ثم قلت : ياشيخ من أنت ؟ قال : أنا خلف ابن فلان . قلت : وكيع القاضى من هو منك ؟ قال : ابنى. فقلت لمن حضر من شيوخ المحلة : هو كما قال؟ فقالوا : نعم . قلت : أنت بهذه الصورة مع اتساع حال ابنك ؟ قال : لأنه عاق بى ففعل الله به وصنع فدعا عليه . فقلت له : يا شيخ تحفظ القرآن ؟ قال : أحفظ منه ما أصلى به . فقلت : تحسن شيئاً من القراآت ؟ قال : لا . قلت : كتبت الحديث قط ؟ قال : لا . قلت : رويت من الأخبار والآثار والآداب والاشعار شيئاً ؟ قال : لا . فلم أزل أعدد عليه العلوم وأصنافها وهو يقول : لا لا . قلت : فتحسن شيئاً من النحو والعروض والمنطق ؟ قال : لا . فقلت : أعزكم الله أن وكيعا رجل كذاب متعاط للعلم والادب ولم آمنه فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والكذب فى العلوم وأن يجعل ذلك طريقاً متى مات هذا الشيخ فيقول حدثنى أبى وأخبرنى أبى ويصنع على لسانه كل كذب فأردت أن تحفظوا على هذا الشيخ ما ذكره من أنه ليس من هذا ولا اليه حتى لا يمكنه ادعاء ذلك عليه بعد موته وأن تعرفوا أيضاً فسقه بعقوقه والده وسقوط مروءته بتركه أباه على هذه الحال . قال : فما فارقتهم حتى أخذت خطوطهم بما جرى على أشنع شرح قدرت عليه وأجابوا هم اليه وصرت بالمحضر معى

من كان فى الاكرام مفسدة له   فهوانه أولى من الاكرام

هـذان البيتان من الأمثال الجياد التى يجب أن تسير وفى هـذه القصيدة أشياء حسان منها قوله :

فتركتهم صرعى كأنك بالظبى   عاطيتهم فى الروع كأس مدام
متهاجرين على الدنو كأنما   أنفت رؤوسهم عن الأجسام

سمعت ابراهيم بن الحسن البزاز يقول : كان حريق بالكرخ فى سنة نيف وأربعين وثلثمائة فتلف لى متاع فى دكانى ودارى بمائتى ألف درهم سوى أثمان العقار . فقلت : كم كانت أثمان العقار ؟ فقال أكثر من هذا. قال : فنمى الله عزوجل ما بقى وأعدت منه عقارى ورأس مالى فى دكانى فما أفرق اليوم بين أمرى وبين ما كان قبل الحريق . قلت له : ففى دكانك اليوم متاع بمائتى ألف درهم ؟ فضحك فقال : هذا لا يسأل عنه التجار ولا يصدقون أيضاً اذا سئلوا ولكن ما أفرق بين حالى الساعة وذلك الوقت وأنا من الله عزوجل فى خير . فقال بعض أصدقائه ممن يعرف أمره : فى دكانه متاع بأكثر من هذا .

حدثنى أبو القاسم الجهنى قال : جرى بينى وبين محمد بن خلف القاضى وكيع ملاحاة فى شئ بحضرة أبى الحسن بن الفرات فولدت بيننا عداوة فبحثت عن عيوبه فبلغنى أن له أباً ساقطاً فى أصحاب الصناديق بباب الطاق فركبت حتى جئت اليه فرأيته يعمل الصناديق بيده وفاتشته فاذا هو أسقط رجل وأجهله وانصرفت فكاتبت جماعة من وجوه الشهود بالجانبين وأشرافهم من البطنين وأكابر التجار والكتاب والتناء وواعدتهم بحضور

هو يا غلام؟ فقلت : نعم . فأمر به فضرب بالمقارع وهو واقف وأنا على حماري والعسكر واقف وجعل يقول وهو يضرب : يا كاب يا كذا يا كذا ما كان معك ثمن هذا البطيخ ما كان فى حالك فضل لشرائه ما قدرت تمنع نفسك منه هو مالك مال أبيك أليس هو الرجل الذى قد تعب بنفسه فى زرعه وسقيه وماله وأداء خراجه أليس كذا أليس كذا يعدد عليه أشياء من هذا الجنس والمقارع تأخذه الى أن ضرب به مائة مقرعة ثم أمر برفعه فرفع وسار وسار الناس فأخذ الجيش يشتمونني ويقولون يضرب فلان بسبب هذا الأكار الحوزى لعنه الله مائة مقرعة فسألت بعضهم عن الخبر : فقال هذا الأمير أبو العباس .

حدثنى أبو الحسين ابن عياش القاضى قال : حدثنى أبو عبد الله الموسوى العلوى البغدادى انه باع فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة عند اشتداد الغلاء على معز الدولة وهو محاصر مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربى كرا معدلا حنطة بعشرين ألف درهم . قال : ولم أخرج الغلة حتى تسلمت المال وحصل فى دارى ثم أخرجت الغلة فاكتالوها وأخذوها فنعوذ بالله من مثل هذه الأحوال .

أنشدنى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المعروف بالببغاء لنفسه قصيدة الى سيف الدولة يذكر وقعة كانت له مع بعض العرب وهى :

عدل الصوارم أعدل الأحكام   وشبا الأسنة أكتب الأقلام
أخلق بمن كفر الغنى أن يغتدى   كفرانه سببا الى الاعدام

يولد ذلك لهم امتعاضاً عند أنفسهم للسياسة والدين فتثور الفتن على السلاطين وليس شئ أبلغ فى حسم ذلك من قطع مادته من الاصل فى أوله فان هذا مما جرى عليه قد طارت روحه فهو يخرج ويحدث بأضعاف ما لحقه من الأنكار وأكثر مما شاهده من الهيبة والفخامة وفوق ما سمعه من المطالبة بموجبات السياسة ومر الحقيقة فينتشر عند العوام ما نحن عليه من التيقظ وان كلمة تكلم بها الرجل منهم لم تخف علىّ ولا غفلت عن مناظرة صاحبها وعقابه فيصرفنى ذلك عن أفعال كثيرة ويحذر جميعهم ويضبط نفسه وتنحسم مادة شر لو جرى لاحتيج الى ضروب من الكلف غليظة فى صلاحه قد انحسمت بيسير من القول والفعل فأقبلنا ندعو له ونطريه .

حدثنى وكيل كان لأبى القاسم ابن أبى علان سلمه الىّ بتوكيل فى ضيعتى بالأهواز وكان ابن أبى علان يقول انه أسن منه وكان ثقة ماعلمت يقال له ذو النون بن موسى . قال : كنت غلاما والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز فخرجت يوماً من قرية بمناذر يقال لها شانطف أريد عسكر مكرم ومعى حمار أنا راكبه وهو موقر بطيخاً قد حملته من القرية لأبيعه فى البلد يعنى العسكر فلقينى جيش عظيم لم أعلم ما هو وتسرع إلىّ منهم جماعة وأخذ واحد منهم ثلاث بطيخات أو أربعا وحرك فخفت أن ينقص عدده فأتهم به فبكيت وصحت والحمار يصيح بى على المحجة والعسكر يجتاز عليها فاذا بكوكبة عظيمة يقدمها رجل مفرد فوقف وقال مالك يا غلام تبكى وتصيح ؟ فعرفته حالى فوقف بى ثم التفت الى القوم فقال : هى على بالرجل الساعة . قال : فكأنه كان وراءه حتى رد فى سرعة الطرف فقال : هذا

فزعنا نحن منـه مع أنسنا منه[1] وأدخل اليه شيخ ضعيف فقال له بصياح شـديد : أنت القطان الذى قلت أمس ما قلت ؟ فغشى على القطان فأمر به فعزل ناحية فلما سكن جاؤوا به فقال : ويلك مثلك يقول : « ليس للمسلمين ناظر فى أمورهم » فأين أنا وأى شغل شغلى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنا رجل سوقى لا أعرف غير الغزل والقطن ومخاطبة النساء والعامة وانما اجتاز بنا رجل بايعناه شيئاً كان معـه فوجدنا ميزانه ناقصا فقلت هـذا الـكلام وعنيت به المحتسب لا غـيره . فقال : والله ما عنيت غـيره وأنا تائب أن أتكلم بمـا يشبه هذا . فقال : يحضر المحتسب ويبالغ فى الانـكار عليه لم غفل عن انـكار مثل هـذا ويؤمر بتغييره وتتبع الطوافين وأهـل الاسواق والتغيير عليهم . وقال للشيخ : انصرف لا بأس عليك . ودخل فضحك وانبسط وعاد يشرب فلما حمـل علىّ النبيذ قلت له : يا مولاى تعرف فضولى فتأذن لى فى أن أقول ؟ فقال : قل . قلت : كان مولانا فى أطيب شرب وأتم سرور فتركه وتشاغل عنـه بخطاب كلب من السوقة كان يكفيه أن يصيح عليه راجل من رجالة صاحب الربع صيحة ولم يقنع مولانا فى أمره بالوصول الى حضرته حتى غـير له لبسته وشهر سلاحه واستقصى خطابه بنفسه لأجـل كلمة تقول العامة مثلها دائمـاً ولا يميزون معناها ! فقال : يا حسن أنت لا تعلم ما يجر هذا الـكلام ان مثل هذا اذا انتشر على ألسنة العوام تلقفه بعضهم على بعض وتجرؤوا عليـه وتربوا على قوله حتى يصير منهـم كالأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر ولا يبعد أن

(١) لعله به

الاهواز فتملكها وكان الامير عماد الدولة عَلىّ بن بويه يخلفه على الكرج حينئذ فاستغوى من معه وسار بهم الى أرجان لنفسه وهدده مرداويج بالمسير اليه فداراه ووعده أن يكون من قبله وأنفذ الأمير ركن الدولة أخاه رهينة اليه وسار فأوقع بياقوت وهو فى سبعمائة نفر من الديلم وياقوت فى الطم والرم وملك فارس وظفر بأموالها وكنوزها فقوى وعمل مرداويج على انفاذ عسكر اليه ليأخذه ثم يسير الى بغداد فوثب غلمانه الاتراك به فقتلوه وجاء رجاله الى الامير عماد الدولة وكان ملك فارس وطرد ياقوت عنها فقوى أمره وعظم شأنه ومرت على ذلك سنيات فأنفذ أخاه الامير معز الدولة الى الاهواز ولم يزل أمره يقوى حتى ملك بغداد وحصل الامر على ماقاله المعتضد وابن أبى الساج وصاروا ملوك الارض وحصلت للديلم ممالك غير ممالك الامراء من بنى بويه كثيرة بعد ان كان الناس يتمثلون اذا ظلموا فيقولون أى شئ خبرنا فى يد الديلم نحن أم فى يد الاتراك ؟ فصاروا فى ممالكهما وأيديهما ونسأل الله السلامة .

حدثنى القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى قال : حدثنى أبو على الحسن بن اسمعيل بن اسحق القاضى وكان ينادم المعتضد ويتجاسر عليه قال : كنا نشرب يوما مع المعتضد حتى دخل عليه بدر فقال : يامولاى قد أحضر القطان الذى من بركة زلزل . قال : فترك مجلس النبيذ وقام الى مجلس فى آخر ذلك المجلس دونه ونحن نراه ونسمع كلامه ومدت بيننا وبينه ستارة ولبس قباء وأخذ بيده حربة وجلس كالمغضب المهول حتى

حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف الأزرق قال : كنت حدثا في الديوان في سنة سبع عشرة وثلثمائة والوزير اذ ذاك احمد بن عبيد الله الخصيبي فأنشأنا من الديوان كتباً الى ابن ابى الساج عن السلطان يأمره فيها بالمسير الى الحضرة لقتال القرمطي فوردت الأجوبة للخليفة لا الديوان فسمعت مشايخ الكتاب يتحدثون فيه انه كتب يقول انا في ثغر اعظم من ثغور الروم وبازاء سد احصن من سد يأجوج ومأجوج وان اخللت به انفتح منه اعظم من امر القرمطي ولم يؤمن ان يكون سبباً لزوال المملكة في سائر النواحي . قال : فأخذ الكتاب يتطانزون بذلك وقالوا : في اى ثغر هو ومن بازائه الا الديلم وانما هم أكرة ولكنه يريد ترفيه نفسه والخلاف على السلطان .قال : وانشئت كتب أخر يؤمر فيها بترك ما هو بسبيله والقدوم فقدم وخرج الى القرمطي فقتله القرمطي فما مضت الا مديدة يسيرة على قتله حتى سار القاسم بن الحسن الداعي العلوى وما كان الديلمي صاحب جيشه من طبرستان الى الرى فأخذاها من يد اصحاب السلطان وخرج أسفار بن شيرويه الديلمي فسار الى طبرستان فأخذها منهما فرجع الداعي اليه فقاتله فقتله أسفار وتوطأ له الأمر وسار الى الرى فقاتله ما كان وثار مرداويج الجيلي وكان احد اصحاب أسفار به فقتله واحتوى على عسكره وتملك اعماله واخذ الرى والجبل والاعمال وتفرقت اعمال ابن ابى الساج على جماعة اهملوا سياستها واستفحل امر الديلم وتزايد على الاوقات وضعف السلطان وانفتقت الفتوق عليه وكثرت الفتن وقتل المقتدر وجاء مرداويج الى اصفهان يسير الى بغداد وقدم شيرج بن ليلى الى

اليهم وأفرط فى التأكيد . فقال عبيد الله : السمع والطاعة أمضى الى دارى وأكتب. فقال : لا أجلس بمكانك وأكتب بخطك وأعرض علىّ. قال: فأجلسه وعقله ذاهل فكتب ذلك وعرض عليه فلما ارتضاه دعا بخريطة الى حضرته فجعلت أكتب فيها وأنفذها . وقال لعبيد الله : أنفذ معها من يأتيك بخبر وصولها النهروان وسيرها عنه وانصرف . فنهض عبيد الله وعاد المعتضد الى مجلس شربه وكأنه قد لحقه تعب عظيم فاستلقى ساعة ثم عاد يشرب . فقلت له : يا أمير المؤمنين تأذن فى الكلام ؟ فقال : نعم . فقلت : كنت على سرور طيب فورد خبر قد كان يجوز أن تأمر فيه غدا بما أمرت به الساعة فضيقت صدرك وقطعت شربك ونغصت على نفسك وروعت وزيرك وأطرت عقول عياله وأصحابه باستدعائه فى هذا الوقت المنكر حتى أمرته بهذا الذى لو أخرته الى غد الكان جائزاً . فقال : يابن حمدون ليست من مسائلك ولكنا أذنا لك فى الكلام ان الديلم شر أمة فى الدنيا وأتمهم مكراً وأشدهم بأساً وأقواهم قلوباً ووالله لقد طار عقلى فزعاً على الدولة من ان يتطرق اليهم دخول قزوين سراً فيجتمع فيها منهم عدة يوقعون بمن فيها ويملكونها وهى الثغر بيننا وبينهم فيطول ارتجاعها منهم ويلحق الملك من الضعف والوهن بذلك امر عظيم يكون سبباً لبطلان الدولة وتخيلت انى ان امسكت عن التدبير ساعة ان يفوت وانهم يجيئون على قزوين ووالله لو ملكوها لنبغوا علىّ من تحت سريرى هذا واحتووا على دار المملكة فما هنأنى الشرب ولا طابت نفسى بمضى ساعة من زمانى فارغة من تدبير عليهم فعملت ما رأيت .

ومداقّ الجص وقيودا وغلاّ . فأحضر ذلك فقيده وغله وأدخله الجوالق وأمر الفراشين فدقوه بمداق الجص وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به فغرق فى دجلة وتقدم الى بدر بحمل ما فى داره . ثم قال لى : يا شيخ أى شئ رأيت من أجناس المنكر كبيراً كان أو صغيراً أو أى أمر صغيراً كان أو كبيراً فأمر به وأنكره ولو على هذا (وأومأ بيده الى بدر) فان جرى عليك شئ أو لم تقبل فالعلامة بيننا أن تؤذن فى مثل هذا الوقت فانى أسمع صوتك فأستدعيك وأفعل هذا بمن لا يقبل منك أو بمن يؤذيك . قال : فدعوت له وانصرفت وانتشر الخبر فى الأولياء والغلمان فما سألت أحداً منهم بعدها إنصافاً لأحد أو كفاً عن قبيح الا أطاعنى كما رأيت خوفاً من المعتضد وما احتجت أن أؤذن الى الآن .

حدثنى أبى عن أبى محمد بن حمدون قال : كنت بحضرة المعتضد ليلة على شرب إذ جاءه كتاب فقرأه وقطع الشرب وتنغص به واستدعى عبيد الله بن سليمان فأحضر للوقت وقد كاد يتلف وظن أنه قد قبض عليه فرمى بالكتاب اليه فاذا هو كتاب صاحب خبر السر بقزوين اليه يقول ان رجلاً من الديلم وجد بقزوين وقد دخلها متنكراً . فقال لعبيد الله : اكتب الساعة الى صاحبى الحرب والخراج وأقم قيامتهما وتهددهما عنى بالقتل لم تم هذا ؟ وتشدد فى الانكار وطالبهما بتحصيل الرجل ولو من تخوم الديلم وعلمهما أن دمهما مرتهن به حتى يحضرانه وارسم لهما أن لا يدخل البلد مستأنفاً أحد ولا يخرج الا بجواز حتى لا تتم حيلة لأحد من الديلم فى الدخول سراً وأن يزيدا فى الحرس والتيقظ ونفذنا الناس

فيخرجها فما مضت إلا ساعة والمرأة عنده فاذا الشارع قد امتلأ خيلا ورجلا ومشاعل وهم يقولون : من هذا الذى أذن الساعة أين هو ؟ ففزعت وسكت ثم قلت : أخاطبهم لعلى أستعين بهم على إخراج المرأة . فصحت من المنارة أنا أذنت . فقالوا لى : انزل فأجب أمير المؤمنين . فقلت : دنا الفرج . ونزلت فمضيت معهم فاذا هم غلمان مع بدر فأدخلنى على المعتضد فلما رأيته هبته وارتعدت فسكن منى وقال : ما حملك على أن تغر المسلمين بأذانك فى غير وقته فيخرج ذو الحاجة فى غير حينها ويمسك المريد للصوم فى وقت أبيح له فيه الافطار ؟ فقلت : يؤمننى أمير المؤمنين لا صدق . فقال : أنت آمن على نفسك . فقصصت عليه قصة التركى وأريته الآثار التى بى فقال : يا بدر علىّ بالغلام والمرأة الساعة . وعزلت فى موضع فلما كان بعد ساعة قليلة أحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما قلته . فقال لبدر : يا بدر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح له خبرها ويأمره عنى بالتمسك بها والاحسان اليها . ثم استدعانى فوقفت فجعل يخاطب الغلام وأنا قائم أسمع فقال له : يا فلان كم رزقك ؟ قال كذا وكذا . قال وكم عطاؤك ؟ قال كذا وكذا . قال وكم وظائفك ؟ قال كذا وكذا . قال : وجعل يعدد عليه ما يصل اليه والتركى يقر بشئ عظيم . قال : فقال له : كم لك جارية ؟ قال كذا وكذا . قال : فما كان فيهن وفى هذه النعمة العريضة كفاية عن ارتكاب معاصى الله وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته الى الوقوع بمن أمر عليك بالمعروف ؟ فسقط الغلام في يده ولم يجب جواباً . فقال : هاتم جوالق

منه . فألححت عليه فقال : أنا رجل أؤم وأقرئ فى هـذا المسجد منـذ أربعين سنة ومعاشى من هذه الخياطة لا أعرف غير هذا وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلى فاجتزت بتركى كان فى هـذه الدار فاذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره وهى ممتنعة تستغيث وليس أحد يغيثها وتصيح ولا يمنعه أحد منها وتقول فى جملة كلامها : إن زوجى قد حلف بطلاقى أن لا أبيت عنه فان بيتنى هنا أخرب بيتى مع ما يرتكبه منى من المعصيـة ويلحقه بى من العار . قال : فجئت إلى التركى ورفقت به وسألتـه تركها فضرب رأسى بدبوس كان فى يده فشجنى وآلمنى وأدخل المرأة داره فصرت إلى منزلى فغسلت الدم وشددت الشجة واسترحت وخرجت أصلى العشاء فلما فرغنا منها قلت لمن حضروا قوموا معى إلى عدو الله هذا التركى ننكر عليـه ولا نبرح حتى نخرج المرأة فقاموا وجئنا فضججنا على بابه فخرج إلينا فى عـدة من غلمانه فأوقع بنا الضرب وقصدنى من الجمـاعة فضربنى ضرباً عظيما كدت أتلف منـه فشالنى الجيران إلى منزلى كالتالف فعالجنى أهلى ونمت نوما قليلا للوجع وأفقت نصف الليل فما حملنى النوم فكرا فى القصة فقلت : هـذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات فلو أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحقت بيتها قبل الفجر فتسلم من أحد المكروهين ولا يخرب بيتها مع ما قد جرى عليها . فخرجت إلى المسجد متحاملا وصعدت المنارة فأذنت وجلست أطلع منها إلى الطريق أترقب منها خروج المرأة فان خرجت وإلا أقمت الصلاة لئلا يشك فى الصباح

وكانت داره قريبة من دار الخياط فقام معنا فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي : إنك قد عرضت هـذا الشيخ ونفسك وإياى إلى مكروه غليظ هـذا إذا حصل على باب الرجل صفع وصفعنا معه فإنه لم يلتفت لشفاعة فلان وفلان ولم يفكر فى الوزير فكيف يفكر فى هذا ؟ فضحك الرجل وقال : لا عليك امش واسكت . فجئنا إلى باب القائد فحين رأى غلمانه الخياط أعظموه وأهووا ليقبلوا يده فمنعهم وقالوا : ما جاء بك يا شيخ ؟ فان صاحبنا راكب فان كان أمر نعمله نحن بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس حتى يجئ . فقويت نفسى بذلك فدخلنا وجلسنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط أعظمه إعظاما وقال : لست أنزع ثيابى أو تأمر بأمرك . فخاطبه فى أمرى فقال : والله ما عندى الا خمسة آلاف درهم فسأله أن يأخذها ورهنا من مراكبي الفضة والذهب إلى شهر لأعطيه . فبادرت أنا الى الاجابة فأحضر الدراهم والمراكب بقيمة الباقى فقبضت ذلك وأشهدت الخياط وصديقى عليه بأن الرهن عندى إلى شهر على البقية فأن جاز الأجل فانى وكيل فى بيعه وأخذ مالى من ثمنه . فأشهدتهما على ذلك وخرجنا فلما بلغنا إلى موضع الخياط طرحت المال بين يديه وقلت : يا شيخ إن الله قد رد عليّ هذا بك فأحب أن تأخذ ربعه أو ثلثه أو نصفه بطيب من قلبى . فقال : يا هذا ما أسرع ما كافأتنى على فعل الجميل بالقبيح انصرف بمالك بارك الله لك فيـه . فقلت : قد بقيت لى حاجة . فقال : قل . قلت : تخبرنى عن سبب طاعة هذا لك مع تهاونه بأكابر أهل الدولة . فقال : يا هذا قد بلغت مرادك ولا تقطعنى عن شغلى وما أعيش

لك منه . فلما تقوض الموكب خرج أبو أحمد فوجده جالسا فى الدهليز فقال : ما هذا أيها الشيخ ؟ قال ترجع وتعرف مولانا أنى لا أبرح والله إلا بالطنفسة وإنما قبلت رأيك فوقرته وإلا كنت قد أخذتها كما أخذت الدست . فرجع أبو أحمد وأخبره الخبر على شرحه فأمر بحملها الى طياره فحملت معه ثم انصرف .

أخبرنى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى بذلك وسمعت ابن دية الانماطى وهو رئيس هـذه الصناعة ببغداد ومن لم يشاهد أحد بها من المتاع ما شاهده يخبر فى مجلس حافل انه شاهد لأ بى مخلد فرشا أخرجه إليه ليقومه له قال : فقومته له فيما استرخصتها جدا فبلغت القيمة مائتى ألف دينار ولا أدرى ذلك فرشه كله أو له شئ آخر من الفرش سواه .

حدثنى[1] القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى القاضى أن شيخاً من التجار كان له على بعض القواد مال جليل يماطله به قال : فعملت على الظلامة إلى المعتضد لأنى كنت إذا جئت إلى القائد حجبنى واستخف بى غلمانه وكنت إذا تجملت اليه فاستشفعت لم ينجع وتظلمت إلى عبيد الله ابن سليمان منه فما نفعنى فقال لى بعض إخوانى : عليّ أن آخذ المال ولا تحتاج إلى الظلامة إلى الخليفة فقم معى الساعة . قال : فقمت معه فجاء بى الى خياط فى سوق الثلاثاء شيخ وهو جالس يخيط ويقرأ فى المسجد فقص عليه قصتى وسأله أن يقصد القائد فيسأله إزاحة علتى

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ٢ : ١٧

للغناء وهو غير حاضر دفعات كثيرة فقال له المهلبي يوماً وقد جرى بحضرته ذكر الجماع فأخذ الشامي يخبر عن نفسه بالعجز عنه لأنه كان قد نيف عن الثمانين فقال له المهلبي فجاريتك يا أبا العباس حبلى فمن أين هـذا الحبل ؟ فقال يا سيدي إذا ولدت سميت ابنها العباس بن الحسن يعرض بأنه ابن وزير يصلح للوزارة وأنه ابنك فضحك والجماعة منه . أخبرنا أبو علي أحمد بن موسى حمولى صاحب معز الدولة قال: كنا يوما بحضرة مولانا الأمير يعني معز الدولة فدخل إليه أبو مخلد فرأى تحته دست ديباج جديد حسن جدا قد استعمله بتستر وقام عليه بألفي دينار فقال له : أيها الأمير تنح عن الدست فإن عليه شيئا . فلم يفهم الأمير مراده وتزحزح عن دسته فجذبه وحمل منه على كتفه وقام فقال له الأمير : يا بغا (بكلام الديلم) إلى أين ؟ قال : إلى طياري أنقل هـذا الدست إليه أولاً أولاً كما ترى ومن يعارضني أو يجسر على ذلك ؟ قال : فضحك الأمير وقال : ما يعارضك أحد. قال : فنقل يشهد الله الدست بآلته كاملا على ظهره إلى طياره وأنا أراه حتى أخذ جميعه . وكانت لأبي مخلد مروءة عظيمة وشهوة للفرس خاصة فدخل يوماً إلى أمير المؤمنين المطيع لله فرأى في المجلس طنفسة عظيمة خليفية من خز ورقم صفر فلما رآها تحير فقال لأبي أحمد الشيرازي كاتبه : أريد أن أعمل بهذه كما عملت بدست معز الدولة . وكان قد اشتهر خبره في نقل الدست على ظهره . فقال له أبو أحمد : مثل هذا لا يجوز أن يفعل بحضرة الخليفة لأن الهزل لا يستعمل إلا مع هؤلاء خاصة وخاصة وهذا مجلس عام ولكن أنا أعرف استحسانك لها واستوهبها

مع الغلمان . وكان هـذا الشامى أمة وحده فى مذهبه فانه كان يصحب أبا عبـد الله البريدى على طريق التنخس ويشـترى الجوارى السواذج والمغنيات فيبيعهن عليـه فربما كره جارية فردها عليه وما دار بينهما ميزان ثم اتسع ذا الباب لابى العباس فصار يستعمله مع الـكافة ثم تجاوزه إلى بذل قيان له وإخراجهن بحضرته وأن يمازحهن ويلاعبهن الرجال فلا ينكر ذلك وربمـا تجاوزوا هذا إلى غيره ولا ينكر ويحتمل عليـه فيما بلغنى من وجوه كثيرة . وكان مع هذا صفعانا طيباً فمن ذلك أنه دخل يوماً على أبى يوسف البريدى فصفعه بمخدة ديباج حسنة مثمنة فأخذها الشامى وعدا ليسلمها إلى غلامه فيحملها إلى بيته فقال له أبو يوسف : قد أخذتها ويلك . قال : فأردها أطال الله بقاء سـيدنا من حيث جاءت ولا آخذها ؟ فقال : لا ياماص كذا خذها لا بورك لك فيها . فدفعها إلى غلامه .

ومنها أنه كان مشهورا بالقيادة وكان يعادى بزازا بالبصرة يعرف بالآدمى فبلغه أن القاضى جعفر بن عبد الواحد الهاشمى عمل على قبوله وما كان لذلك أصل وإنما كان إرجافاً فجاء اليه وكان منبسطاً عليه بالمزاح بمعرفته به . فقال له : أيها القاضى إن رأيت أن تقبل شهادتى . فقال له القاضى : ما بلغ الأمر إلى قبول مثلك فأى شئ دعاك الى هـذا يا أبا العباس ؟ ومازحه . قال : بلغنى أنك تريد أن تقبل الآدمى وأنا وهو كنا نقود على البريدى فاقبلنى أنا أيضاً . فضحك وقال : لا لك أقبل ولا له . وجاء إلى الأهواز بجارية له مغنية إلى أبى محمد المهلبى وكنت بالأهواز وحدثنى بهـذا الخبر جماعة ممن شاهدوه من ندمائه فغنت له وكانت تجلس عنده

ليصبغ لونه بما فيها من الصبغ . ففعل ذلك ووافق سكره مع نفاد كل ما كان فى الخزائن من هذه الثياب فحسب ما لزم على ذلك الزعفران والعصفر ومن الثياب التى هلكت فكان خمسين ألف دينار .

ويشبه هذا ما أخبرنا به الجم الغفير أن الحسن بن سهل لما زف ابنته بوران إلى المأمون بفم الصلح انقطع بهم الحطب فى المطبخ يوم العرس أحوج ما كانوا إليه فعرفوه ذلك فأمر بالخيش فصب عليها الزيت وغيره من الأدهان حتى تشربها وأمر بايقاده تحت القدور وبث الرسل فى طلب الحطب فاستعمل من ذلك الخيش شئ كثير إلى أن حمل الحطب . وشاهدنا نحن أبا محمد المهلبى فى وزارته وقد اشترى فى ثلاثة أيام متتابعة وردا بألف دينار فطرحت فى بركة عظيمة كانت له فى دار كبيرة تعرف بدار البركة وشرب عليه ونهب وكان فى البركة فوارة حسنة فطرح الورد فيها وفرشه فى مجالسه وكان لذلك شرح طويل . وشرب أبو القاسم بن أبى عبد الله البريدى بالبصرة على ورد بعشرين ألف درهم فى يوم واحد على رخصه هناك واسترخاص السلطان لما يشتهيه وطرح فيه عشرين ألف درهم خفافا وزنها عشرة آلاف درهم وشيئا كثيرا من قطع الند المثاقيل اللطاف وقطع الكافور اللطاف والتماثيل ولعب به شاذ كُلّى وانتهب الفراشون الورد مع ما فيه من الدراهم والطيب وقيل إن ذلك المجلس قام عليه بثلاثة آلاف دينار مع جذور المغنيات وثمن الطيب وما أنفق على المائدة والشراب والثلج ذلك اليوم أخبر بهذا أبو العباس النخاس المعروف بالشامى فى الوقت أبى وأنا أسمع وأرانا من الدراهم شيئا وذكر أنه انتهبها

الراضى بهـذا الحديث فذكر مثله ولم يذكر تضاعف جائزة الصولى إلا أنه قال : كنت أنا وجماعة الندماء . وللراضى فضائل كثيرة وقد ختم الخلفاء فى أمور عدة منها أنه آخر خليفة له شعر وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال وآخر خليفة خطب على منبر فى يوم جمعـة وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليـه الندماء وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وخدمته وجراياته وخزائنـه ومطابخه وشرابه ومجالسه وخدمه وحجابه وأموره جارية على ترتيب الخلافة الاولى وآخر خليفـة سافر بزى الخلفاء القدماء وقد سافر بعده المتقى وسافر المطيع غير سفر ولـكن ليس كذلك .

حدثنى أبو القاسم الجهنى قال : حدثنى أبو محمد بن حمدون عن أبيـه أن المتوكل اشـتهى أن يجعل كل ما يقع عليـه عينه فى يوم من أيام شربه أصفر فنصبت له قبـة صندل مذهبة مجللة بديباج أصفر مفروشة بديباج أصفر وجعل بين يديه الدستنبو والاترج الاصفر وشراب أصفر فى صوانى ذهب ولم يحضر من جواريه إلا الصفر عليهن ثياب قصب صفر وكانت القبـة منصوبة على بركة مرصعة يجرى فيها الماء فأمر أن يجعل فى مجارى المـاء اليها الزعفران على قدر ليصفر المـاء ويجرى من البركة ففعل ذلك وطال شربه فنفد ما كان عنـدهم من الزعفران فاستعملوا العصفر ولم يقدروا أنه ينفد قبل سكره فيشتروا فنفد فلما لم يبق إلا قليل عرفوه وخافوا أن يغضب إن انقطع ولا يمكنهم قصر الوقت من شرى ذلك من السوق فلما أخبروه أنكر لِمَ لَمْ يشتروا أمرًا عظيماً وقال : الآن إن انقطع هـذا تنغص يومى نخذوا الثياب المعصفرة بالقصب فانقعوها فى مجرى المـاء

غيروا لون هـذا الريحان بشيء من الـكافور يسحق ويطرح فوقه فليس هو مليح هكذا . قال : فأقبلوا يجيئون بصوانى الذهب فيها الـكافور الرباحي المسحوق أرطالا ويطرح فوق الريحان وهو يستزيدهم إلى أن صار الريحان كالمغطي ببياض الـكافور وكأنه ثوب أخضر قد ندف عليـه قطن رقيق أو روضة سقط عليها ضرائب الثلج فقال حينئذ حسبكم . قال: فقدرت ما استعمل من الـكافور كان أكثر من ألف مثقال بشيء كثير فشربنا عليه معه فلما قام أمر بنهبه فأخذ غلمانى منه مثاقيل كثيرة لأنهـم كانوا فى جملة الخدم والفراشين والغلمان الذين نهبوا ذلك .

سمعت أبا بكر محمد بن يحيي الصولى وأنا إذ ذاك فى حـد الصبيان يحكى لأبى حكاية طويلة عن الراضى فيها شعر له وقصة لم تعلق بذهنى كلها فى الحـال لصغرى عن ذلك فسأله أبى أن يمليها فأملاها على صاحب لأبى جالسا بحضرته وكتبها على ظهر جزء كان قد قرأه لى عليه فيه أشعار وأخبار غير ذلك هو باق عندى وحصلت منها ما بقى فى حفظى أنه دخـل إلى الراضى وهو يبنى شيئا أو يهدم شيئا أنا أشك فأنشده أبياتا وكان الراضى جالسا على آجرة حيال الصناع . قال : كنت أنا وجمـاعة من الندماء قياما فأمر بالجلوس بحضرته فأخذ كل واحـد منا آجرة فجلس عليها واتفق أنى أخذت آجرتين ملتزقتين بشيء من اسفيداج فجلست عليهما فلمـا قمنا أمر بأن توزن آجرة كل واحد ويدفع إليه بوزنها دراهم أو دنانير الشك منى . قال : فتضاعفت جائزتى على جوائز الحاضرين بتضاعف آجرتى على آجرتهم.

حدثنى على بن الحسن الحاجى قال : حدثنا أبو الحسن العروضى معلم

وترمى فتأخذها الخزان أو غيرهم فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه .

أخبرنى أبوالقاسم الجهنى أن المقتدر أراد الشرب على نرجس فى بستان لطيف فى صحن دار من صغار صحونه فقال بعض من يلى أمر البستان : سبيل هـذا النرجس أن يسمد قبل شرب الخليفة عليـه بأيام فيحسن ويقوى . فقال هو : ويلك يستعمل الخرء فى شئ بحضرتى وأريد أن أشمه . قال : بهـذا جرت العادة فى كل ما يراد تقويته من الزروع . فقال : وما العلة ؟ قال : لأن السماد يحميه فيعينـه على النبات والخروج . قال : فنحن نحميه بغـير السماد وتقدم فسحق من المسك بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به وجلس يشرب عليه يومه وليلته واصطبح من غده عليه فلما قام أمر بنهبه فانتهب البستانبانون والخدم ذلك المسك كله من أصول النرجس واقتلعوه مع طينه حتى خلصوا المسـك فصار البستان قاعا صفصفا وخرج من المال شئ عظيم كثير فى ثمن ذلك المسك.

حدثنى أبو إسحق الطبرى غلام أبى عمر الزاهد غـلام ثعلب وكان منقطعا إلى بنى حمدون قال : حدثنى أبوجعفر بن حمدون قال: كنا نشرب مع الراضى بالله يوما فى مجلس مغمى بالفاكهة الحسنة الفاخرة فعرض بالجلوس فقال : افرشوا لنا المجلس الفلانى واطرحوا فيه ريحانا ونيلوفر فقط طرحا فوق الحصر بلا أطباق ولا تعبيـة فى مشام كما تفعل العامة وعجلوا ذلك الساعة لننتقل إليـه . قال : فلم تكن إلا لحظة حتى قالوا له : قد فرغنا من ذلك . فقال لنا : قوموا . فقمنا معـه فلما رأى المجلس قال للشرابية :

فلم أورده لهذا السبب أيضا .

حدثنى أبو الحسن البرسى العامل بالبصرة أن بعض بني إسحق الشيرازى المعروف بالخرقى ممن كان يعامل أم المقتدر (أسماه هو وأنسيته أنا) حدثه أنها طلبت منه فى يوم يقرب من نيروز المعتضد ألف شقة زهرية خفافا جـدا . قال : فبعثت فى جمعها والرسل تكدنى بالاستعجال والقهارمة يستبطئونى حتى تكاملت وصرت إلى الدار فخرجت القهرمانة فقالت : اجلس فى الحجرة التى رسمك واستدع الخياطين وتقدم أن يقطعوا ذلك إزرارا على قدر حب القطن ويحشونها من الخرق ويخيطونها فيجعل بدل حب القطن ويشرب دهن البلسان وغيره من الأدهان الطيبة الفاخرة وتوقد فى المجامر البرام على رؤوس الحيطان ليلة النيروز بدلا من حب القطن ... والمجامر الطين ففعلت ذلك . وقال لى : كنت أشترى لها ثيابا دبيقية يسمونها ثياب النعال وذلك انها كانت صفاقاً تقطع على مقدار النعال المحذوة وتطلى بالمسك والعنبر المذاب وتجمد ويجعل ذلك[1] بين كل طبقتين من الثياب من ذلك الطيب ماله قوام ونحن نفعل بطاقات كثيرة كذا ونلف بعضها على بعض ثم نصمغ حواليها بشئ من العنبر ونلزق حتى تصير كأنها قطعة واحدة ونجعل الطبقة الاولة بيضاء مصقولة ونخرز حواليها بالأبريسم ونجعل لها شركا من إبريسم كلها كالشرك المضفورة من الجلود وتلبس. قال : وكانت نعال السيدة من هذا المتاع لا تلبس النعل إلا عشرة أيام أو حواليها حتى تخلق وتتفتت وتذهب جملة دنانير فى ثمنها

(١) لعله زائد

مقدار ثلاثين مثقالا فاستعمل منه فى الحال ما أراده ودعا بعتيدة له فجعل الباقى فيها ليستعمله على الايام . وولى المقتدر الخلافة وجلس مع الجوارى يشرب يوما وكنت على رأسه فأراد أن يتطيب فاستدعى الخادم وسأله فأخبره بمثل ما أخبر به أباه وأخاه فقال : هات الغوالى كلها . فاحضرت الحباب كلها فجعل يخرج من كل حب مائة مثقال وخمسين وأقل وأكثر فيشمه ويفرقه على من بحضرته حتى انتهى إلى حب الواثق فاستطابه فقال : هاتم عتيدة . فجاؤوه بعتيدة وكانت عتيدة المكتفى بعينها ورأى الحب ناقصا والعتيدة فيها قدح الغالية ما استعمل منه كثير شئ فقال : ما السبب فى هذا ؟ فأخبرته بالخبر على شرحه فأخذ يعجب من بخل الرجلين ويضع منهما بذلك ثم قال : فرقوا الحب بأسره على الجوارى . فما زال يخرج منها أرطالا وأنا أتمزق غيظا وأذكر حديث العنب وكلام المعتضد إلى أن مضى قريب من نصف الحب فقلت له : يا مولاى إن هذه الغالية أطيب الغوالى وأعتقها ولا يعتاض منها فلو تركت منها لنفسك وفرقت الباقى من غيرها كان أولى . قال : وجرت دموعى لما ذكرته من كلام المعتضد فاستحيا منى ورفع الحب فما مضت إلا سنين من خلافته وفنيت تلك الغوالى واحتاج إلى أن عجن غالية بمال عظيم .

أخبرنى غير أبى علي أن تلك الغوالى كلها وما كان فى الخزائن من الملوك والعنابر استعمل كله فى الوحل الذى كانت السيدة عملته وخبر الوحل مستفيض على ألسنة العوام فلا وجه للاطالة بذكره ورأيت أيضاً أهل العلم والخبرة بأمور الخلافة وأخبارها يكذبون بذلك تكذيبا شديدا

التى يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس أصلا . فقلت : يا مولاى بل يبقيك الله حتى ينشو فى حياتك ويصير كهلا فى أيامك ويتأدب بادابك ويتخلق بخلقك ولا يكون هذا الذى ظننت . فقال : احفظ عنى ما أقوله فأنه كما قلت . قال : ومكث يومه مهموما وضرب الدهر ضربه ومات المعتضد وولى المكتفى فلم يطل عمره ومات وولى المقتدر كما قاله المعتضد بعينه فكنت كلما وقفت على رأس المقتدر وهو يشرب ورأيته قد سكر ودعا بالأموال فأخرجت إليه وحلت البدر وجعل يفرقها على الجوارى والنساء ويلعب بها ويمحقها ويهبها ذكرت مولاى المعتضد وبكيت .
قال : وقال صافى : كنت يوماً واقفاً على رأس المعتضد فأراد أن يتطيب فقال : هاتم فلاناً الطيبى (خادم يلى خزانة الطيب) فأحضر فقال له : كم عندك من الغالية ؟ فقال : نيف وثلاثون حبا صينيا مما عمله عدة من الخلفاء . فقال : فأيها أطيب ؟ قال : ما عمله الواثق . قال : احضرنيه فأحضره حبا عظيما تحمله خدم عدة بدهق ومصقلة ففتح فاذا الغالية قد ابيضت من التعشيب وجمدت من العتق فى نهاية الذكاء فأعجبت المعتضد وأهوى بيده الى حوالى عنق الحب فأخذ من اطاخته شيئا يسيرا من غير أن يشعث رأس الحب وجعله فى لحيته وقال : ما تسمح نفسى بتطريق التشعيث على هذا الحب شيلوه . فرفع ومضت الأيام فجلس المكتفى للشرب يوما وهو خليفة وأنا قائم على رأسه فطلب غالية فاستدعى الخادم وسأله عن الغوالى فأخبره بمثل ما كان أخبر به أباه فاستدعى غالية الواثق فجاءه بالحب بعينه ففتح فاستطابه وقال : أخرجوا منه قليلا . فأخرج منه

مشيت يوما بين يدى المعتضد وهو يريد دور الحرم فلما بلغ إلى باب دار شغب ام المقتدر وقف يتسمع ويطلع من خلل الستر فاذا هو بالمقتدر وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها وهو جالس وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه فى السن وبين يديه طبق فضة فيه عنقود عنب فى وقت فيه العنب عزيز جدا والصبى يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة على الدور حتى إذا بلغ الدور أكل واحدة مثلما أكلوا حتى فنى العنقود والمعتضد يتمزق غيظاً. قال: فرجع ولم يدخل الدار ورأيته مهموما فقلت: يا مولاى ما سبب ما فعلته وما قد بان عليك؟ فقال: يا صافى والله لولا النار والعار لقتلت هـذا الصبى اليوم فإن فى قتله إصلاحاً للامة. فقلت: يا مولاى حاشاه أى شئ عمل أعيذك بالله يامولاى العن إبليس. فقال: أنا أبصر بما أقوله أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ولا بد من موتى وأعلم أن الناس بعد موتى لايختارون إلا ولدى وأنهم يستجلسون ابنى عليا يعنى المكتفى وما أظن عمره يطول للعلة التى به (قال صافى يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه) فيتلف عن قريب ولا يرى الناس إخراجها عن وُلدى ولا يجدون بعده منهم أكبر من جعفر فيجلسونه وهو صبى وله من الطمع فى السخاء هذا الذى قد رأيت من أنه أطعم الصبيان مثل ما أكل وساوى بينه وبينهم فى شئ عزيز فى العالم والشح على مثله فى طباع الصبيان فيحتوى عليه النساء لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعته من الاموال كما قسم العنب ويبذر ارتفاع الدنيا ويخربها فتضيع الثغور وتنتشر الامور وتخرج الخوارج وتحدث الاسباب

وكان يسدد ويصل معه [١] ويخاطب ويتخاطب على الأمور . فقال لى المقتدر : قد أحمدنا ما كان من خليفتك على القضاء بالأهواز فيما كنا تقدمنا به فى أموال النيرمذيات [٢] وقد كتب ابن الحرث أنه قد زاد على المبتاعين زيادة قبلوها وامتنعوا من أدائها إلا بعد أن أقول بلسانى إنى قد أمضيت البيع وإنى لا أقبل بعدها زيادة ولا أفعل هذا فاكتب إلى خليفتك بأنى قد قلت ذلك وأن يسجل لهم بما ابتاعوه . فأردت أذية ابن الحرث فقلت : يحتاج فى المكاتبة إلى ذكر مبلغ الزيادة . فالتفت فنظر إلى على بن عيسى نظر منكر فرأيته يرتعد وقال له : مبلغ الزيادة كذا وكذا . فقال لى : اكتب الى خليفتك بأنها كذا وكذا . فدعوت له وانصرفت فلما وليت ثقلت فى مشيى لأسمع ما يجرى فسمعته يقول لعلى بن عيسى أى شئ أقبح من هذا (كأنه أنكر) لم [٣] يعرف مبلغ الزيادة أوّلاً فتذكرها لى من غير أن أحتاج إلى أستدعاء علمها فيه . قال : وكرر الانكار وقال : أى شئ أقبح من هذا وأخرج عن الأدب منه ؟ تحقيقا برسم الملوك فى أن يتكلموا هم بجميع ما يحتاج اليه فى جميع الأمور من غير تقصير يحوج المخاطب الى مطالبتهم بالزيادة فى البيان وأومأ فى آخر كلامه إلى أنى إن ذكرت ذلك عنه للناس غض منه ومن الملك . فسمعت على بن عيسى يقول له يا أمير المؤمنين هذا خادمك وابن خادمك وغذى نعمتك ونشؤ دولتك ليس مثله من ظن به هذا. حدثنى أبو على الحسين بن محمد الأنبارى الكاتب يحكى عن صافى الحرمى الخادم مولى المعتضد أنه قال :

(١) يعنى مع سليمان (٢) كذا بالاصل ولعله النمروديات (٣) لعله لم لم تعرف

حضرت فى بعض أيام المواكب باب دار الخلافة فوقفت فى طيارى والقضاة فى طياراتهم والقواد والكتاب تتوقع الأذن فاستدعيت وحدى من بين القضاة فدخلت على المقتدر فوجدت أبا على بن مقلة قائماً بين يديه وهو الوزير إذ ذاك فقال لى المقتدر : قد كان أبوك عضدا وأنت بحمد الله خلف منه وقد ترى طلب غلمانى هؤلاء عليّ ومطالبتهم إياى بالمال ولو قد فقدونى لتمنوا أيامى وقد عزمت على بيع ضياعى النمروديات بالأهواز فتكتب إلى خليفتك على القضاء بها فى الاجتماع مع أحمد بن محمد البريدى على بيع ذلك والمعاونة فيه . فقلت : إذا كان الأمر من أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بهذا الموضع من العناية خرجت أنا فيه . فقال : لسنا نكلفك ذلك ولكن اكتب الى خليفتك فيه . قال : فخرجت وامتثلت أمره وكاتبت أبا القاسم على بن محمد التنوخى وكان يخلفنى إذ ذاك على كور الأهواز وقصصت عليه ما جرى ومضت الأيام وصرف ابن مقلة بأبى القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد فأنفذ أبا الحسن ابن الحرث صاحبه الى الأهواز صارفاً للبريدى فزاد على من كان اشترى الضياع مالا عظيما وكتب الى أبى القاسم التنوخى أنه قد استثنى من المال بجملة عظيمة لنفسه وخنسها . وكانت فى نفسى على ابن الحرث موجدة فأسررت ذلك فى نفسى وانحدرت فى يوم موكب على رسمى وكنا فى طياراتنا إذ خرج خلفاء الحجاب يطلبوننى وحدى فصعدت والقضاة كلهم محجوبون فدخلت على المقتدر وبحضرته سليمان وعلى بن عيسى

وضمنت نفس أبى فراس للعلا إذ منه أصبحت النفوس براء
ما كان إلا البدر طال سراره ثم انجلى وقد استتم بهاء
يوم غدا فيه سماحك معتق الـ أسرى ومنك ياسر الامراء

جرى فى مجلس أبى يوما ذكر المقتدر بالله وأفعاله فقال بعض الحضار : كان جاهلا . فقال أبى : مه فأنه لم يكن كذلك وما كان إلا جيد العقل صحيح الرأى ولكنه كان مؤثرا للشهوات ولقد سمعت أبا الحسن على بن عيسى يقول وقد جرى ذكره بحضرته فى خلوة : ما هو إلا أن يترك هذا الرجل النبيذ خمسة أيام متتابعة حتى يصح ذهنه فأخاطب منه رجلا ما خاطبت أفضل منه ولا أبصر بالرأى وأعرف بالأمور وأسد فى التدبير ولو قلت إنه إذا ترك النبيذ هذه المدة فى اصالة الرأى وصحة العقل كالمعتضد والمأمون ومن أشبههما من الخلفاء ما حسبت أن أقع بعيدا وما يفسده غير متابعة الشرب ولا يخبله سواها .

حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال : سمعت المؤتمن أبا القاسم سلامة أخا نجح الطولونى يقول : اجتمع على بن عيسى وعلى بن محمد الحوارى ونصر القشورى وأنا معهم على رأى عقدناه فى بعض الأمور الكبار التى حدثت فى أيام المقتدر فلما صح الرأى عندنا وتقرر فى أنفسنا دخلنا على المقتدر فعرضناه عليه واستأذناه فى إمضائه فقال لنا : هذا خطأ فى الرأى والصواب كيت وكيت ففكرنا فيما قال فوجدنا الصواب معه وقد خفى علينا فرجعنا عن رأينا لرأيه وعملنا عليه .

حدثنى أبو الحسين قال : حدثنى القاضى أبو طالب ابن البهلول قال :

حلل من المدح ارتضى لك لبسها شكرى فأغرب مفرد فى مفرد
لما نشرت عليك فاخر وشيها قالت لك العلياء أبل وجدد

وأنشدنى لنفسه يعزى سيف الدولة بابنه أبي المكارم من قصيدة أولها :

سرورنا بك فوق الهم بالنوب فما يغالبنا حزن على طرب
إذا تجاوزت الاقدار عنك فهل فى واجب الشكر أن يرتاع من سبب
حتام تخدعنا الدنيا بزخرفها ولا تحصلنا منه على أرب
نسر منها بما تجنى عواقبه هما ونهرب والآجال فى الطلب

قال وكان سيف الدولة أقام الفداء بشاطئ الفرات فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة فنفق عليه خمسمائة ألف دينار وأخرج كل من قدر على إخراجه من أسارى المسلمين من بلد الروم واشترى كل أسير بثلاثة وثمانين دينارا وثلاث رومية من ضعفاء الناس فأما الجلة ممن كان أسيرا ففادى بهم رؤساء كانوا عنده أسرى من الروم وكانت الحال هائلة فيما أخبرنى جماعة حضروا يبقى فخرها وثوابها له فقال أبو الفرج قصيدة فى ذلك أنشدنيها أولها :

ما المال إلا ما أفاد ثناء ما العز إلا ما حمى الأعداء

فقال فيها فى ذكر الفداء :

وفديت من أسر العدو معاشرا لولاك ما عرفوا الزمان فداء
كانوا عبيد نداك ثم شريتهم فغدوا عبيدك نعمة وشراء
والأسر إحدى الميتتين وطالما خلدوا به فأعدتهم أحياء

وأنشدني أبو محمد لنفسه في قينة ببغداد مشهورة بالاحسان تسمى مواهب كانت جارية لأبي على الحسن بن هرون الكاتب باعها فاشتراها أبو الفضل العباس بن الحسين الوزير فلما تزوج ابنة الوزير أبي محمد المهلبي زينة بنت الحسن دفعها الى أبي محمد فأعتقها وزوجها غلاماً من غلمانه يسمى غالباً ويعرف بالشارزاذي وهي الآن تخدم الأمير عز الدولة بصناعتها :

تمام الحج أن تقف الركائب   على دار تحل بها مواهب
ولولا أن يقال صبا لقلنا   عجائب دون أيسرها عجائب

أنشدني أبو الفرج الببغا لنفسه قصيدة الى سيف الدولة :

سقت العهاد خليط ذاك المعهد   ريّا وحيا البرق برقة ثهمد
في جحفل كالسيل أو كالليل أو   كالقطر صافح موج بحر مزبد
فكأنما نقشت حوافر خيله   للناظرين أهلة في الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف فقد   جعل الغبار له مكان الأثمد

ووصف فيها اللواء فقال :

ومملك رق القنا مستخرج   باللطف أسرار الرياح الركد
خرس يناجيها فتفهم نطقه   وتجيبه أنفاسها بتصعد
قلق كأن الجو ضاق به فما   ينفك بين توثب وتهدد
فكأن همة ربه قالت له   طل وارق في درج المعالي واصعد
إن المحامد رتبة لا يبلغ الا   إنسان راحتها إذا لم يجهد
من لم تبلغه السيادة نفسه   دون الابوة لم يكن بمسود

يقول في آخرها يصف القصيدة

حدثنى أبو الحسن ابن الازرق قال : حدثنى أبو محمد ابن درستويه النحوى قال[١] : حدثنى الزجاج قال : كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرد لتعلمه ولا يعلمه مجاناً ولا يعلم بأجرة الا على قدرها فقال لى : أى شئ صناعتك ؟ قلت : أخرط الزجاج وكسبى فى كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف وأريد أن تبالغ فى تعليمى وأنا أعطيك فى كل يوم درهماً وأشرط لك أنى أعطيك إياه أبداً الى أن يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت اليه . قال : فلزمته وكنت أخدمه فى أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم فينصحنى فى التعليم حتى استقللت فجاءه كتاب من بنى مأزمة من الصراة يلتمس معلماً نحوياً لأولادهم فقلت له : سمنى لهم . فأسمانى فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ اليه فى كل شهر ثلاثين درهماً وأتفقده بعد ذلك بما أقدر عليه ومضت على ذلك مدة فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم فقال : لا أعرف لك الا رجلا زجاجاً بالصراة مع بنى مأزمة . قال : فكتب اليهم عبيد الله فاستنزلهم عنى فنزلوا له فأحضرنى وأسلم القاسم الىّ فكان ذلك سبب غنائى وكنت أعطى المبرد ذلك الدرهم فى كل يوم الى أن مات ولا أخليه من التفقد معه بحسب طاقتى.

حدثنى أبو محمد يحيي بن محمد وأبو الفرج الببغاء قالا أنشدنا أبو محمد عبد الله بن محمد الكاتب لسيف الدولة :

وقالوا يعود الماء فى النهر بعد ما عفت منه آيات وسدت مشارع
فقلت الى أن يرجع الماء جارياً وتعشب جنباه تموت الضفادع

(١) وردت الحكاية فى ارشاد الاريب ١ : ٤٧

نفسى عريب تزورني وتلحن شعرى وهى على حال مغنية وتنصرف من عندى صفرا والله لا كان هـذا ولو أنى مت ضرا وجوعا وفقرا فقمت إلى جوارىّ وشرحت الحال لهن وقلت عاوننى بما يحضركن فدفعت إلىّ هذه خلخالاً وهذه سواراً وهذه عقد حب وهذه جاماً إلى أن اجتمع لى من حليهم ما قيمته ألف دينار . قال : واستدعيت زنبيلاً مشبكاً ذهباً كان عندى فيه مائة مثقال فجعلت ذلك فيه وخرجت به إليها وقلت : يا ستى هذه طرف أحببت إتحاف هاتين الصبيتين بها فأحب أن تأمريهما بأخذها . فامتنعت امتناعاً ضعيفاً فقالت : يا أبا إسحق بيننا اليوم هذا أو قبل فضل له[1] . فقلت لا بد . فقالت لهما : خـذاه . فأخذتاه وجلست إلى وقت المغرب ثم قامت لتنصرف فشيعتها إلى دجلة فلما أرادت الجلوس فى طيارها قالت : يا أبا إسحق لى حاجة . فقلت : مرى بأمرك . قالت : قد ابتاعت فلانة أم ولدك ضيعة يقال لها كذا وهى تجاورنى وأنا شفعتها وأريد أن تأمرها بأخذ المال منى والنزول عنها لى . فعلمت أنها إنما كانت جاءت بهذا السبب فقلت : مكانك فوقفت فى الطيار فدخلت إلى أم ولدى وضمنت لها المال وأخذت العهدة بالضيعة فجئت بها إليها وقلت : قد وهبتها لك وضمنت المال لها وفى غد أتقدم بالاشهاد لك فى ظهر الكتاب نخذيه معك عاجلاً . فشكرتنى ومضت وكان شراء الضيعة ألف دينار فقامت علىّ يومها وتلحينها هذا الشعر بألفى دينار ومائة دينار.

(١) كذا بالاصل

بالباب وهى فيه تستأذن . فعجبت من ذلك وارتاح قلبى إليها فقمت حتى نزلت بالشط فاذا هى جالسة فى طيارها فقلت ياستى كيف كان هذا ؟ قالت : اشتقت إليك وطال العهد فأحببت أن أجدده وأشرب عندك اليوم . قلت : فاصعدى . قالت : حتى تجىء محفتى . قال : فاذا بطيار لطيف قد جاء وفيـه المحفة فأجلست فيها وأصعدتها الخدم وتحدثنا ساعة ثم قدم الطعام فأكلنا وأحضر النبيذ فشربت وسقيتها فشربت وأمرت جواريها بالغناء وكان معها منهن عدة محسنات طياب حذاق فتغنين أحسن غناء وأطيبه فطربت وسررت وقد كنت قبل ذلك بأيام عملت شعرا وأنا مولع فى أكثر الأوقات بترديده وانشاده وهو :

إن كان ليلك نوما لا انقضاء له ... فان جفنى لا تثنى لتغميض

كأن جنبى فى الظلماء تقرضه ... على الحشية أطراف المقاريض

أستودع الله من لا أستطيع له ... شكوى المحبة ألا بالمعاريض

فقلت لهـا ياستى إنى قد عملت أبياتا أشتهى أن تصنعى فيها لحنا . فقالت : يا أبا إسحق مع التوبة ؟ قلت لها : فاحتالى فى ذلك كيف شئت . فقالت . روِّ هاتين الصبيتين الشعر . وأومأت إلى بدعة وتحفة جاريتيها فحفظتهما الشعر . وفكرت ساعة ووقعت بالمروحة على الارض وزمزمت مع نفسها ثم قالت لهما : أصلحا الوتر الفلانى على الطريق الفلانى وأضربا بالأصبع الفلانية وافعلا كذا وكذا إلى أن صح لهما الضرب ثم قالت : غنياه على الطريقة الفلانية واجعلا فى الموضع الفلانى كذا فغنتاه كأنهما قد سمعتاه قبل ذلك دفعات وما خرج الغناء من بين شفتيهما وقلت فى

أنسه بى ويتحدث عنه أنه بخل بقضاء دينٍ نديم له ورأى أن يلتزم المـال . ثم قال للغرماء : المـال عليّ ووقع لهم فى الحال وأخذوه وانصرفنا . فلما خلونا قال : ياعاض كذا أى شئ كانت هذه المبادرة إلى الإقرار ما قدرت أن تجحد ولا أغرم أنا المال ولا تحبس أنت ؟ فقلت : لم أستحل ذلك وكيف أجحد قوما فى وجوههم وقـد أعطونى أموالهم ؟ قال : ومضت على هـذا مديدة فأضقت فاستدنت ألوفاً أخرى دنانير أقل من تلك وطولبت بها فدافعت لأن دخلى لم يكن يفى بنفقتي وما أقيم من المروءة أكثر من قدر حالى فما كان لى وجه أقضى منه الدين وجلس المعتضد للمظالم فرفع إليه القوم فأحضرنى وسألنى فأقررت فوزن المال عنى ثم قال للقاضى الذى يلى حضرته : خذ هذا فناد عليه فى البلد بسفهه فى ماله وعدمه وأنه لا يملك ما يباع عليه فيقضى به دينه وأن من عامله بعد هـذا فقد طوح ماله . فاضطربت من ذلك فقال : لا والله لا جعلت أنت غرماءك كل يوم حيلة على مالى . قال : فما نفعنى معه شئ حتى مضيت إلى دار القاضى وجلست معه فى مجلسه وهو يشيع فى الناس ذلك ويجريه فى وجهى ولم يناد عليّ

حدثنى أبو محمـد قال : حدثنى أبو أحمـد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى الـكاتب قال : أخبرنى من أثق به أن إبراهيم بن المدبر قال : كنت أتعشق عريب دهراً طويلاً وأنفق عليها مالاً جليلاً فلما قصدنى الزمان وتركت التصرف ولزمت البيت كانت هى أيضاً قد أسنت وتابت من الغناء وزمنت فكنت جالساً يوماً إذ جاءنى بوابى وقال : طيار عريب

وأندم على ما حلفت عليه وقلت : كم عسانى أشترى من هذه السبعين ألف شمعاً وشراباً وكم أجذر وما كانت هذه العجلة فى اليمين ولولم أكن حلفت كنت الآن قد اشتريت بها ضيعة . قال : وكانت اليمين بالطلاق والعتاق وصدقة الملك والضيعة وأغرقت فى الفكر والمعتضد يرانى وأنا لا أعلم فلما سلم من الركوع سبح وقال لى : يا أبا عبد الله فى أى شئ فكرت ؟ فقلت : خيراً يا مولاى فقال : بحياتى اصدقنى . فصدقته . فقال : وعندك أنى أريد أن أعطيك سبعين ألفا فى القمار ؟ فقلت له : فتضغو ؟ قال : نعم ضغوت قم ولا تفكر فى هـذا . قال : ودخل فى صلاة العصر الفرض . قال : فلحقنى غم أعظم من الأول وفكر أشد منه وندم على فوت المال وقلت : لم صدقته ؟ وأخذت ألوم نفسى . قال : فلما فرغ من صلاته وجلس قال لى : يا أبا عبد الله بحياتى اصدقنى عن هـذا الفكر الثانى . فلم أجد بدا فصدقته . فقال : أما القمار فقد فاتك لأنى قد ضغوت بك ولـكنى أهب لك سبعين ألف درهم غير تلك من مالى فلم يكن عليّ إثم فى دفعها ولا عليك إثم فى أخذها وتخرج من يمينك فتأخـذها وتشترى بها ضيعة حلالاً . فقبلت يده فأحضر المال وأعطانيـه فأخذته واعتقدت به ضيعة . وحدثنى أبو محمد قال : حدثنى أبو جعفر قال : حدثنى أبو محمد ابن حمدون قال : كان عليّ دين ثقيل مبلغه خمسة آلاف دينار ولم يكن لى وجه قضائه ولم تـكد القضاة تعدى عليّ للازمتى المعتضد فجلس المعتضد للمظالم بنفسه مجالس عدة فتظلم إليه منى غرمائى فأحضرنى وسألنى عن الدين فأقررت به عنده للقوم ففـكر المعتضد فى حبسى به لهم فيبطل

القاضي كان قديماً عندنا بالبصرة ستة وثلاثين ألف شاهد فى مدة ولايته فقلت له : هذا عظيم فكيف كان ذلك ؟ فقال لى : كان القضاة على مذهب أبى حنيفة وغيره من الفقهاء فى أن الناس كلهم عدول على الشرائط التى تعرفها وكان يشهد الناس عند التميمى بأسرهم فاذا سمع شهاداتهم سأل عنهم فيزكون فقبلهم وكان الناس يشهد بعضهم بعضاً الجيران وأهل الاسواق لا نعرف ترتيب قوم مخصوصين للشهادة إلى أن ولى إسمعيل . قال وكان مبلغ من قبله التميمى ستة وثلاثون ألف شاهد منهم عشرون ألفاً لم تشهد عنده إلا شهادة واحـدة . أخبرنى أبو القاسم الجهنى قال : كانت فى أسد بن جهور سوداء ونسيان فحضرته يوماً وهو فى دار بعض الوزراء وقـد جلس يتحدث ومعنا بعض القضاة وكان اليوم حارا فوضعنا عمائمنا ووضع القاضى قلنسوته فطلب الوزير أسدا فقام مستعجلا فأخـذ قلنسوة القاضى فلبسها ودخل على الوزير فصاح القاضى به وجماعتنا فما سمع حتى دخل كذلك على الوزير فضحك منه .

حدثنى ابو محمد يحيي بن محمد بن سليمان قال . حدثنى ابو جعفر بن حمدون قال : حدثنى ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمدون قال : كنت قد حلفت وعاهدت الله تعالى أن لا أعقد مالا من القمار وأن لا يقع فى يدى شئ منـه الا صرفته فى ثمن شمع يحترق أو نبيذ يشرب أو جذر مغنية تسمع . قال : فجلست يوماً أُلاعب المعتضد بالنرد فقامرته سبعين ألف درهم فنهض المعتضد يصلي العصر من قبل أن يأمر لى بها وكان له ركوع طويل قبلها فتشاغل به وصليت أنا العصر فقط فجلست أفكر

حدثني أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن إسحق بن البهلول القاضى قال : كان قد ارتكب الحسين بن القاسم بن عبيد الله دين عظيم عشرات ألوف دنانير فدعاه غرماؤه إلى القاضى نخافهم واستتر وجاء الى جدى فشاوره في أمره وقال : إن بعت ملكى كان بأزاء دينى وحصلت فقيرا وقد رضيت أن أجوع وأعطى غلتى بأسرها الغرماء وليس يقنعون بذلك فكيف أعمل ؟ يحتال لى القاضى فى ذلك . وكان منزل الحسين فى الجانب الشرقى والحكم فيه إلى أبى عمر . فقال له جدى : إن مذهب مالك الحجر على الرجال إذا بان سفههم فى الأموال وإن عنى بك أبو عمر جعل استدانتك من غير حاجة كانت بك إليها (وإنما بذرت المال وتخرقت فى النفقة) دليلاً على سفهك فى مالك ولو صار أن يسمع فى ذلك شهادة من يعرفه من حالك فثبت حينئذ السفه عنده فيحجر عليك ويمنعك من التصرف فى مالك ويدخل فيه أيدى امنائه ويحول بينك وبينه فاذا ثبت عنده للغرماء عليك الدين أمرهم يعنى أمناءه بأن يصرفوا الغلات إليهم قضاء للدين وبقيت عليك الأصول . قال : فطرح الحسين نفسه على أبى عمر ففعل به ذلك فظهر وصلحت حاله وجرى أمره مع الغرماء على ذلك .

قال: ولى الحسين الوزارة وفسد عليه مونس فسعى فى صرفه قال للمقتدر: يا أمير المؤمنين هذا لم يكن موضعاً لما له حتى حجر عليه القضاة فيه لسفهه وتبذيره كيف يحمد حتى يرد إليه مال الدنيا ويدبرها وسياسة العالم وهو عجز عن تدبير داره ونفقته ؟ فكان ذلك أوكد الأسباب فى صرفه .

حدثني أبو الحسين محمد بن عبيد المعروف بابن نصرويه قال :قبل التميمى

كيف عاد أبو جعفر ؟ قال: فقص عليه اسمعيل القاضي الخبر فقال : جزى الله هذا الصديق عنك خيراً فقد أشار عليك بالرأى الصحيح اكتبوا عهده . قال : فكتب عهدى عن الناصر على الأنبار وهيت وعانات والرحبة وقرقيسيا وأعمال ذلك وعدت الى بلدى . قلت أنا : ولم يزل محل أبي جعفر ينمى ويزيد حتى قلد مدينة أبي جعفر المنصور عند صرف أبي عمر في قصة ابن المعتز فظهر من فضله ما اشتهر وكان عند المقتدر ووزرائه بصورة الناسك الزاهد . من ذلك ما حدثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول قال : حدثني أبو على أحمد بن جعفر بن ابراهيم الحصيني الأنباري الكاتب قال: مات واثق مولى المعتضد فأوصى أن يصلى عليه أبو الحسن على بن عيسى فحضر الخلق وجوه الدولة من القوّاد والكتاب والأشراف والقضاة وغيرهم فكان فيمن حضر القاضيان أبو جعفر وأبو عمر وكنت حاضراً قال : فوضعت الجنازة وقيل لعلى بن عيسى تقدم فجاء ليتقدم فوقعت عينه على أبي جعفر فجذبه وقدمه وتأخر هو . قال : فلما انقضت الصلاة طلبت أبا عمر لأنظر كيف هو فوجدته قد اسوّد وجهه غماً بتقديمهم أبا جعفر عليه فجئت الى أبي جعفر وهنأته بذلك وأخبرته بخبر أبي عمر فاستسرّ بذلك وسر بعلمي أنا بالأمر ومشاهدتي له لأجل البلدية . قال لى[1] أبو الحسن هذا مع نفرة كانت بينهما ولكن أبا الحسن لفضله لم يكن يدفع أهل الفضل عنه وان لم يكن ما بينه وبينهم مستقيماً .

(١) لعله : وقد فعل

حدثنى القاضى أبو الحسن على بن أبى طالب ابن القاضى أبى جعفر ابن البهلول قال : حدثنى أبى عن أبيه وحدثنى أيضا أحمد بن يوسف الأزرق عن أبى جعفر بن البهلول القاضى قال : لما استقرت الأمور للناصر لدين الله بعد فراغه من أمر الزنج نظر فى البلدان ومصالحها وأمر بارتياد قضاة من أهل البلدان لها فسأل عن الأنبار ومن فيها يصلح لتقليد القضاء وأسميت له وكان عارفا بأبى اسحق بن البهلول حين استقدمه المتوكل الى سر من رأى حتى حدثه ولم أكن تقلدت شيئا من ذلك . قال : فأمر باحضارى وتقليدى فتقدم اسمعيل بن بلبل الى اسمعيل بن اسحق القاضى فى ذلك فكاتبنى بالحضور فحضرت فعرفنى الصورة وحملنى الى اسمعيل . فقلت لهما : أنا فى كفاية وغناء ولا حاجة بى الى تقلد القضاء فأمسكا عنى فعدت الى منزلى ببغداد لأصلح أمرى وأرجع . فجاءنى جعفر بن ابراهيم الحصينى الأنبارى وكان من عقلاء العجم بالأنبار ولى صديقا فقال لى : لأى شىء استدعيت ؟ فحدثته فقال : اتق الله فى نفسك ان الذى جرى بينك وبينهما خاف عن الناس انك تعود الى بلدك فيقول أعداؤك « طلب للقضاء فلما شوهد وجد لا يصلح فرد » فقلت : ما أصنع وقد قلت ما قلت ؟ قال : ترجع الى اسمعيل فتصدقه عما جرى بيننا . قال : فباكرت اسمعيل فحين رآنى قال : هذا وجه غير الوجه الأمسى . قلت : هو كذلك . قال هى . قلت : كان كذا وكان كذا فأخبرته بما جرى بينى وبين جعفر بن ابراهيم . فقال فضحك : والله هذا الصديق والأمر على ما قاله قم بنا الى الوزير . قال : فحملنى اليه فلما رآنا اسمعيل تبسم وقال :

هو الابن الزانى . قال : ثم رفع رأسه فقال : ومن أين قلت هذا ؟ قلت : لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ادرؤوا الحدود بالشبهات . وهذه شبهة يسقط الحد معها . فقال : وأى شبهة مع المعاينة ؟ قلت : ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى والحكم فى الحدود لا يكون بالعلم. قال ولم ؟ قلت لان الحد حق الله تعالى والامام مأمور بقيام الحق فكأنه قد صار حقا له وليس لأحد أخذ حقه بعلمه ولا تناوله بيده وقد أجمع المسلمون على وقوع الحد بالاقرار والبينة ولم يجمعوا على إيقاعه بالعلم . قال : فسجد مرة أخرى وأمر لى بمال جليل ورزق فى الفقهاء فى كل شهر وأن ألزم الدار . قال : فما خرجت حتى جاءتنى هدية الفتى وهدية أمه وأسبابه فحصل لى من ذلك ما صار أصلا للنعمة وانضاف رزق الخليفة الى ما كان يجريه علىّ ذلك القائد ولزمت الدار وكان هذا الخادم يستفتينى وهذا يشاورنى فأفتى وأشير فصارت لى مكنة منهم وحرمة بهم وصلاتهم تصل الىّ وحالتى تقوى . ثم استدعانى الخليفة وطاولنى واستفتانى فى خواص أمره وأنس بى فلم تزل حالى تقوى معه حتى قلدنى القضاء . قال لى أبى : بلغنى أن أبا يوسف لما مات خلف فى جملة كسوته مائتى سراويل خز من أصناف السراويلات وأن جميع سراويلاته كانت مختصة كل سراويل بتكة أرمنى تساوى دينارا وبلغ من محله عنده أن طلبه الرشيد يوما فجاء وعليه بردة أنسا به فحين رآه الرشيد قال لمن بحضرته

جاءت به معتجراً ببرده سفواء ترمى بنسيج وحده (١)

(١) هذا بيت ابن ميادة فى ابن هبيرة ذكره ابن رشيق فى العمدة ١ : ١٥٢

بيوم فلما طال ذلك عليها خرج الى المجلس وأقام فيه يومه وعاد ليلا فطلب ما يأكل فجاءته بغضارة مغطاة فكشفها فاذا فيها دفاتر فقال ماهذا ؟ قالت : هذا ما أنت مشغول به نهارك أجمع فكل منه ليلا . قال : فبكى وبات جائعاً وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال ما أكلوه فلما جاء الى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدقه فقال : ألا عرفتنى فكنت أمدك ولا يجب أن تغتم فانه ان طال عمرك فستأكل بالفقه اللوزينج بالفستق المقشور . قال أبو يوسف : فلما خدمت الرشيد واختصصت به قدمت بحضرته يوماً جامة لوزينج بفستق فحين أكلت منها بكيت وذكرت أبا حنيفة فسألنى الرشيد عن السبب فى ذلك فأخبرته . وحدثنى أبى : كان سبب اتصاله بالرشيد أنه قدم بغداد بعد موت أبى حنيفة فحنث بعض القواد فى يمين فطلب فقيهاً يستفتيه فيها فجىء بأبى يوسف فأفتاه انه لم يحنث فوهب له دنانير وأخذ له داراً بالقرب منه واتصل به فدخل القائد يوماً الى الرشيد فوجده مغموما فسأله عن سبب غمه فقال : شئ من أمر الدين قد حزننى فاطلب لى فقيها أستفتيه . فجاءه بأبى يوسف فقال أبو يوسف : فلما دخلت الى ممرّ بين الدور رأيت فتى حسنا أثر الملك عليه وهو فى حجرة من الممرّ محبوس فأومأ الىّ بأصبعه مستغيثا فلم أفهم عنه ارادته وأدخلت الى الرشيد فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لى : ما اسمك ؟ قلت : يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين . قال : ما تقول فى امام شاهد رجلا يزنى هل يحده ؟ قلت : لا يجب ذلك . قال : فحين قلتها سجد الرشيد فوقع لى أنه قد رأى بعض أولاده الذكور على ذلك وأن الذى أشار الىّ بالاستغاثة

على باب السلم وكان ينفذ إلى حجرة خلوة له هو فيها فلما رآنى الحاجب أمر فرفع لى الستر فدخلت إليه وهو يتبخر وعليه سواده يريد الركوب إلى المقتدر وليس بين يديه أحد فطاولنى فى الحديث إلى أن فرغ وشد سيفه ومنطقته وخرج وأنا خلفه فتلقاه الناس بالسلام وتقبيل اليد فخرجوا خلفه فاختلطت بهم فاذا بانسان يجذب طيلسانى فالتفت فاذا هو فلان شيخ من شيوخ الكتاب أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا وذكر أنه كان صديقاً له ولأبيه من قبله فقال لى : يا أبا الحسين فداك عمك فى بيتك خمسون ألف دينار ؟ فقلت : لا والله . قال : فتقوى على خمسين ألف مقرعة وصفعة ؟ قلت : لا والله . قال : فلم تدخل الى الوزير وفلان وفلان (فعدد من حضر) محجوبون يتمنون الوصول ولا يقدرون ثم لا ترضى حتى تطيل عنده وتخرج فى يوم موكب وراءه ليس معه غيرك ولا خمسون ألف دينار معدة عندك تؤديها اذا نكب هذا فأخذت بتبعة الاختصاص به وأنت لا تقوى على ما يولد هذا . فقلت : يا عم لم أعلم وأنا رجل فقيه ومن أولاد التجار ولا عادة لى بخدمة هؤلاء . فقال : يا بنى لا تعاود فان هذا يولد لك اسماً ويجر عليك تبعة . قال : فتجنبت بعد ذلك الدخول الى سليمان فى أوقات مجالسه العامة وأيام المواكب خاصة.

حدثنى أبى قال[1] : بلغنى من غير واحد أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة لتعلم العلم على فقر شديد فكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش فيعود الى منزل مختل وأمر قل فطال ذلك وكانت امرأته تحتال له ما تقتاته يوماً

(١) وردت الحكاية فى الفرج بعد الشدة ٢ : ١٧

إجمال البر وتوفية الاخوان الحق . قال : وقد كنت عاتباً عليه فى أشياء عاملنى بها وإنما جئته للخصومة فبدأت لأصل الكلام فخين رأى البشر[١] فى وجهى قال : تتفضل باستماع كلمتين ثم تقول ماشئت . فقلت له : قل . فقال : روينا عن ابن عباس فى قوله . فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ قال : عفو بلا تقريع . فان رأيت أن تفعل ذلك فعلت . فاستحييت من الاستقصاء عليه . حضرت أبا عبدالله الخوميني عامل سوق الأهواز وقد دخل إليه أبو بكر أحمد بن عبدالله المعروف بأبى بكر بن عبدالله أبى سعيد الاصفهانى الكاتب فأخذ يريه أنه يريد القيام ويتثاقل فيه حتى يسبقه أبو بكر بن أبى سعيد بالجلوس إلى قيامه له ففطن أبو بكر فوقف من بعيد وقال : هى قم قائماً حتى أجئ وإلا انصرفت من موضعى . فضحك الخوميني وقال والله يا سيدى ما أردت هذا وقام له القيام التام .

حدثنى أبو الحسين بن عياش قال : تقلد سليمان بن الحسن الوزارة الأولى عقيب اختصاصى به وأنسى فكنت أجيئه على ذلك الأنس ما تغير عليّ ولا أنكرت منه شيئاً وكنت شاباً ولم تكن لى مداخلة بالملوك وكنت أجيئه والناس محجوبون فأدخل على الرسم وهو خالٍ فاتفق أنى بت ليلة موكب عند أبيه أبى محمد فبكرت من غد لأراه ثم أنصرف فجئت والقاضى أبو عمر وابنه أبو الحسين والقاضى ابن أبى الشوارب وابنه والقاضى ابن البهلول والناس من الأشراف والكتاب ووجوه القواد وأهل الحضرة محجوبون وهم جلوس فى الرواق والحاجب واقف

---

(١) لعله الشر

انقضى الحكم انصرف الخادم فحدث المعتضد بالحديث وبكى عليه فصاح عليه المعتضد وقال : لو باعك لأجزت بيعه ولا رددتك الى ملكى أبداً وليس خصوصك بى يزيل مرتبة الحكم فانه عمود السلطان وقوام الأديان. سمعت قاضى القضاة أبا السائب عتبة بن عبيدالله يقول : كان فى بلدنا يعنى همذان رجل مستور فأحب القاضى قبوله فسأل عنه فزكى له سراً وجهراً فراسله فى حضور المجلس ليقبله وأمر فأخذ خطه فى كتب ليحضر فيقيم الشهادة فيها وجلس القاضى وحضر الرجل مع الشهود ونودى به فجاء مع شاهد آخر فلما جلسا ليشهدا أمرهما القاضى بالقيام فقاما ونظر بين الخصوم وتقوض المجلس ولم يقبله فورد على الرجل أمر عظيم ودس الى القاضى من يسأله عن سبب ذلك فقال القاضى : إنى أردت قبوله لسيره ودينه ثم انكشف لى أنه مراء فلم يسعنى قبوله . فقيل له : كيف انكشف هذا للقاضى بعد أن دعاه للقبول ؟ قال : كان يدخل الىّ فى كل يوم فأعد خطاه من حيث تقع عينى عليه من دارى[1] الى مجلسى فلما دعوته اليوم للشهادة جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فاذا هى قد زادت خطوتين أو ثلاثا فعلمت أنه متصنع لهذا الأمر مراء فلم أقبله . حدثنى أبومنصور عبدالعزيز ابن محمد بن عثمان المعروف بابن أبى عمرو الشرابى حاجب أمير المؤمنين المطيع لله قال : دخلت فى حداثتى يوماً على أبى السائب القاضى فقصر فى القيام أو أظهر ضعفاً عنه للسن والعلل المتصلة به وتطاول لى فجذبت يديه بيدى حتى أقمته القيام التام وقلت له : أعين قاضى القضاة أيده الله على

---

(١) لعله داره

القضاء أقم على ما أنت عليه بارك الله فيك ولا تخف أن يثلم ذلك عرضك عنـدنا . قال : فلما عاودته السيدة بلغنا أنه قال لها : الأحكام ما لا طريق الى اللعب به وابن البهلول مأمون علينا محب لدولتنا وهو شيخ ديّن مستجاب الدعوة ولو كان هـذا شيئاً يجوز ما منعك إياه . فسألت السيدة كاتبها ابن عبد الحميد عن ذلك وشرحت له الأمر فلما سمع ماقاله جدى بكى بكاء شـديداً وكان شيخاً صالحاً من شيوخ الـكتاب وقال : الآن علمت أن دولة السيدة وأمير المؤمنين تبقى وتثبت اذا كان فيها مثل هذا الشيخ الصالح الذى يقيم الحق على السيدة ولا يخاف فى الله لومة لائم فأى شئ يساوى شراؤكم لوقف وان أخذتم كتابه تخرقتموه فأمره شائع ذائع والله فوق كل شئ وبه عالم . فقالت السيدة : وكانّ هذا لا يجوز ؟ فقال لهـا : لا هـذه حيلة من أرباب الوقف على مال الله وأعلمها أن الشراء لا يصح بتخريق كتاب الوقف وهـذا لا يحل فارتجعت المـال وفسخت الشراء وعادت تشكر جدى وانقلب ذلك له أثراً جميلا عنـدهم . فقال لنا جدى بعد ذلك من قدم أمر الله تعالى على أمر المخلوقين كفاه الله شرهم.

حدثنى أبى قال : سمعت القاضى أبا عمر يقول : قدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله الى أبى فى حكم فجاء فارتفع المجلس فأمره الحاجب بموازاة خصمه فلم يفعل إدلالا بعظم محله بين الدولة فصاح أبى عليـه وقال : هاه أتؤمر بموازاة خصمك فتمتنع يا غلام عمرو بن أبى عمرو النخاس الساعة لا تقدم اليه ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى أمير المؤمنين ؟ ثم قال لحاجبه : خذ بيده وساو بينه وبين خصمه . فأخـذ كرهاً وأجلس مع خصمه فلما

عمر يوم خلع بالحضرة وقد اجتزنا بالناس وهم يعجبون من تقلده أضعاف هذا العجب حتى خفت أن يثبوا بنا وهذا أبو عمر قدوة فى الفضل ومثال فى العقل والنبل ولكن الناس يسرعون الى العجب مما لم يألفوه. حدثنى أبو الحسين على ابن القاضى أبى طالب محمد ابن القاضى أبى جعفر بن البهلول قال : طلبت السيدة أم المقتدر من جدى كتاب وقف لضيعة كانت ابتاعتها وكان الكتاب فى ديوان القضاء فأرادت أخذه لتخرقه وتبطل الوقف ولم يعلم جدى بذلك فحمله الى الدار وقال للقهرمانة : قد أحضرت الكتاب كما أمرتم فأيش ؟ فقالوا : نريد أن يكون عندنا . فأحس بالأمر فقال لأم موسى القهرمانة : تقول[1] للسيدة أعزها الله : هذا والله ما لا طريق اليه أبداً أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم فإما مكنتمونى من خزنه كما يجب والا فاصرفونى وتسلموا الديوان دفعة فاعملوا به ما شئتم وخذوا منه ما أردتم ودعوا ما أردتم فاما أن يغل شئ منه على يدى فوالله لا كان هذا ولو عرضت على السيف . ونهض والكتاب معه وجاء الى طياره وهو لا يشك فى الصرف فصعد الى ابن الفرات فحدثه بالحديث وهو وزير فقال : ألا دافعت عن الجواب وعرفتنى حتى كنت أتلافى ذلك الآن أنت مصروف ولا حيلة لى مع السيدة فى أمرك . قال : وأدت الرسالة القهرمانة الى السيدة فشكته الى المقتدر فلما كان فى يوم الموكب خاطبه المقتدر شفاهاً فى ذلك فكشف له الصورة وقال مثل ذلك القول فى الاستعفاء . فقال المقتدر : مثلك يا أحمد قلد

---

(١) صوابه تقولين

فيه مثل هذا وتشبهت صورته بصورة من إذا رمى بهذا جاز أن يتشكك فيه والقضاء أرق من هذا فصرفه . حدثنى أبو الحسين ابن عياش القاضى عمن حدثه أنه كان يساير أبا حازم القاضى فى طريق فقام اليه رجل فقال : أحسن الله جزاءك أيها القاضى فى تقليدك فلاناً القضاء ببلدنا فانه عفيف . فصاح عليه أبو حازم وقال : اسكت عافاك الله تقول فى قاض إنه عفيف ؟ هـذه من صفات أصحاب الشرط والقضاة فوقها . قال : ثم سرنا وهو واجم ساعة فقلت : مالك أيها القاضى ؟ قال : ما ظننت أنى أعيش حتى أسمع هـذا ولـكن فسد الزمان وبطلت هـذه الصناعة ولعمرى إنه قد دخل فيها من يحتاج القاضى معـه الى التقريظ وما كان الناس يحتاجون أن يقولوا فلان القاضى عفيف حتى تقلد فلان وذكر رجلا لا أحب أن أسميه . فقلت من الرجـل ؟ فامتنع فألححت عليـه فأومأ الى أبى عمر . وحدثنى أبو الحسين قال : لمـا قلد المقتدر أبا الحسين ابن أبى عمر القاضى المدينة رئاسة فى حياة أبيه أبى عمر خلع عليه واجتمع الخلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع فساروا معه . قال : وكنت فيهم مع عمى للصهر الذى كان بينه وبينهم ولأنه كان أحد شهودهم فسار عمى وأنا معه فى أخريات الموكب خوفاً من الزحام ومعنا شيخ من الشهود كبير السن أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا فكنا لا نجتاز بموضع إلا سمعنا ثلب الناس لأبى الحسين وتعجبهم من تقلد هذا الفتى مع فضله ونفاسته وعلمه وجلالة سلفه. فقال له الشيخ : يا أبا محمد لا تعجب من هذا فلعهدى وقد ركبت مع أبى

مداراته والركوب إليه وتلافيه . فقبض على ابن الفرات وأبو أمية لا يعلم وورد كتاب على الطائر بذلك إلى ابن كنداج فركب بنفسه فى عسكره إلى أبى أمية فقدر أنه قد جاء مسلما فخرج إليه فقبض عليه ومشاه بين يديه طول الطريق إلى داره ببنى نمير حتى أدخله السجن من تحت الخشبة فأقام فيه مدة ثم مات ولم يسمع بقاض ادخل السجن من تحت الخشبة غيره ولا بقاض مات فى السجن سواه . ثم ولى ابن الفرات الوزارة أيضاً فحين جلس سأل عن أصحابه وصنائعه وسأل عن أبى أمية فعُرّف ما جرى عليه ووفاته فاغتم بذلك وقال : فاتنى بنفسه فهل له ولد أقضى فيه حقه ؟ فقالوا : ابن رجل . فكتب إليه بحمله مكرماً فحمل فلما دخل عليه وجد سلامه سلام متخلف فقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو غشان (وكانت لثغته كذا وكنيته أبو غسان ولم يفرق بتخلفه بين الاسم والكنية) فقال ابن الفرات عزيز علىّ ألا أقضى حق أبى أمية فى نفسه ولا فى ولده كيف أقلد هذا القضاء ؟ فوصله بمال جزيل وأمر باجراء أرزاق عظيمة عليه وصرفه إلى بلده وكان يأخذها إلى أن زال أمر ابن الفرات .

حدثنى أبو نصر أحمد بن عمرو البخارى القاضى قال : حدثنى جماعة من ثقات أهل بغداد أن أبا عمر القاضى قلد ابناً لأحمد بن حنبل القضاء فتظلم اليه منه وذكر عنده بشناعات لا يليق مثلها بالقضاة فأراد صرفه فعوتب على ذلك وقيل : ان مثل هذا الرجل لا يجوز أن يكون ما رمى به صحيحاً فان كان صح عندك والا فلا تصرفه . فقال : ما صح عندى ولا بد من صرفه . فقيل : ولم ؟ قال : أليس قد احتمل عرضه أن يقال

وعليه ميزر وعلى ظهره رداء خفيف وفى رجليه نعلان كيتانى كان[١] وبيده مروحة وهو قاضى البصرة والأبلة وكور دجلة وكور الاهواز وواسط وأعمال ذلك فيمشى حوله من يتفق أن يكون فى الوقت من غير تعمل حتى ينتهى إلى موضع حلقة أبى يحيى زكريا الساجى فجلس إليه وربما سبقه وجاء أبو يحيى وجلسا يتحدثان ويجتمع إليهما أترابهما وإخوانهما القدماء فيستعملون من التخالع والانبساط فى الحديث والمزح ما ليس بقليل ويجئ سعيد الصفار وكان[٢] أبا أمية على البصرة بقلنسوة عظيمة وقميص وخف وطيلسان فيسلم عليه بالقضاء ويستأذنه فى الأمور فيقول له : قم عنى لا يجتمع علىّ الناس لا تقطعنى عن لذتى بمحادثة إخوانى القدماء قم إلى مجلسك . فيقوم سعيد فيجلس بالبعد منه فى الجامع فى موضع برسمه ينظر بين الناس وما كان ذلك يغض من قدره عند الناس وكانت سيرته أحسن سيرة واستعمل من العفة عن الاموال مالم يعهد مثله وكان ديوان الوقوف بالبصرة ببغداد فاذا أراد أربابها شيئاً خرجوا إلى بغداد حتى يوردوا الامر فيه من الحضرة فلحق الناس مشقة فنقل أبو أمية ديوانها إلى البصرة فكثر الدعاء له وصارت سنة وبقى الديوان بالبصرة وكان مع هذا يتيه على ابن كنداج وهو أمير البصرة فلا يركب إليه مرة إلا إذا جاءه ابن كنداج مرة ويعترض على ابن كنداج فى الأمور ويسمع الظلامات فيه وينفذ إليه فى إنصاف المتظلم فيضج ابن كنداج من يده ويكتب إلى ابن الفرات فى أمره فترد عليه الاجوبة بالصواعق ويأمره بالسمع والطاعة فيضطر إلى

(١) لعله كيتانيان (٢) لعله سقط : يخلف

أبا أمية الاخوص الفلانى البصرى فانه كان بزازاً فاستتر عنده ابن الفرات وخرج من داره إلى الوزارة . فقال له فى حال الاستتار : إن وليت الوزارة فأى شئ تحب أن أعمل بك ؟ قال : تقلدنى شيئاً من أعمال السلطان . قال: ويحك لايجئ منك عامل ولا أمير ولا صاحب شرطة ولا كاتب ولا قائد فأى شئ أقلدك ؟ قال : لا أدرى ماشئت . قال : أقلدك القضاء . قال: قد رضيت . فلما خرج وولى الوزارة وهب له وأحسن إليه وقلده قضاء البصرة وواسط وسبع كور الاهواز وكان يداعبه ويتلهى به ويسخر منه فى أوقات استتاره عنده وقبلها ويمد يده إليه فلما ولاه القضاء وقره عن ذلك. ثم انحدر أبو أمية إلى أعماله فأراد أن يغطى نقصه على نفسه وقلة علمه ويصل ذلك بشئ يتجمل به فعف عن الاموال فما أخذ شيئاً وتصون وتوقر واقتصر على الارزاق وصلات ابن الفرات الدارة فستر ذلك جميع عيوبه وتناوله الشعراء فقال فيه القطرانى البصرى :

عبث الدهر بنا والدّهر بالأحرار يعبث
من عذيرى من زمان كل يوم هو أنكث
ما ظننا أننا نبقى ولا نحيا ونلبث
فنرى الاخوص يقضى وأبا عبس يحدث

حدثنى أبو الحسين محمد بن عبيد بن محمد القاضى المعروف بابن نصرويه قال : كنت أيام أبى أمية الفلانى وتقلده القضاء بالبصرة حدثا وكنت أجيئه مع خالى وكان الحر عندنا بالبصرة إذ ذاك شديداً مفرطاً أكثر من شدته الآن وكان أبو أمية يخرج فى كل عشية من داره فى مربعة الاحنف

مطلب

إذا اختل أمر القضاء في دولة اختل حالها

حدثنى أبو الحسين بن عياش قال : كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك فيما شاهدناه من أيام بنى العباس القضاء فان ابن الفرات وضع منه وأدخل فيه قوماً بالزمانات[1] لاعلم لهم ولا أبوة فيهم فما مضت إلا سنوات حتى ابتدأت الوزارة تتضع ويتقلدها كل من ليس لها بأهل حتى بلغت فى سنة نيف وثلاثين وثلثمائة إلى أن تقلد وزارة المتقى أبو العباس الاصفهانى الكاتب وكان فى غاية سقوط المروءة والرقاعة ولقد استأذنت عليه يوما فجاء البواب إليه فقال : ابن عياش بالباب .[2] فسمعته يقول له من وراء الستر : يدخل . فقلت فى نفسى لا إله إلا الله تبلغ الوزارة إلى هذا الحد فى السقوط وحتى كان يركب وليس بين يديه إلا ابن حدبنا صاحب الربع وحتى رأيت فى شارع الخلد قرداً معلماً يجتمع الناس عليه فيقول له القراد : تشتهى أن تكون بزازاً ؟ فيقول : نعم ويومئ برأسه . فيقول : تشتهى أن تكون عطاراً ؟ فيقول نعم برأسه . فيعدد الصنائع عليه فيومئ برأسه فيقول له فى آخرها تشتهى تكون وزيراً ؟ فيومئ برأسه : لا . ويصيح ويعدو من بين يدى القراد فيضحك الناس . قال : وتلى سقوط الوزارة اتضاع الخلافة وبلغ صيورها إلى مانشاهد فانحلت دولة بنى العباس بانحلال أمر القضاء وكان أول وضع ابن الفرات من القضاء تقليده إياه

(١) يريد بالضمانات · (٢) فى الاصل : من بالباب

فالا رجعت فأعتبتني وصيرت لى ولقولى الغلب
ولا تنسبن إلىّ الخمول عليك أقمت فلم أغترب
وأصبحت منك فان كان فضل وان كان نقص فأنت السبب
وإنّ خراسان إنْ أنكرت علاى فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرنى الأبعدون أمن نقص جد أمن نقص أب
ألست وإياك من أسرة وبينى وبينك فوق النسب
وداد تناسب فيه الكرام وتربية ومحل أشب
فلا تعدلن فداك ابن عم لك لا بل غلامك عما يجب
أكنت الحبيب وكنت القريب ليالى أدعوك من عن كثب
فلما بعدت بدت جفوة ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرة لقلت صديقك من لم يغب
وما شككتنى فيك الخطوب ولا غيرتنى عليك النوب
وأشكر ما كنت فى صحبتى وأحلم ما كنت عند الغضب

قال الببغاء وله فى صفة أسره وعلل لحقته هناك ومراث لنفسه فى الأسر وتعطف لسيف الدولة وصفة الأسر وما لحقه فيه شعر كثير حسن أكثره بمعان مخترعة لم يسبق اليها ونحن نورد ما نختاره من ذلك بعد هذا إن شاء الله تعالى

ذلك مع وجده عليه ومكانه من قلبه ويقول : لا أفدى ابن عمي خصوصاً وأدع باقى المسلمين ولا يكون الفداء إلا عاماً للكافة . والأيام تتدافع الى أن وقع الفداء قبيل موت سيف الدولة فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة . فخرج فيه أبو فراس ومحمد بن ناصر الدولة لأنه كان أسيراً أيضاً فى أيديهم والقاضى أبو الهيثم عبد الرحمن بن القاضى أبى حصين على بن عبد الملك لانهم كانوا أسروه أيضاً من حران قبل ذلك بسنين . وخرج من المسلمين عدد عظيم . قال : ولأبى فراس كل شئ حسن من الشعر فى معنى أسره . فمن ذلك أن كتب سيف الدولة تأخرت عنه وبلغه أن بعض الأسراء قال: إن ثقل هذا المال على الأمير سيف الدولة كاتبنا فيه صاحب خراسان . فاتهم أبا فراس بهذا القول لأنه كان ضمن للروم وقوع الفداء وأداء ذلك المال العظيم فقال سيف الدولة : ومن أين يعرفه أهل خراسان ؟ فكتب اليه قصيدة أولها (١)

أسيف الهدى وقريع العرب ... إلام الجفاء وفيم الغضب
وما بال كتبك قد أصبحت ... تنكبنى مع هذى النكب
وإنك للجبل المشمخر ... لى ولقومك(٢) بل للعرب
عُلًى تستفاد وعاف يفاد ... وعز يشاد ونعمى تُرب
وما غض منى هذا الأسار ... ولكن خلصت خلوص الذهب
ففيم تقرعنى بالخمول ... مولى به نلت أعلى الرتب
أتنكر أنى شكوت الزمان ... وأنى عتبتك فيمن عتب

(١) راجع ديوان أبى فراس ص ٤٧ (٢) فى الديوان بل لقومك

استجادته أقره وحرره فى نسخة تداولها الناس ومات وما بلغ الأربعين قتلا . قال : وأظن مبلغ سنه كانت سبعا وثلاثين أو نحوها لما قتل . وكان قرغويه[1] غلام أبى الهيجاء الذى كان أحد قواد سيف الدولة وحاجبه احتال عليه حتى قتله فى سنة سبع وخمسين وثلثمائة. قال: وذلك أن الجيوش السيفية افترقت بعد وفاة صاحبها وكل قطعة حوت بلداً . وصار معظمهم مع قرغويه بحلب واحتوى عليها . وانضمت قطعة الى أبى فراس فغلب بها على حمص. فلما استقام الأمر لقرغويه رحل بالأمير أبى المعالى شريف ابن سيف الدولة وهو إذ ذاك صبي وأبو فراس خاله اقتتال أبى فراس . ثم جرت بينهما مراسلة واصطلحوا . وجاء أبو فراس ولا يحدث نفسه أن قرغويه يجسر عليه ولا أنه يخاف أبا المعالى وهو ابن أخته فدخل الى أبى المعالى وخرج وما أحب الأمير أبو المعالى به سوءاً إلا أن قرغويه خاف أن يتمكن من ابن أخته فيحمله على قتله فنصب له قوماً اغتالوه فى العسكر وهم عقيب حرب لم تهدأ وتخليط لم يسكن . وأراد الأمير أبو المعالى إنكار ذلك فمنعه قرغويه وطاح دم الرجل رحمه الله . قال : وكان سيف الدولة قلده منبج وحران وأعمالهما فجاءه خلق من الروم فخرج اليهم فى سبعين نفساً من غلمانه وأصحابه يقاتلهم ففتك فيهم وقتل . وقدّر أن الناس يلحقونه فما اتبعوه وحملت الروم بعددها عليه فأسر . فأقام فى أيديهم أسيراً سنين يكاتب سيف الدولة أن يفتديه بقوم كانوا عنده عظماء من الروم منهم البطريق المعروف بأغورج وابن أخت الملك وغيرهم فيأبى سيف الدولة

(١) فرعونة بالاصل

الباقية الى الآن فى أيدى الناس وهو يتصرف مع السلطان . فاجتاز يوماً راكباً فى موكب له عظيم ونعمة على غاية الوفور ومنزلة بما لها من الجلالة فسمع رجلاً يقرأ : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » فقال: اللهم بلى . فكررها دفعات وبكى. ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه ودخل الى دجلة فاستتر بالماء الى حلقه. ولم يخرج حتى فرق جميع ماله فى المظالم التى كانت عليه وردها ووصى فيها وتصدق بالباقى وعمل مااقتضاه مذهبه ووجب عليه عنده . فاجتاز رجل فرآه فى الماء قائماً وسمع بخبره فوهب له قميصاً ومئزراً فاستتر بهما وخرج . فلبسهما وانقطع الى العلم والعبادة حتى مات . ثم قال لى أبو علىّ : فافعل أنت يا أبا القاسم مثل هذا . فان لم تطب نفسك به كله فتب . قال : فأثر كلامه فىّ وعملت على التوبة وتركت التصرف ولم أزل أصلح أمرى لذلك مدة حتى استوى لى التخلص من السلطان . فتبت وتركت معاودة التصرف

من مناجيب بنى حمدان أبو فراس الحرث بن أبى العلاء ابن حمدان فانه برع فى كل فضل على ما أخبرنى جماعة شهدوه وأثق بهم : حُسْنَ خَلْق لم ير فى عصره (وزعموا بالشام) أحسن منه مع خُلُق طاهر وحسن باطن وظاهر وفروسية تامة وشجاعة كاملة وكرم لانه نشأ فى تربية سيف الدولة رضى الله عنه وحجره وأخذ أخلاقه وتأدب بآدابه مع ملاحة خط وترسل وشعر فى غاية الجودة وديوانه كبير الا أنه كان قبيل موته اختاره على ما أخبرنى به أبو الفرج الببغاء فنفى منه شيئاً كثيراً . قال : وافقنى على نفيه لأنه عرضه علىّ فكل ما استضعفناه نفاه وما اجتمعنا على

هذه الحال لارحت[١] رائحة الجنة . فقلت: ولم ولاى شيء إلىّ[٢] ؟ وانما أنا أعمل الحساب وأجرى مجرى ناسخ ومجرى واجد أجرى من بيت المال أو يجيئنى رجل مظلوم قد لزمته زيادة باطلة فى خراجه فأسقطها عنه وأصلحها له فى الحساب فيهدى إلىّ بطيب قلبه أو أرتفق من مال السلطان بشيء فى فيء المسلمين قسط يكون هذا بازائه . فقال : يا أبا القاسم إن الله لايخادع ! أخبرنى ألست أنت تختار المُسّاح وتنفذهم الى المساحة وتوصيهم بالتقصى فيخرجون فيزيدون بالقلم واحداً أو اثنين فى العشر ويجيئونك بالتزاوير فتسقطها[٣] أنت وتعمل الجرائد وتسلمها الى المستخرج وتقول له أريد أن يصح المال فى كذا وكذا يوماً عند الجهبذ وإلا دققت يديك على رجليك؟ فقلت : نعم . قال : فيخرج المستخرج فيبث الفرسان والرجالة والرسل والمستحثين ويضرب ويصفع ويقيد . وأنت تأمره وتنهاه واذا قلت له « أطلق رجلا وأخره بما عليه » قبل أمرك واذا لم تأذن له طالبه حتى يؤدى . قلت : نعم . قال : فيحصل المال عند الجهبذ فتخرج اليه الصكاك من ديوانك وبعلامتك . فقلت : نعم . قال : فأى شيء بقى من العمل لم تتوله وتضمن غرمه وتتحمل إثمه ؟ تب الى الله والا فأنت هالك ودع التصرف واصلح أمر آخرتك . قال : وأخذ يعظنى ويخطب علىّ حتى بكيت . ثم قال لى : لست بأعظم نعمة ولا أكبر منزلة من جعفر بن حرب فانه كان يتقلد كبار أعمال السلطان وكانت نعمته تقارب نعمة الوزراء وكان يعتقد الحق ومنزلته فى العلم المنزلة المشهورة وصنف غير كتاب من كتبه

(١) لعله : لا رُوِّحتَ (٢) كذا بالاصل (٣) لعله : فتقسطها

لأبى القاسم ابن أبى علان : كيف كانت توبتك من التصرف وما سببها ؟ قال : كان سبب ذلك أن أبا علىّ محمد بن عبد الوهاب الجبائى رحمه الله كان يجىء الى الأهواز فينزل علىّ لأنى كنت كاتب ديوان الأهواز وخليفة أبى أحمد بن الحسين بن يوسف على العمالة والأمر كله لى أدبره. وكان أبو علىّ يقدم الأهواز فى كل سنة دفعة وقت افتتاح الخراج ويستضيف الى خراج ضيعته بجبى خراج قوم كان رسمهم أن يكونوا فى أثره على مرور السنين . فاذا قدم البلد أعظمه الناس وأكرموه ولا ينزل إلا علىّ فى أكثر الأوقات فأقرر أمره مع العامل وربما كان العامل غير صاحبى أو من لا يعرف محل أبى علىّ فيكون ما يقرر عليه أمره أقل من ذلك الا أنه كان لا يخلو من أن يسقط عنه نصف الخراج أو ثلثه. فاذا عاد الى جبى لم يلزم نفسه من خراج ضيعته شيئاً بتة ونظر الى ما بقى بعد اسقاط خراجه من النظر ففضه على القوم الذين فى أثر القوم وألزمهم بازاء ذلك أن يضيف كل واحد منهم رجلاً من الفقراء الذين يتعلمون منه العلم طول السنة فيكون ما يلزم الواحد على الواحد منهم شيئاً يسيراً لا يبلغ خمس ما أسقطه عنه من الخراج بجاهه . ويعود هو فيخرج من ضيعته العشر الصحيح فيتصدق به على الفقراء من أهل الحوز قريته التى هو مقيم فيها أهل مجلسه. وكان هذا دأبه فى كل سنة . فنزل علىّ فى بعض قدماته فبلغت له مراده فى أمر الخراج وجلسنا ليلة نتحدث فقلت له : يا أبا علىّ تخاف علىّ مما أنا فيه شيئاً ؟ فقال : يا أبا القاسم وكيف لا أخاف عليك ؟ والله لئن مت على

عليه الى القاضى أبى القاسم على بن محمد التنوخي فكتب لى : عدوى[١] الى صاحب المعونة . فهرب من داره . فنادى القاضى على بابه بالحضور فلم ينجع ذلك . فسألت البريدى إخراجه فكبس عليه وأخرجه وأحضره معى الى القاضى فقامت البينة عليه بالمال . فسألت القاضى حبسه فقال لى القاضى على بن محمد : الحبس فى الأصل غير واجب وذوو المروآت لا يحبسون مع أصاغر الناس فى حبس واحد ولكن أمكنك من أن تلازمه بنفسك أو أصحابك كيف شئت . فلازمته فى مسجدٍ على باب القاضى . ومضيت الى البريدى فقلت : قد لحقت خصمى عناية القاضى فالله الله فىّ فأنى لا آمن أن يدس ابن قديدة الى أكرته أو قوم من الجيش فيؤخذ من يدى ويخرج الى بغداد فيبطل المال علىّ ويحصل هناك يسعى بى ويعرض نعمتى . قال : فخاطب البريدىُّ القاضى فى ذلك . فتقرر الأمر بينهما على أنى اكتريت داراً قريبة من حبس القاضى أؤدى أنا أجرتها وأجلس ابن قديدة فيها وألازمه بأصحابى وأوكل بها رجالة أعطيهم من مالى أجرتهم يحفظونه . فنقلته اليها فأقام فيها سنة وكسرا وهو لا يؤدى المال ويكايدنى عند[٢] نفسه وأنا قد رضيت أن يتأخر المال ويبقى هو محبوساً . واعتل علة صعبة فجاءتنى أمه وكانت بينى وبينها قرابة فسألتنى إطلاقه وبكت فلم أفعل . الى أن بلغنى أنه فى النزع . وجاءتنى تبكى فرحمتها فأطلقته إليها بعد أن كفلته منها فمات بعد ثلاثة أيام. وانتعت بالمال ضياعاً من ضياعه . قلت

(١) لعل الاصوب : اغدُوَا الى . أى اذهبا غداة غد

(٢) لعل الصواب : عن

فقلت : مكنني من العمل بما أريد وعليّ المال . فقال : أنت ممكن . فجلست أنا وغلام جوداب فقسطنا المال على أهل البلد وأخرجنا أنفسنا فما ألزمناها شيئاً ونقصنا من عنينا به وزدنا بإزاء ذلك على غيره . قال : واعتمدت أن قسطت على ابن قديدة ضعف مايلزمه وعملنا ذلك به في جرائده . وناظرنا الناس على إلزام ماقسطناه فامتنعوا وقالوا : على أى حساب هذا؟ وحاسبونا وناظرونا . فقلت للجماعة: من صلح له أن يلتزم هذا التقسيط والا فليحاسبنا على ما قبضه من غلات الضياع التى اشتراها وأنا أرد عليه ما يبقى له من الثمن بعد ذلك وآخذ ما اشتراه وألتزم هذه الزيادة . وكان كل انسان قد اشترى ما فى شركته وما فى جواره مما كان يتأذى به هو وأسلافه منذ مائة سنة وما كان تمناه ويشتهيه منذ ذلك العهد وما قد ارتخصه واستصلحه. فقامت قيامة أهل البلد والتزموا عن آخرهم التقسيط على ما فصلته عليهم من غير محاسبة . ووركت على ابن قديدة مالا عظيماً فلم يكن له وجهه(١) فأنا جالس فى بيتى ليلة إذ جاءنى فدخل إلىّ فقلت : ما هـذا يا أبا جعفر ؟ وقمت اليه وسلمت عليه. فعاتبني وخضع لى فقلت : ما تريد ؟ فقال : تخفف عنى من التقسيط وتعاوننى بمالك فوالله ما معى ما أؤديه . فخففت عنه منه شيئاً يسيراً وأقرضته ثلاثين ألف درهم وكتبت بها عليـه قبالة وأشهدت فيها جماعة عدول البلد وتركتها فى بيتى . فلم أفكر فى المال سنين ورجعت أدس المكاره والمغارم والمحن عليه وهو يذوب وينقص فى كل يوم. فلما علمت أنه قد بلغ آخر عمـله طالبته بالدين فاستترعنى فى منزله فاستعديت

(١) كذا بالاصل

الحسن على بن عيسى وهو إذ ذاك الوزير وعرفه محلى. فقال لى : قد كنت أحب أن أراك لما يبلغنى من حسن صناعتك وطرح إلىّ أعمالا فعملتها بحضرته وأعجبته صناعتى وقرظنى ولزمته أياماً وخبرى منستر عن كاتب السيدة . ثم خاطبت الوزير وخوطبت السيدة فقالت : لا أقرر أمره أو يصيرَ الى ديوانى . فقال لى : امض وأنا من ورائك ولا تخف . فمضيت فاعتقلونى فراسلتهم فى أمرى وحضر أبو المنذر ديوان السيدة فتوسط ما بينى وبينهم وقرره على صلح ثلاثة آلاف دينار أو نحوها (الشك منى) وضمنها عنى وأخذنى الى داره فأديتها اليه من جملة السفاتج . وطالبنى على بن عيسى بالتصرف معه فعرفته توبتى منه وأنى انما ضمنت هذا الضمان لضرورة وشرحت له الخبر فأعفانى. فرجعت الى الأهواز ومضت السنون على العداوة بينى وبين ابن قديدة الا أنه منهزم . وكتب السلطان ببيع ضياعه بالأهواز وكان الناس يشترون ما يغل فى سنة وأكثر بنصف ثمنه. فاشتريت ما كان فيه غنائى وخرقت[1] منه الحكم واشترى أبو عبد الله البريدى لنفسه بأسماء قوم أمراً عظيماً برأيى واختيارى له وكان سره عندى (وكان ذلك الوقت ينقص علىّ) واشترى ابن قديدة فيمن اشترى وتصرفنا فى الضياع. فكتب السلطان بالزامنا زيادة عظيمة (أظنه قال مائة ألف دينار) فقال لى البريدى : كيف أعمل فى الزيادة ؟ فقلت : لا يلزمها الناس لك وواضعت أهل البلد على الابتياع . فجمعهم وخاطبهم فامتنعوا واحتاج أن خبطهم فخلا بى فقال : ما أعرف فى هذا غيرك فدبره لى . وألزمنى ذلك

(١) كذا بالاصل

كانت السنة الثالثة خرجت رأساً برأس ما خسرت ولا ربحت شيئاً . فصححت مال الضمان وكتبت أستعفي . وقد علمت أن النكبة قد بلغت بابن قديدة الى حد لا يحسن أن يتقلد معها ولا أن يقلد أيضاً . فلم يعفني كاتب السيدة وطالبني بتجديد الضمان على الزيادة وعمل على التأول عليها من ابن قديدة وأنفذ فى إشخاصى خادماً من كبار خدم السيدة . فجاء فى طيار وأمر هائل . فتخوفت الشخوص معه فأحصل فى الحبس وتستمر علىّ المكاره وانقطع عن الشروع فى الخلاص. فأنزلت الخادم وهاديته ولاطفته وحملت اليه خمسة آلاف درهم فاستعظمها وعندى[١] . فقلت له : ان ذيلى طويل وأريد أن أصلح أمرى ثم أخرج فتمهلنى أسبوعاً وتدعنى أخلو فى منزلى وأصلح ما أحتاج اليه ثم أخرج معك . فمكننى من ذلك فقلت لاخوتى وأصهارى وكتابى : ليدعه كل واحد منكم يوماً له ولغلمانه وأسبابه وامنعوهم من معرفة خبرى وشاغلوهم بالنبيذ والشطرنج والمغنيات. ففعلوا ذلك وخرجت أنا تحت الليل بمرقعة[٢] راكباً حماراً ومعى غلامان من غلمانى ودليل وليس معى شئ من الدنيا الا سفاتج بخمسة آلاف دينار. وسرت واشتغل الخادم بالدعوات فما عرف خبرى إلا وأنا بواسط . فقامت قيامته وانحدر فى طريق الماء فوصل الى الابلة وقد فارقت[٣] أنا بغداد ثم دخلتها متخفياً وطرحت نفسى على أبى المنذر النعمان بن عبد الله وكانت لى به حرمة وصحبة أيام تقلده الأهواز وتصرفه[٤] معه فلقى بى أبا

---

(١) لعله : وأقام عندى (٢) لعلها : بمرقعة (٣) الاصح : قاربت

(٤) لعله : تصرفى

الى العامل سفتجة بألف دينار مرفقاً وكتبت اليه وسألته الحضور وأنفذت اليه الكتب الواردة . فلما كان بعد أيام كنت جالساً مع عامل الأهواز على داره بشاطئ دجيل فاذا بعسكر عظيم قد طلع من جانب المأمونية . فارتاع وظن أن صارفاً قد ورد وأنفذ من سأل عن الخبر فعاد فقالوا : فلان عامل السيدة . فعبر في طيار وأنا معه لتلقيه فحين اجتمعا قال له : يا سيدى أريد ابن أبى علان . فقلت : أنا هو يا سيدى . قال ولم يكن يعرفنى ولا أعرفه بالوجوه. فأقامنى من موضعى ورفعنى فوق الجماعة وتحير العامل ومن حضر وقال له : أريد ابن قديدة. فأنفذ اليه فاستدعاه فحين حضر قيده وقال لى : يا أبا القاسم تسلمه . فقال العامل : ايش هذا التعب ؟ وأقبلت الجماعة تمازحنى فقلت : هو أحوجنى الى هذا . قال : فتسلمته وقمت الى دارى . وعبر عامل السيدة فحملت اليه من الألطاف والأنزال والهدايا ما صلح وعقد على الضمان من غد. وانصرف فى اليوم الثالث وحملت اليه ألف دينار أخرى مرفقاً. وحصلت ابن قديدة معى فى المكاره متردداً ووفرت من جهته مالا على السيدة وكاتبها وهذا العامل وارتجعت مالز[1] على مؤونة العامل ومرفقه. وأطلقته بعد شهور الى داره وقد ركبه دين ثقيل وباع شيئاً من ضيعته وانكسر جاهه وانخذلت نفسه . ونظرت فى الضمان وتصرمت السنة فربحت عشرة آلاف دينار . فقلت : قد جاء ما قال الشيخ فى المنام . فأثبتها عند الصارف ولم أدخلها فى دخلى ولا فى خرجى فلما كانت السنة الثانية قعدت بي الأسعار فخسرت ذلك القدر فأديته بعينه فى الخسران . فلما

(١) لعله : ما لزمني على

عظيماً فأنفذت اليه كاتباً كان لى يكتب على ضيعتى يعرف بأبى القاسم على ابن محمد بن خربان ليعاتبه ويستكفه ويأخـذ الأكار . فتلقى الرجل بكلام غليظ فعاد إلىّ فقال : ان هذا قد جدّ بك فدبر أمرك لغير ما أنت فيه. فقلت : ما الخبر ؟ فعرفنى ما جرى عليـه . ففكرت فلم أر لحسم مادته عنى وأذيته فى نفسه غير ضمان ضياع السيدة وتسلمه ومطالبته بالحساب وايقاعه فى مكارهه . فـكتبت الى كاتب السـيدة وخطبت ضمان النواحى بزيادة ثلاثين ألف دينار فى ثلاث سـنين مما رفعها ابن قديدة على أن يسلم الىّ لأحاسبه وأطالبه بما يخرج الحساب عليه وأوفره مضافاً الى هـذه الزيادة. وأنفذت الـكتاب مع فيج قاصدٍ الحضرة ثم نفذ اغتممت وقلت: ضياع لا أعرف حاصلها على الحقيقة ! لمَ حملت نفسى على هذا ؟ وكان احتمال عداوة الرجل أيسر من هذا . وطرحت نفسى مفكراً وأنا بين النائم واليقظان حتى رأيت كأن رجلا شيخاً أبيض الرأس واللحية بزى القضاة قد دخل الىّ وعليه طيلسان أزرق وقلنسوة وخف أحمر فقال : ما الذى يغمك من هـذا الأمر ؟ ستربح فى أول سنة من هذا الضمان على مازدته عشرة آلاف دينار وتخسر فى الثانية عشرة وتخرج فى الثالثة بغير ربح ولا خسران ويكون تعبك بازاء استيفائك من عدوك . فانتبهت متعجبا وسألت هل دخـل الىّ أحد فقالوا : لا . فقويت نفسى قليلا فلما كان فى اليوم الثانى والعشرين ورد رسول من بغداد بكتب الىّ قد أُجبت فيها الى ملتمسى وكوتب فى طيها عامل كان لهم بالطيب مقيما يشرف على جميع عمالهم بكور الأهواز يؤمر بقدومها وتسليم ابن قديدة الىّ وعقد الضمان علىّ .فأنفذت

أسفاره فبات فى خان خراب بقرب أجمة وماء مستنقع . وكانت ليلة قمراء وكان الموضع مسبعاً والرجل عارف بذلك . فرقى سطح الخان وطلب لبناً فشرجه[1] على باب الدرجة وجلس يترقب فاذا رجل عريان قد جاء حتى جلس على الماء . قال فقلت له: ماتصنع ؟ قال : جئت لأصطاد السباع . فقلت: ياهذا اتق الله على نفسك ! فقال : الساعة ترى . فلم يلبث هنيهة أن طلع سبع فترا آى له الرجل وصاح به فقصده . فلما قرب منه طرح الرجل نفسه في الماء فرمى السبع بنفسه خلفه فى الماء. فغاصا فاذا بالرجل قد خرج من وراء السبع وعلق خصيبه بيده ثم أخرج من منديل على رأسه قصبة مقدار ذراع مجوفة فارسية وثيقة نافذة . فدسها فى جاعرة السبع وأقبل يدخل فيها الماء باحدى يديه وكلما دخل جوف الأسد ثقل وضعف بطشه وهو يمرس مع ذلك خصاه الى أن غرّقه وقتله . ثم جره فى الماء فأخرجه الى الشط وسلخ جلده وأخذ جبهته وكفه[2] وشحمه ومواضع يعرفها منه لها ثمن . ثم صاح بى : ياشيخ كذا أصطاد السباع . وتركنى ومضى . حدثنى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه بن أبى علان الأهوازى الكاتب خال والدى قال : كانت بينى وبين أبى جعفر بن قديدة عداوة وكنت قد تبت من التصرف مع السلطان . فتقلد ضياع السيدة أم المقتدر وفيها ما يجاور ضيعتى . فآذانى أذى شديداً في الشرب والأكرة وقصد إخراب ضيعتى وإبطال جاهى فصبرت عليه فقبض يوماً على أكار فصفعه صفعاً

---

(١) أى طوبا نضده ورتب بعضه فوق بعض ليجعل منه شبه سور يمنع من الدخول اليه (٢) كذا بالاصل ولعلها كلمة محرفة

فى عهد بنى اسرائيل خمار يسافر بخمر له ومعه قرد وكان يمزج الخمر بالماء نصفين ويبيعه بسعر الخمر والقرد يشير إليه أن لا تفعل فيضربه فلما فرغ من بيع الخمر وأراد الرجوع الى بلده ركب البحر وقرده معه وخُرج فيه ثيابه والكيس الذى جمعه من ثمن الخمر فلما سار فى البحر استخرج القرد الكيس من موضعه ورقى الدقل وهو معه حتى صار فى أعلاه ورمى الى المركب بدرهم والى البحر بدرهم فلم يزل ذلك دأبه حتى قسم الدراهم نصفين فما كان بحصة الخمر رمى به الى المركب فجمعه صاحبه وما كان بحصة الماء رمى به الى البحر فهلك ثم نزل عن الدقل . سمعت قاضى القضاة أبا السائب يحكى أن رجلا كان له على رجل دين فهرب منه فلقيه صاحب الدين فى صحراء فقبض عليه وأخرج قيداً كان معه ونفسه به(١) وجعل احدى الحلقتين فى رجل غريمه والأخرى فى رجل نفسه ومشيا الى قرية بقرب من الموضع فجاآها وقد أدركهما المساء وغلق أهل القرية باب سورها فاجتهدا فى فتحها لهما فأبى أهل القرية فباتا فى مسجد خراب على باب القرية فجاء السبع وهما نائمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجره فانجر الغريم معه فلم تزل تلك حاله الى أن فرغ السبع من أكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المديون وقد تجرح مما جره وسحبه عليه وبقيت ركبة الغريم فى القيد فحملها الرجل مع قيده وجاء الى القرية فأخبرهم الخبر حتى حلوا قيده وسار لوجهه ذلك .

حدثنى القاضى أبو بكر أحمد بن سيار أن رجلا جنه الليل فى بعض

(١) لعله فجعل يقيد غريمه ونفسه به

فى كمك يا أبا العباس ؛ فقال : مخلط خراسان أتصدق به على بدعة صدقة شهر رمضان . فلم أشك في أنه كذلك فقلت : فاطعمنى منه . فطرح فى كمى منه شيئاً ثقل به كمى وافترقنا فلما بلغت بيتى أردت أن أطعم عيالى منه فنظرت فاذا هو لوز ذهب وسكر فضة وفستق وبندق عنبر وزبيب ند ختمته فلما كان غداً نظرت فأذا قيمته مال فجئت اليه ورددته عليه. فقال: يابارد أيش هذا مما ترده جميع ما كان فى كمى البارحة كذا فرقته على بدعة وجواريها . فقلت : لو علمت هذا ما طلبته منك . قال : فظننت أني على الحقيقة أحمل إليها لوزا وسكرا وزبيبا وفستقا ؛

حدثنى أحمد بن عبد الله بن بكر البصرى قال: حدثني عروة البريدى أنه حج فى سنة الهبير واشترى من مكة قرداً وكان مع عديله كلب فألف القرد الكلب فكانا يأ كلان فى موضع . قال : فقطع علينا القرمطى وأخذنا بالسيف وتفرق الناس وحيل بينهم وبين رجالاتهم ومشيت أنا فأفلت فيمن أفلت وجئت إلى الكوفة وما أملك إلا درهما واحدا فبينا أنا جالس يوماً أفكر لمن أسأل وكيف أعمل إذ سمعت جلبة وضوضاء فخرجت أبصر ما هى فاذا القرد قد ركب الكلب وجاء كذلك فدخل الكوفة والناس يضحكون منهما وإذا القرد كان يطعم الكلب ورد منه الركوب واحتال لنفسه بذلك طول الطريق . فلما رأيت القرد والكلب استدعيتهما فجاآ الىّ فقال الناس ما هذا ؛ فقلت هما لى فأخذتهما . وبلغ أمير الكوفة الخبر فراسلنى فى بيعهما عليه فبعتهما عليه بثلثمائة درهم فكانت سبب صلاح حالى فى الوقت وخرجت عن البلد . وروى عن وهب بن منبه أنه كان

فما كتبت بعدها الى الآن جميلة فى شئ من مكاتباتى الى أحد وصار بدلها لى طبعاً . ويشبه هدا قول علية بنت المهدى لما قرأت القرآن فبلغت الى قوله عزوجل (وان لم تكن أرادت) فإن لم يصبها وابل فطل فغلطت فقالت فإن لم يصبها وابل فما نهى أمير المؤمنين عن ذكره ولم تقل طل لانه كان اسم خادم تعشقته فبلغ الرشيد أخاها خبرها معه فجرى عليها منه مكروه غليظ وأحلفها على أشياء من أمره انها لا تذكره . وقد حكى أن بعض النساء الظراف قرأت تعلم ما فى روحى ولا أعلم ما فى روحك ولم تقل نفسى لان الظراف لا يقلن ذلك فقال لها بعض من سمعها : ويحك فأنت أظرف من الله ؟ قولى كما قال .

أخبرنى غير واحد أن بجكم لما كان أمير الامراء ببغداد عشق جارية فى القيان بها يقال لها فتوة جارية الهاشمية وكان يتكبر عن شرائها ويرفع نفسه أن يبوح بمحبتها ويحضرها فيعطيها كل شيء وكان قد استعمل لها عودا من عود هندى قام عليه بمال وكانت تغنى به فسكر يوما فخسف وجه العود وقلعه وملاءها دراهم توسع نيفا وعشرين ألف درهم . وكان عندنا بالبصرة دلال من أهلها يعرف بابى العباس البغدادى ورث فى حداثته مالا جليلا فتقاين بجميعه فلما افتقر صار دلالا فكسب أيضا كسبا ثانيا كثيرا فما كان يبق معه شيئا بل ينفقه كله فى الفساد . فأخبرنى بعض شيوخ البصرة قال : رأيته وهو حدث فى ليلة من شهر رمضان مملوء الكم يريد دار بدعة الدرونية وكانت إذ ذاك مغنية البلد المشهورة فيه بالنبل والحذاقة والطيب والحسن ولها أخبار كثيرة طريفة فقلت . ايش

السنة أو سنة الى حد الفطام سموه[1] المعجل وكنا نحن نسمى هذا بالمعجل بمعنى أن حاله لا يبلغ به فى هـذا العمل الا الى حد الطفل الذى يموت فى شهور أو سنة أو شهر للنساء فيسمونه المعجل ونعوذ بالله من الأدبار وتغيير النعم واياكم بقلة الشكر . ولقد كتبت فى محنة لحقتنى الى رئيسى كتاباً فيه فصل يتعلق بما ذكرته من منادمة أبى غالب الكاتب لبشر مولانا يذكر ملكه له وقبوله بره بتلك الأحنة استحسنته فأوردته هاهنا وهو : لا أحوجك الله الى اقتضاء ثمن معروف أسديته ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هى العليا وأعاذك من عز مفقود وعيش مجهود وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك وتوفاك اذا كانت الوفاة أصلح لك بعد عمر مديد وسموّ بعيد وختم بالحسنى عملك وبلغك فى الأولى أملك وسدد فيها مضطربك وأحسن فى الأخرى منقلبك انه سميع مجيب جواد قريب.

حدثنى أبو محمد يحيي بن محمد بن فهد قال : رأيت أبا الحسن على بن عمرو الموصلى يكتب الى أبى تغلب ابن ناصر الدولة وكتب فى موضع منه « أمور حميدة » فقلت له : هذا الموضع يصلح أن يكون فيه «أمور جميلة» فأما حميدة فهى لفظة مستكرهة فقال : صدقت ولكنى كتبت وأنا بالموصل رقعة الى أبى تغلب فيها « أمور جميلة » فوصلت اليه وهو عند أخته وهى غالبة عليه محتوية على أمره لا يقطع شيئاً دونها ولا يفصل رأياً الا عن مشورتها وكانت الرقعة بما احتاج الى مطالعتها بما فيها فأنكرت علىّ قولى جميلة لأنه اسمها إنكاراً شديداً احتجت معه الى اعتذار

(١) يعنى سمينه

كل يوم غناءً بمائة دينار . فاستترت معه بعد هذا نحو شهر ثم فرج الله عنه وظهر وعادت حاله فلما التقينا قلت : النذر . قال : نعم اجلس لتجعل اليوم أوله نجذر ذلك اليوم وتلك الليلة قيانا بمائة دينار وأنفق قريبا منها ثم لم يدع القيان يخرجن الا أن يملهن فيحضر له بدلهن وجلسنا على تلك الحال نجذر في كل يوم وليلة بمائة دينار قيانا وينفق في طعام وشراب وفاكهة وطيب مثلها وكان ربما احتاج إلى لقاء صاحبه والتصرف في شغله فيخرج ويركب ويتصرف ويعود ليلا أو عشياً وكما يستوى له والغناء جالس والمطبخ قائم ونحن نأكل ونسمع وهو غائب عن ذلك حتى وفّى لى أياماً بعدد أيام استتارى معه وكانت أكثر من ثلاثين يوماً . ولقد رأيت أنا أبا غالب الاجرى هـذا وقد ورد البصرة في أيام أبي القاسم البريدى فاستشفع على أبي بغلامه مبشر لأنه كان قد ملكه في أيام نعمته وكنت أرى مبشراً غلامنا يبره في الأوقات من ماله بعشرين درهماً وثلاثين درهماً ويأخذ له من أبي سبعين درهماً ومائة درهم وهو يجىء إلى مبشر فيؤاكله ويشاربه ويعاشره وكأنه نديم له بدالة ملكه إياه وأرى عليه قميصاً مخرقاً ودراعة مرقوعة ونعلين كنت أرى في رجليه يمشى بهما في الطرق وغلامه خلفه ومعه خف منعل فاذا حصل في دهليزنا لبسه ودخل الى أبي ولزمنا مدة الى أن خاطب أبي بعض العمال في تصريفه بعشرة دنانير في الشهر فصرف في ما هـذا مقداره . وقال لى درة الصوفي . كان المورث إذا اجتذبنا الى اللعب معه ومعه عشرة آلاف دينار أو مائتا ألف درهم سميناه المعجل فقلت له ما معنى هذا؟ فقال النساء اذا مات لهن ابن له شهور دون

فقالت الزكورية : أراك قد عشقت جاريتي هذه فكم معك ؟ قال خمسين ألف درهم . قالت : هذه دور بلا نحبة . فما مضت الا أيام حتى أتلفها فرأيته بجبة لا قميص تحتها ولا فوقها يمشي حافياً ثم صنع الله له بعد ذلك وجد من ابن ياقوت فأثرى وعقل . وحدثني قال : كان رجل من الرجالة يقال له ابن وسنا الخزاعي يتعشق حدثاً ببغداد يقال له الحسين بن غريب البقال حسن الوجه رائعاً خفيف الروح حسن الالتقاء فأنفق عليه مالا وباع عقاراً كان له ثم خف ماله فأمسك يده عنه وقطعه فقيل له بعد ذلك لم تركت ابن غريب وحلفت أن لا تكلمه ؟ قال : كلام حسين بن غريب يطير الآجر . حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الازرق قال : كان بالعسكر رجل جاز موسر من التجار يقال له أحمد بن عمر بن حفص فخرج الى أصفهان فأنفق ابن له من ماله في القيان ثلاثة آلاف دينار وكوتب بذلك فعاد فلما اجتمعا طالبه الحساب فدافع فقال أبوه : إلى كم تدافع بالحساب وقد بلغني خبر ما أتلفت فيه المال فان كنت استفدت بذلك عقلا وعلماً بالزمان وحنكتك الشدائد والامور وأدبتك فليس هذا بغال بهذا القدر من مالي فانه مالك وان لم تكن أفدت ذلك فان المصيبة فيك عندي أعظم من المصيبة بذهاب المال . سمعت درة الرقاص الصوفي يقول: استترت مع أبي غالب بن الآجري كاتب صافي أحد الساجية شهراً فضاق صدري فتركته وهربت منه فلعبت أياماً عند اخواني ثم جئته فعاتبني فقلت : يا هذا ضاق صدري . فقال لي : استتر معي أيام استتاري فاذا خلصني الله دعوتك أياماً متتابعة بعدد أيام استتارك عندي أجذر لك في

ما يقاربه من جنسه وأنه كان يحذو[1] دائماً بمائتى دينار فى يوم وينثر على المغنيات خمسة آلاف درهم وعشرة آلاف درهم غير دفعة ويهب لهم الخلع كل خلعة بثلاثة آلاف درهم وألفى درهم ومائة دينار يهب منها فى مجلس عشر خلع وخمس عشرة خلعة يخرجها من دكان أبيه من التخوت فيهبها وأنه كان اذا أصبح مخموراً أحضر الثياب الدبيقى فيخرق بحضرته باليد عصائب الفصد وقال لا يزيل خمارى غير سماع أصواتها وانه أنفق فى فصاد فصدته عشيقته ثلاثة آلاف دينار وأشياء من هذا السرف وانه لما لم يبق له الا نحو خمسين ألف دينار من ماله تاب من هذا كله ولزم يده وتجهز للحج فأنفق فيه وفى أبواب الثواب عشرة آلاف دينار فلما قضى حجه وعاد يريد بغداد مات فى طريقه وهو شاب فورث ورثته باقى ذلك المال . وسمعت بعض الطباب[2] يقول وقد جرى ذكر رجل عندنا بالبصرة ورث مقدار مائة ألف دينار[3] فتقاين بها فى سنين قريبة وعاد فقيراً فقال له ذلك الرجل يا أخى فرسخ قراضه فى هذا العمل بضاعة[4] . وحدثنى أبو الحسن ابن الازرق قال : كان أحمد بن محمد الخراسانى الذى صار بعد ذلك صاحباً لابن ياقوت جاءنى وقد ورث خمسين ألف درهم فى أول عمره فدخل دار الزكورية المغنية وتعشق جارية لها كانت مشهورة ببغداد بالحسن والظرف وطيب الغناء يقال لها زهرة كان الاحداث ببغداد قد استهتروا بها .

---

(١) لعله يغذو يعنى أهله (٢) كذا بالاصل ولعله الكتاب .

(٣) على الهامش درهم (٤) كذا بالاصل . وفي الكلام تحريف يجعل المعنى غامضاً والنكتة غير مفهومة

بألف دينار وربحت جذور القيان وأمرى الآن على غاية الانتظام والاستقامة . فقلت : من أين هـذا ؟ قال : مات خادم لأبى وابن عم لنا بمصر فى يوم واحد فخلفا ثلاثين ألف دينار فحملت الىّ بأسرها فوصلت فى وقت واحد وأنا بين القطن كما رأيت فحمدت الله واعتقدت أن لا أبذر وأن أدبر وأعيش بها الى أن أموت وأنفقها على اقتصاد فعمرت هذه الدار واشتريت جميع ما فيها من فرش وآلة وثياب ومركوب وجوار وغلمان بخمسة آلاف دينار وجعلت تحت الارض خمسة آلاف دينار عدة للحوادث وابتعت ضياعاً ومستغلا بعشرة آلاف دينار يغل لى فى كل سنة مقدار نفقتى على هذا المقدار الذى تراه من النفقة ويفضل لى فى كل سنة الى وقت ورود الغلات شئ آخر حتى لا أحتاج أقترض ولا أستدين وأمرى يمشى على هذا وأنا فى طلبك منذ سنة ما عرفت لك خبراً فانى أحببت أن ترى رجوع حالى ومن دوام صلاحها واستقامتها ثم لا أعاشرك ياعاض بظر أمه أبدا خذوا يا غلمان برجله . قال : فجروا والله برجلى وأخرجونى ولم يدعونى أتمم شربى عنده ذلك اليوم وكنت ألقاه بعد ذلك على الطريق راكباً فيضحك اذا رآنى ولا يعاشرنى ولا أحداً من تلك الطبقة . ويبعد فى نفسى ما حكى من أمر سفاتج الاعراب والأكراد والزجاج فان هذا عندى لا تسمح به نفس مجنون . ولكن قد حكى أن رجلا من أولاد التجار ببغداد يقال له ابن الدكينى وخبره مشهور ببغداد مات أبوه فخلف عليه خمسمائة ألف دينار فلعب بها لعباً لم يسمع قط بأعظم منها وكان يضاهى المقتدر واذا بلغه أنه عمل شيئاً من ألوان اللذة والطيب واللعب عمل

بستان وجصصها من غير بياض وطبقها وترك فيها مجلساً واحداً حسناً عامراً وجعل باقي المجالس صحناً وقد صارت طيبة إلا أنها ليست بذلك السرو الأول وأدخلني إلى حجرة كانت له قديماً يخلو فيها وقد أعادها إلى أحسن ما كانت عليه وفيها فرش حسن ليس من ذلك الجنس وفي داره أربعة غلمان قد جعل خدمتين إلى كل واحد منهم وخادم شيخ كنت أعرفه له قد رده وجعله بواباً وشاكري وهو سائسه وجلس بخاؤوه بآلة مقتصدة نظيفة نخدم بها وبفاكهة مختصرة متوسطة وطعام نظيف كاف إلا أنه قليل فأكلنا ونبيذ تمر جيد فجعلوه بين يدي وبمطبوخ جيد بين يديه ومدت ستارة فاذا بغناء طيب وبخر بعود طري وند جميعاً . وأنا متشوف إلى علم السبب فلما طابت نفسه قال : يا فلان تذكر أيامنا الأولة ؟ قلت : نعم . قال : أنا الآن في نعمة متوسطة وما قد أفدته من العقل والعلم بالزمان أحب إليّ من تلك النعمة . هو ذا ترى فرشي ؟ قلت : نعم . قال : إن لم يكن ذلك العظيم فهو مما يتجمل به أوساط الناس . قلت : نعم . قال : وكذلك آلتي وثيابي ومركوبي وطعامي وفاكهتي وشرابي فأخذ يعدد ويقول في كل فصل ان لم يكن ذلك المفرط ففيه جمال وبلاغ وكفاية الى أن ذكر غلمانه ويضيف ذلك الى أمره الأول ويقول هذا يغني عن ذلك وقد تخلصت من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم عاملتني المغنية لعنها الله بما عاملتني به وما عاملتني به ذلك اليوم وقلته في كل يوم وفي يوم الزجاج؟ فقلت : هذا قد مضى والحمد لله الذي أخاف عليك وخلصك مما كنت فيه فمن أين لك هذه النعمة والجارية التي تغنينا الآن ؟ فقال : اشتريتها

حسرة ؟ قال : نعم . قلت : ما هى ؟ قال : أشتهى أن أرى فلانة (مغنية كان يعشقها وأتلف أكثر المال عليها) . قال : وبكى فرققت له وأعطيته من منزلى ثياباً فلبسها وجئنا الى بيت المغنية فقدرتُ أن حاله قد أثابت فدخلنا إليها فحين رأته أكرمته وبشت به وسألته عن خبره فصدقها عن الصورة فقالت له فى الحال : قم قم . قال : لم ؟ قالت : لئلا تجىء ستى وتراك وليس معك شىء فتحرد علىّ لم أدخلتك فاخرج الى برّا حتى أصعد أكلمك من فوق . فخرج وجلس ينتظر أن تخاطبه من روزنة فى الدار إلى الشارع وهو جالس فقلبت عليه مرقة قدر سكباج وصيرته آية ونكالاً وضحكت. قال : فبكى وقال : يا أبا فلان يبلغ أمرى إلى هاهنا أشهد الله وأشهدك أنى تائب . قال : فأخذت أطنز به وقلت : أيش تنفعك التوبة الآن ؟ قال : فرددته إلى بيته ونزعت ثيابى منه وتركته ثنى القطن كما كان أولا وحملت ثيابى فغسلتها وأيست منه . فما عرفت له خبراً نحو ثلاث سنين فأنا ذات يوم فى باب الطاق فاذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسى إليه فاذا به على برذون فاره بمركب خفيف مليح فضة وثياب حسنة ودراريع فاخرة وطيب طيّب وكان من أولاد الكتاب وكان قديماً أيام يساره يركب من الدواب أفرهها ومن المراكب أفخرها وآلته وثيابه أفخر شىء كما كان ترك عليه وورثه من والديه . فحين رآنى قال : فلان . فعلمت أن حاله قد صلحت فقبلت فخذه وقلت : سيدى أبو فلان . فقال : نعم . قلت : أيش هذا ؟ قال : صنع الله والحمد لله البيت البيت . فتبعته حتى انتهى إلى بابه فاذا بالدار الأولة قد رمها وجعلها صحناً واحداً فيه

فتبيعه عليهم وتأخذ سفاتجهم إلى الأكراد وتبيع على الأكراد وتأخذ سفاتجهم إلى الاعراب . قال : فكان يعمل هذا حتى فنى ماله . وبلغنى أن آخر أسرع فى ماله فبقيت منه نحو خمسة آلاف دينار فقال : أريد أن تفنى بسرعة حتى أنظر أى شئ أعمل بعدها . فعرضت عليه أشياء من هذا الجنس فلم يردها فقال له بعض أصحابه : تبتاع زجاجاً مخروطاً بالمال كله إلا خمسمائة دينار وتعبيه بحذائك فيكون فى نهاية الحسن وتنفق الخمسمائة دينار فى يوم واحد فى جذور المغنيات والفاكهة والطيب والشراب والثلج والطعام فاذا قارب الشراب أن يفنى أطلقت فارتين فى الزجاج وأطلقت خلفهما سنوراً فيتعادى الفار والسنور فى الزجاج فيكسر جميعه وتنتهب عن الباقى . فقال : هـذا طيب . فعمل ذلك وجلس يشرب فحين سكر قال: هى . وأطلق الرجل الفارتين والسنور وتكسر الزجاج وهو يضحك ونام وقام الرجل ورفقاؤه فجمعوا ذلك الزجاج وعملوا من قنينة قد تشعثت قدحا ومن قدح قد تكسر برنية غالية ولزقوا ما تصدع وباعوه بينهم فرجع عليهم منه دراهم صالحة اقتسموها وانصرفوا عن الرجل فلم يعرفوا خبره . فلما كان بعد سنة قال صاحب المشورة بالزجاج والفأر والسنور : لو مضيت إلى ذلك المدبر فعرفت خبره . فجاء فاذا هو قد باع قماش بيته وأنفقه ونقض داره وباعها وسقوفها حتى لم يبق إلا الدهليز وهو نائم فيه على قطن متغط بقطن قد فتق من لحف وفرش بيعت وبقى القطن فهو يتوطاه ويتغطى به من البرد . قال : فرأيته فكأنه سفرجل يلتجئ بين القطنين . فقلت : يامشئوم ما هذا ؟ قال : ما تراه . فقلت : فى نفسك

اليـه من له فى الديلم والجيل بخمسمائة دينار[1] وقصته مشهورة . قال : فأخبرنى هو قال : كنت أداخل وأدعوهم ولا يشكون أنى ديلمى وأعطيهم علامات بلدانهم فاذا وقع من تفطن بى أعطيته شطر الرزق . قال وكنت آكل الثوم ولا أتعالج للصنان وأصبر خيفة على مذاهب الديلم وأجيء فأرتفع فى القيام حتى ألزق بأبى القاسم مما يلى رأسه فيموت من بعض رائحتى . قال وعلت حالى عنـده وكان يطرح كرسياً برسم الخاصة فاذا جلست اصطدت الذباب وقتلته بحضرته كأنى ديلمى قح فكان يضج منى ويقول يا قوم اعفونى من هـذا الديلمى القح البغيض المنتن وخذوا منى أضعاف رزقه . فأقمت عنـده كذا سنين إلى أن انكشف خبرى فهربت من يده . وهذا من طيب أخبار المورثين المتخلفين فأوردته . ومن طيب أخبار متخلفى المورثين ما أخبرت به من أن أحـدهم ورث مالاً جسيما فتقاين وعمل كل ما اشتهى فبلغنى فقال : أريد أن تفتحوا لى صناعة لا تعود علىّ بشيء أتلف بها هذا المال . فقال له أحد جلسائه : اشتر التمر من الموصل واحمله إلى البصرة فانك تهلك المـال . فقال : هـذا إذا فعل عاد منه ولو اثنان فى العشرة تبقى من أصل المـال . فقال له آخر : اشتر هـذه الإبر الخياطية التى تكون ثلاثا بدرهم وأربعا وتتبعها فإذا اجتمع لك عشرة آلاف إبرة بجملة الدراهم فاسبكها نقرة وبعها بدرهمين . فقال أليس يرجع من ثمنها درهمان ؟ فقال له أحدهم : كأنك تريد مالا يرجع منه شيء البتة . فقال : نعم . فقال : تشترى ما شئت من الأمتعة وتخرج به إلى الأعراب

(١) الكلام ههنا مضطرب

البيت ليجيئه خاطره بذلك الهوس فلما خرجنا قال لى الرجل : آمنت ؟ فقلت : أشد ما كنت تكذيباً بقولكم الآن . هذا عندكم الآن بمنزلة النبى لم لا يجعل نفسه غير أحول ؟ فقال : يا أبله! كأنه أحول إنما هو يقلب عينيه فى الملكوت . وأبو عمارة هـذا متزوج بامرأة من الأهوازيين يقال لهـا بنت ابن جانخش ولها أخ فاجر يغنى بالطنبور وكان أبوه شاهداً جليلاً تانئاً موسراً والحلاجية تعتقد أنه بمنزلة محمد بن أبى بكر خال المؤمنين . فحدثنى عبيد الله بن محمد قال : كنا نسير بالأهواز يوماً ومعنا كاتب ظريف من أهل سيراف يقال له المبارك بن أحمد فاجتزنا بالرجل فقام وسلم علينا فقال لى الكاتب : من هذا ؟ فقصصت عليه قصته بأشرح من هذا فقبل[1] رأس بغله ورجع . فقلت له إلى أين يا أبا سعيد ؟ قال الحقه فاسأله عما سارّته به أخته عائشة أم المؤمنين يوم الجمل لما أفضى إليها بيده ليخرجها من الهودج . فضحكت من ذلك ورددته . وكان هـذا الفتى ابن جانخش قد ورث مالاً جليلا ودخـل الديلم الأهواز عقيب ذلك فتقاين بالمال وعاشر الديلم فأنفق أكثره عليهم فتعلم الكلام بالديلمية حتى صار إذا تكلم بها كأنه من بلد الديلم وعرف أسماء قراهم وعلامات بلدانهم فلما خف ماله اشترى بغلين ودابتين وزوبينات وسلاحاً وآلة الجند وجعل لرأسه شعراً مثل شعور الجيل والديلم وسمى نفسه حلوز بن باعلى وكان أبوه فى الأصل يكنى بأبى على وهذا الاسم من أسماء الجيل وجاء الى أبى القاسم البريدى وهو بالبصرة يحارب الأمير أحمد بن بويه فاستأمن

(١) لعله فقلب

غير واجبة فلم ينزل تحت الحجة وأخذ إلى القُدرة فوعظه التومنى وقال : أيها الأستاذ إن بلدنا بلد كثير الصالحين ضعيف الأهل ما خير قط لمن ظلمهم وإن أهله يكلونك إلى الله ويرمونك بسهام الأسحار (يعنى الدعاء) فقلب الصيمرى الكلام إلى السخف وكان شديد الاستعمال له ظاهراً فى مجلس الحفل والعمل فقال: ياشيخ! سهام الاسحار فى لحيتك يعنى الضراط .

حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخى قال : أخبرنى جماعة من أصحابنا أنه لما افتتن الناس بالأهواز وكورها بالحلاج وما يخرجه لهم من الأطعمة والأشربة فى غير حينه والدراهم التى سماها دراهم القدرة حدث أبو على الجبائى بذلك فقال : إن هذه الأشياء محفوظة فى منازل يمكن الحيل فيها ولكن أدخلوه بيتاً من بيوتكم لا منزله هو وكلفوه أن يخرج منه خرزتين شوكاً فان فعل فصدقوه فبلغ الحلاج قوله وأن قوماً قد عمدوا على ذلك فخرج عن الأهواز وأهل مقالته الآن يعتقدون أن اللاهوت الذى كان حالّاً فيه فى ابن له يستسرّ[1] وأن رجلا بها هاشمياً ربعياً يقال له محمد بن عبد الله ويكنى بأبى عمارة قد حلت فيه روح محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه وهو يخاطب فيهم بسيدنا وهى من أعلى المنازل عندهم .

وأخبرنى من استدعاه بعض الحلاجية إلى أبى عمارة هذا بالبصرة وله مجلس يتكلم فيه على مذاهب الحلاج ويدعو إليه قال : فدخلته وظنوا أنى مسترشد فتكلم بحضرتى والرجل أحول وكان يقلب عينه إلى سقف

(١) بالاصل : يتسر

تخوم الأرض وما دام خبرها مستورا أنت آمن على نفسك امض الآن حيث شئت . وتركني ودخل فعلمت أنه يقدر على ذلك بأن يدس أحداً من قطيعه يعتقد فيه ما يعتقد فيقتلني فما حكيت الحكاية إلى أن قتل. وكان الحلاج له الكتب المصنفة فى مذاهبه يسلك فى كلامه فيها مذاهب الصوفية فى الهوس ويكثر من ذكر النور الشعشانى وإذا أفصح بكلام مفهوم كان يرسله حسناً ويتلفظ به مليحاً . أخبرنى بعض اصحابه من الكتاب قال : خرج له توقيع إلى بعض دعاته تلاه علىّ فحفظت منه قوله فيه وقد آن الآن أذانك للدولة الغراء الفاطمية الزهراء المحفوفة بأهل الارض والسماء وأذن للفئة الظاهرة وقوة ضعفها فى الخروج إلى خراسان ليكشف الحق قناعه ويبسط العدل باعه . وأخبرنى هذا الرجل عمن حدثه من أصحابه قال : كنا معه فى بعض طرقات بغداد فسمعنا زمرا طيباً شجياً فقال بعضنا : ما هـذا ؟ فقال لنا هو : هذا نوح إبليس على الدنيا .

حدثنى أبو الحسن بن محمد التومنى البصرى وكان علامة لهم حسن النشوار راوية الاخبار ثقة قال : اجتاز بعض البصريين ومعه ابن له حدث فى طريق فسمعا ضرب عود فاستطابه الفتى فقال لأبيه : يا أبت ما هذا ؟ قال : يابنى هذا صوت الهيب فى أصول النخل. والهيب حديدة عظيمة كالبيرم يقلع بها أصول النخل لا تنقلع إلا بها . وكان هذا التومنى حسن البلاغة طويل اللسان يتكلم فى أمور الكافة بالبصرة إذا عرضت المهمات العظام ويناظر السلطان فلما جاء أبو جعفر الصيمرى إلى هناك وطالب الناس بالمعطل ولهذه المطالبة شرح طويل ناظره التومنى فى أنها

تأزيره وكان مؤزرا بأزار ساج فاذا بعض التأزير فارغ فحركت منه[1] خمنت عليها فاذا قد انقلعت فدخلت فيها فاذا هى باب مسمر فولجت فيه إلى دار كبيرة فيها بستان عظيم فيه صنوف الاشجار والثمار والنوار والريحان التى هى فى وقتها وما ليس هو وقته مما قد عتق وغطى واحتيل فى بقائه وإذا بخزائن مليحة فيها أنواع الأطعمة المفروغ منها والحوائج لما يعمل فى الحال إذا طلب وإذا بركة كبيرة فى الدار فخضتها فاذا هى مملوءة سمكا كباراً وصغاراً فاصطدت واحدة كبيرة وخرجت فاذا رجلى قد صارت بالوحل والماء إلى حد ما رأيت رجله . فقلت : الآن إن خرجت ورأى هذا معى قتلنى . فقلت : أحتال عليه فى الخروج . فلما رجعت إلى البيت أقبلت أقول : آمنت وصدقت . فقال لى : مالك ؟ قلت : ما ها هنا حيلة وليس إلا التصديق بك . قال : فاخرج . فخرجت وقد بعد عن الباب وتموه عليه قولى فحين خرجت أقبلت أعدو إلى باب الدار ورأى السمكة معى فقصدنى وعلم أنى قد عرفت حيلته فأقبل يعدو خلفى فلحقنى فضربت بالسمكة صدره ووجهه وقلت له : أتعبتنى حتى مضيت إلى اليم فاستخرجت لك هذه منه . قال : فاشتغل بصدره وبعينه وما أصابه من السمكة وخرجت فلما خرجت خارج الدار طرحت نفسى مستلقياً لما لحقنى من الجزع والفزع فخرج إلىّ وصاح بى وقال : ادخل . فقلت هيهات والله لئن دخلت لا تركتنى أخرج أبداً . فقال : اسمع والله لئن شئت قتلتك على فراشك لأفعلن ولئن سمعت بهذه الحكاية لأقتلنك ولو كنت في

(٢) قد سقطت كلمة مثل « خشية »

هذا التى يظهرها كالمعجزات ويستغوى بها ضعفة الناس إظهار الآ كل فى غير أوانها بحيل يقيمها فمن لا تنكشف له يتهوس بها ومن كان فطناً لم تخف عليه . فمن طريف ذلك ما أخبرنى به أبو بكر محمد بن إسحق بن ابراهيم الشاهد الاهوازى قال : أخبرنى فلان المنجم وأسماه ووصفه بالحذق والفراهة قال : بلغنى خبر الحلاج وما كان يفعله من إظهار تلك العجائب التى يدعى أنها معجزات ومفتونات فقلت : أمضى وأنظر من أى جنس هى من المخاريق . فجئته كأنى مسترشد فى الدين فخاطبنى وخاطبته ثم قال : تشهّ الساعة ما شئت حتى أجيئك به . وكنا فى بعض بلدان الجبل التى لا تكون فيها الأنهار فقلت له : أريد سمكاً طرياً الساعة فقال : أفعل اجلس مكانك . فجلست وقام فقال : أدخلُ البيت وأدعو الله تعالى أن يبعث لك . قال فدخل بيتاً خالياً وأغلق بابه وأبطأ ساعة طويلة ثم جاءنى وقد خاض وحلا إلى ركبته وماء ومعه سمكة تضطرب كبيرة . فقلت له : ما هذا ؟ فقال دعوت الله تعالى فأمرنى أن أقصد البطائح فأجيئك بهذه فمضيت إلى البطائح فخضت الاهواز وهذا الطين منها حتى أخذت هذه . فعلمت أن هذه حيلة فقلت له : تدعنى أدخل البيت فان لم ينكشف لى حيلة فيه آمنت بك . فقال : شأنك . فدخلت البيت وأغلقته على نفسى فلم أجد فيه طريقاً ولا حيلة فندمت وقلت : إن أنا وجدت فيه حيلة فكشفتها له لم آمن أن يقتلنى فى الدار وإن لم أجد طالبنى بتصديقه كيف أعمل ؟ قال : وفكرت فى البيت فدفعت (١)

---

(١) لعله فدققت

ابن إسحق البهلول التنوخي الأنباري وأبا عمر محمد بن يوسف وهما إذ ذاك قاضيا بغداد فقال أبو عمر : هذه زندقة يجب عليه القتل بها لأن الزنديق لا يستتاب . وقال أبو جعفر : لا يجب عليه القتل بها إلا أن يقر أنه يعتقد هذا لأن الناس قد يروون الكفر ولا يعتقدونه . فان أخبر أن هذا شئ رواه وهو يكذب به فلا شئ عليه وإن أخبر أنه يعتقده استتيب منه فان تاب فلا شئ عليه وإن لم يتب وجب عليه القتل . قال فعمل فى أمره على فتوى أبى عمر وعلى ما شاع وذاع من أمره وظهر من إلحاده وكفره واستغوائه الناس وإفساده أديانهم فاستؤذن المقتدر فى قتله وكان قد استغوى نصراً القشورىّ من طريق الصلاح والدين لا مما كان يدعو إليه نخوّف نصر السيدة أم المقتدر من قتله وقال : لا آمن أن يلحق ابنك يعنى المقتدر عقوبة هذا الشيخ الصالح . فمنعت المقتدر من قتله فلم يقبل وأمر حامداً فأمر بقتله فحم المقتدر يومه ذلك فازداد نصر والسيدة افتتانا وتشكك المقتدر فيه فأنفذ إلى حامد من بادره بمنعه من قتله فتأخر ذلك أياماً إلى أن زال عن المقتدر ما كان يحذر من العلة مدة فاستأذنه حامد فى قتله فضعف الكلام فقال له حامد يا أمير المؤمنين إن بقى قلب الشريعة وارتد الخلق على يده وأدى ذلك إلى زوال السلطان فدعنى أقتله وإن أصابك شئ فاقتلنى . فأذن له فى قتله فعاد فقتله من يومه لئلا يتلون المقتدر فلما قتل قال أصحابه : ما قتل هذا وإنما قتل برذون كان لفلان الكاتب اتفق أنه نفق ذلك اليوم وهو يعود إلينا بعد مدة . فصارت هذه الجهالة مقالة الطائفة منهم . وكانت أكثر مخاريق الحسين بن منصور الحلاج

على الحلاج وقد جئ بكتب وجدت في داره من قوم تدل مخاطبتهم أنهم دعاة له في الأطراف يقولون فيها: وقد بذرنا لك في كل أرض ما يزكو فيها وأجاب قوم إلى أنك الباب يعنون الأمام وآخرون أنك صاحب الزمان يعنون الأمام الذى تنتظره الأمامية وقوم إلى أنك صاحب الناموس الأكبر يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وقوم إلى أنك أنت هو هو يعنون الله عز وجل تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً . قال فسئل الحلاج عن تفسير هذا الرمز فأخذ يدفعه ويقول لا أعرف هذه الكتب هذه مدسوسة علىّ لا أعلم ما فيها ولا معنى لهذا الكلام . وحدثني أيضاً عمن حضر مجلس حامد بن العباس الوزير وقد جاؤوا بدفاتر أحدث الحلاج فيها أن الانسان إذا أراد الحج فأنه يستغنى عنه بأن يعتمد إلى بيت من داره فيعمل فيه محراباً (وذكره) ويغتسل ويحرم ويقول كذا ويفعل كذا ويصلى كذا ويقرأ كذا ويطوف بهذا البيت كذا ويسبح كذا ويصنع كذا أشياء قد رتبها وذكرها من كلام نفسه . قال : فاذا فرغ من ذلك فقد سقط عنه الحج إلى بيت الله الحرام وهذا شئ معروف عند الحلاجية وقد اعترف لى رجل منهم يقال إنه عالم لهم ولكن ذكر أن هذا رواه الحلاج عن أهل البيت صلوات الله عليهم وقال ليس عندنا أنه يستغنى به عن الحج ولكنه يقوم مقامه لمن لا يقدر على الخروج بأضاقة أو منع أو علة فأعطاني المعنى وخالف في العبارة . قال لى أبو الحسن : فسئل الحلاج عن هذا وكان عنده أنه لا يوجب عليه شيئاً فأقرّ به وقال : هذا شئ رويته كما سمعته . فتعلق بذلك عليه واستفتى حامد القاضيين أبا جعفر احمد

مافيه. فاذا خلوت بي ولم تر من يلاحظني فاجعل ذلك تحت ذيلي وانصرف. فانني آكله سرا وأشرب الماء إذا تمضمضت للطهر فيكفيني خمسة عشر يوما أخرى إلى أن تأتيني به ثانياً على هذا السبيل. ومتى رصدني هؤلاء في هذه الخمسة عشر يوما الثالثة لم يجدوني آكل شيئاً على الحقيقة إلى أن تعود أنت بعد هذه المدة بالقوت. فأغتفلهم في أكله أيضاً فيقوم بي. قال: فكنت أعمل ذلك معه طول حبسه.

حدثني ابو الحسن بن الأزرق قال: لما قدم الحلاج بغداد يدعو استغوى كثيراً من الناس والرؤساء. وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله من طريقهم. فراسل أبا سهل بن نوبخت يستغويه. وكان أبو سهل من بينهم مشفقاً[1] فهماً فطناً. فقال أبو سهل لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل. وأنا رجل غَزِل ولا لذة لي أكثر من النساء وخلوتي بهن وأنا مبتلى بالصلع حتى إني أطول شعر قحفي وأجذبه إلى جبيني وأشده بالعمامة وأحتال فيه بحيل ومبتلى بالخضاب لستر المشيب. فان جعل لي شعراً ورد لحيتي سوداء بلا خضاب آمنت بما يدعوني إليه كائناً ما كان. إن شاء قلت له إنه نائب الامام وإن شاء الامام وإن شاء قلت إنه النبي وإن شاء قلت إنه تعالى. قال فلما سمع الحلاج جوابه آيس منه وكف عنه.

وقال لي أبو الحسن وكان الحلاج يدعو كل قوم إلى شئ من هذه الأشياء التي ذكرها أبو سهل مايستبله طائفة طائفة وأخبرني أبو الحسن ابن عياش القاضي عمن أخبره أنه كان بحضرة حامد بن العباس لما قبض

(١) كذا في الاصل ولعلها: مثقفا

قائمة الليل صائمة النهار طول الدهر. أفتراها هى عشقتك ام انت عشقتها؟ وضرب فكيه. واجتمع الجيران فقال اللص ذلك فكذبوه لما يعرفون به المرأة من الدين والصلاح. فضرب وأقر بالصورة فحمل إلى السلطان.

حدثنى ابو الحسن احمد بن يوسف الأزرق قال: بلغنى ان الحسين ابن منصور الحلاج لا يأكل شهراً شيئاً ونحو ذلك على تحصيل ورصد[1]. قال: فهالنى هذا وكانت بينى وبين ابى الفرج ابن روحان الصوفى مودة. وكان صالحاً من اصحاب الحديث ديّناً. وكان القصرى غلام الحلاج زوج أخته. فسألته عن ذلك فقال: اما ما كان الحلاج يفعله فلا أعلم كيف كان يتم له. ولكن صهرى القصرى غلامه قد أخذ نفسه سنين بقلة الزاد ودرّجها على ذلك حتى تمكن بعد مدة ان يصبر عن الاكل خمسة عشر يوماً ونحو ذلك أقل أو أكثر. وكان يتم له ذلك بحيلة كانت تخفى علىّ. فلما حبس فى جملة الحلاجية كشفها لى وقال: ان الرصد إذا وقع بالانسان شديداً وطال فلم ينكشف له معه حيلة ضعف عنه الرصد ثم لا يزال يضعف كلما لم ينكشف حيلة حتى يبطل أصلا فيتمكن حينئذ من فعل ما يريد. وقد رصدنى هؤلاء منذ خمسة عشر يوماً فما رأونى آكل شيئاً وهذا نهاية صبرى عن فقد الغذاء. وإن لم آكل بعده بيوم تلفت. فخذ رطلا من الزبيب الخراسانى ورطلا من اللوز ودقهما واجعلهما مثل الكسب واصلحهما صفيحة رقيقة. فاذا جئتنى غدا فاجعلها بين ورقتين من دفتر وخذ الدفتر فى يدك مكشوفا مطويا فى كفك طيا مدورا من غير كسر ليخفى

(١) بمعنى يترصده الموكلون به ويراقبونه

قد أفقرتني واخذت مني كل ما أملكه ماصحت ولا فضحتك بين جيرانك وأنت لما قمرتك الآن قماشك أخذت تدعى عليّ اللصوصية يا غث يابارد ! بيني وبينك دار القمار الموضع الذى تعارفنا فيه قل بحذائهم أو بحذاء هؤلاء الحاضرين: قد ضغيت حتى أدع عليك قماشك. فكلما قال الرجل: هذا لص! فيقول الجيران: انما يريد ألا يفضح بالقمار فلذا ادعى عليه اللصوصية. ولا يشكون انه مقامر وان الرجل صادق ويخلصون بينهما. ثم يأخذ الجوز وينصرف ويفتضح الرجل. وأخبرني أنه شاهد آخر كان يدخل الدار الآهلة ويعتمد التي فيها النساء ورجالهم خارجون. فان تمت له حيلة يأخذ بها شيئاً انصرف. وان فطن به وجاء صاحب الدار أوهمه انه صديق زوجته وانه من بعض غلمان القواد ويقول له استر عليّ هـذا عند صاحبي وعلى نفسك ويتزيا بالأقبية (١) يوهم الرجل ان لا تمكنه رفعه الى السلطان في الزنا ان اختار فضيحة نفسه. وكلما ادعى عليه اللصوصية صاح بهذا الحديث. فتجتمع الجيران فيشيرون على الرجل بالستر على نفسه. وكلما أنكر ذلك قالوا هذا محبة بزوجته ويخلصون اللص من يده حتى ربما جبروه على صرفه. وكلما جحدت المرأة وحلفت وبكت واقرت انه لص كان ذلك ادعى لهم الى تخليته فيتخلص. ويعود الرجل ويطلق زوجته ويفارق ام ولده. فأخرب غير منزل وأفقر آخرين. هذا الى ان دخل دارا فيها عجوز لها اكثر من تسعين سنة ولم يعلم. وأدركه رب البيت فأخذ يوهمه ذلك فقال: يا كشحان ليس في الدار الا أمي ولها تسعون سنة وهي منذ أكثر من خمسين سنة

(١) جمع «قباء» يعني انه جندي

عن الموضع ووجد خفة خلع على الطبيب وأجازه . وعولج إلى أن برى وجعل ابو العباس يطلب قرطاساً. وكان إذا رآه فى الحرب طرح نفسه لأخذه . فيحاربه قرطاس أشد حرب ويقول له بعجمته : يا بلنباس (يريد يا أبا العباس) إن وقعت فى يدك قدّمنى أوتارا . قال فلم يزل المعتضد يجهد نفسه فى أمره حتى أخذه أسيراً وقد وقعت به جراحات فجاء به إلى الموفق فأمر بضرب عنقه . فقال له المعتضد : تهب لى قتله حتى أعمل به ما أريد . فقال: أنت أحق به نخذه. فأخذه فقدّ من أصابعه الخمس أوتارا. قال : فقلت لأبى كيف فعل ذاك ؟ فقال : قلع أظفاره وسلخ جلد اصابع كفه من رؤوسها إلى أكتافه وعبر بها صلبه وكتفيه الى آخر أصابعه الأخرى . وجلد ابن آدم غليظ. نخرج له ذلك فأمر أن تفتل له أوتارا. ففعل وصُلب بها قرطاس .

ومن طريف حيل اللصوص الواقعة فى عهدنا أن أبا القاسم عبيد الله ابن محمد الخفاف حدثنى أنه شاهد لصا قد أخذ وتشاهدوا عليه انه يفش الأقفال فى الدور اللطاف التى تخمن على انها لعزّب . فاذا دخل حفر فى الدار حفرة لطيفة كأنها بئر النرد وطرح فيها جوزات كأن إنسانا كان يلاعبه. وأخرج منديلا فيه مقدار مائتى جوزة فتركه الى جانبها. ثم دار يكوّر ما فى الدار مما يطيق حمله. فان لم يفطن به أحد خرج من الدار وحمل ذلك كله. وإن جاء صاحب الدار ترك عليه قماشه وطلب المقاتلة والخروج . فان كان صاحب الدار جلدا فواثبه ومنعه وهمّ بأخذه وصاح: اللصوص! واجتمع الجيران أقبل عليه وقال: ما ابردك ! أنا أقامرك بالجوز منذ شهور

روحه تخرج بالضراط إلى أن مات . وأخبرنى أيضاً رحمه الله أن المعتضد أمر برجل فسد بالقطن أنفه سدا شديدا وفمه وعيناه وأذناه ومنخراه وذكره وسوءته . ثم كتف وترك فلم يزل ينتفخ ويزيد إلى أن طار قحف رأسه ومات .

وحدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب التنوخى قال : قال ابى : كنت مع صاحبي الذى كنت أكتب له بدار اللاى[1] فى عسكر الموفق وهو يقاتل صاحب الزنج . فرمى زنجى من أصحاب الخائن يقال له قرطاس الموفق بسهم فأصاب ثندوته، وصاح «خذها منى وأنا قرطاس!» فصارت مثلا للرماة إلى الآن . فحمل الموفق صريعاً فى حد التلف . ونزع السهم وكان مقطناً فبقى الزج مكانه وجمع وانتفخ وأمد واشرف على الموت واستنجد بذلك اهل عسكر الخائن . وكانوا يصيحون بنا فى كل يوم : ملحوه! أى قد مات الموفق فاجعلوه مكسودا[1] . فأجمع رأى الطب على بطه فلم يمكنهم الموفق من ذلك . فقالوا للمعتضد انه ان لم يبط عمل الى داخل فأتلف فقال : احتالوا عليه وبطوه وأنا أمنعه منكم . فطوّل أحد الاطباء ظفر إبهامه اليمين وجعل تحته حديدة مبضع وجاء الى الموفق فقال : أيها الامير دعنى أجسه وأنظر كيف هو . فقال لعلك تبطه . فأراه يده وقال : كيف أبطه وليس فى يدى حديد ؟ فمكنه منه فجسه وخرقه بالمبضع من أوله الى آخره مستعجلا . فندر الزج وخرج وتبعته مدة عظيمة وقيح . ففزع الموفق فى حال البط لمجيئه على غفلة فلكم الطبيب فقلبه عن مكانه . فلما استراح بما خرج

(١) كذا بالاصل

أتوزر وهما عطفيين[١] أى انتظر حتى أتوزر . وقال فما فارقه حتى شد مئزره وهما فوق الباب المحمى. ثم تمم مشيه حتى خرج منه وقد غلب بتلك الساعة[٢] وان لم يكن فى الباب الحديد حيلة أو عادة مثلما يكون أسفل القدر كالنار إذا دام الوقود عليها فيأخذها الانسان ساعته على راحته لأن البخار يتصاعد ثم يدعها قبل أن ينعكس البخار الى أسفلها . وقد شاهدت أنا أبا الأعز ابن شهاب التيمى بالبصرة فعل ذلك . وإلا فلا أدرى ما هو.

وقد أخبرني غير واحد أن القطعة الحديد إذا أدخلت الكور وأحميت حتى تبيضّ بياضا شديدا فأخذها الانسان فلطعها مرتين أو ثلاثة قبل أن يرجع فيها الحسىُ لم تضرّ لسانه . وقد شاهدت أنا أبا الحسن على ابن محمد بن أحمد التنوخى وقد أدخل إلى فيه غير مرة شمعة فيها رطل وعض عليها وكشر شفتيه لى حتى تبينت اتقاد الشمعة فى فيه ساعة ثم أخرجها غير منطفية . وسألته عن علة ذلك فقال : يحتاج إلى حذق في سرعة الادخال حتى لا تحرق الشفتين . فاذا حصلت فى داخل الفم لم تضر لأن ما يتصاعد من حمى الجوف يغلب على حماها ولا تضر . ومن ظريف عقوبات المعتضد قتله اسمعيل بن بلبل . حدثنى أبى : قال أخبرنى جماعة من أهل الحضرة يعرفون ويحصلون أن المعتضد أمر باسمعيل بن بلبل فاتخذ له تغار[٣] كبير وملئ اسفيداجا حيا وبله ثم جعل بالعجل رأس اسمعيل فيه إلى آخر عنقه وشئ من صدره وأمسك حتى جمد الاسفيداج فلم تزل

(١) يريد عطفيان (٢) كذا بالاصل ولعلها الصناعة ؟ (٣) كلمة فارسية قد استعملها الطبرى ٣ : ٧٥٣ معناها الاجانة

وزير المقتدر على كل دار هذه حكمها أجرة العرصة بحسب ذلك. وكان لها ارتفاع كثير. ثم تبع ذلك بسنين خراب المدينة أولا فأولا حتى بلغت الى ما هي عليه.

ومن عجيب أخبار قوة النفس أن أخا بابك الخرّمىّ المازيار قال له لما أُدخِلا على المعتصم: يابابك انك قد عملت مالم يعمله أحد. فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد. فقال له: سترى صبرى. فلما صارا بحضرة المعتصم أمر بقطع أيديهما وأرجلهما بحضرته. فبدئ ببابك فقطعت يمناه فلما جرى دمه مسح به وجهه كله حتى لم يبق من حلية وجهه وصورة سحنته شئ. فقال المعتصم. سلوه لم فعل هذا؟ فسئل فقال: قولوا للخليفة انك أمرت بقطع أربعتى وفى نفسك قتلى. ولا شك أنك لا تكويها وتدع دمى ينزف الى ان تضرب عنقى. فخشيت أن يخرج الدم منى فتبقى فى وجهى صفرة يقدّر لأجلها من حضر أنى قد فزعت من الموت وأنها لذلك لا من خروج الدم. فغطيت وجهى بما مسحته عليه من الدم حتى لا تبين الصفرة. فقال المعتصم: لولا أن أفعاله لا توجب العفو عنه لكان حقيقاً بالاستبقاء لهذا الفضل. وأمر بامضاء أمره فيه. فقطعت أربعته ثم ضربت عنقه. وجعل الجميع على بطنه وصب عليه النفط وضرب بالنار. وفعل مثل ذلك بأخيه. فما كان فيهما من صاح أو تأوه.

وقد حكى أن عافية الباقلاّنى وخالدا الحذّاء رئيسى أصحاب العصبية فى زمانهما بايعا أن يُحمى لهما باب حديد ويمشيان عليه ففعل ذلك. فلما حصلا فوقه حل أحدهما مئزره ثم ضرب يده الى الآخر وضبطه وقال: أنظِرنى

قال : فقلت له : كيف فعل ذلك وما كان سببه ؟ فقال : ان رجلا من أولاد الواثق كان سكن مدينة المنصور فسعى فى طلب الخلافة هو وشيلمة استوزره وأخذ له البيعة على أكثر أهل الحضرة من الهاشميين والقضاة والقواد والجيش وأهل بغداد الأحداث وأهل العصبية . وقوى أمره وانتشر خبره وهمّ بالظهور فى المدينة والاعتصام بها حتى اذا أخذ المعتضد صار الى دار الخلافة . فبلغ المعتضد الخبر على شرحه الا اسم المستخلف . فكبس شيلمة وأخذه فوجد فى داره جرائد بأسماء من بايع. وبلغ الهاشمى الخبر فهرب. وأمر المعتضد بالجرائد فأحرقت ظاهراً لئلا يعلم الجيش بوقوفه عليها فتفسد نياتهم له بما يعتقدون من فساد نيته عليهم. وأخذ يسائل شيلمة عن الخبر فصدقه عن جميع ما جرى الا اسم الذى يستخلف . فرفق به ليصدقه عنه فلم يفعل. وطال الكلام بينهما فقال له: والله لو جعلتنى كردناكا ما أخبرت باسمه. فقال المعتضد للفراشين: هاتم أعمدة الخيم الكبار الثقال. وأمر أن يشدّ عليها شداً وثيقاً. وأحضروا فحماً عظيماً وفُرش على الطوابيق بحضرته. وأججوا ناراً وجعل الفراشون يقلبون شيلمة على تلك النار وهو مشدود على الاعمدة الى ان مات وانشوى . قال : فأمر المعتضد بهدم السور المحيط بالمدينة . فهدم منه شئ يسير. واجتمع اليه الهاشميون فقالوا : يا أمير المؤمنين فخرنا وذكرنا وآثارنا ! فأمر بقطع الهدم وصرف حفظة كانوا عليه متوكلين برعيه ورخص فيه وتركه وأهمله وخلى بينه وبين الناس .فما مضت الا سنيات حتى هدم الناس أكثره أولاً فأولا ووسعوا به ما يجاوره من دورهم واستضافوا مكانه اليها حتى ان ذلك اتسع فجعل

فيكم من يسألني أن لا أقتله ؟ وأخذ يبكي وكان فيه تحرج من القتل فقالوا: ما علمنا وخفناك . فصار بعد ذلك إذا أمر بقتل سئل وروجع فيعفو .

أخبرني طلحة بن عبيد الله بن قناش قال : كنت يوماً على مجلس حديث وأنس بحضرة سيف الدولة أنا وجماعة من ندمائه فأدخل إليه رجل وخاطبه ثم أمر بقتله فقتل في الحال . فالتفت إلينا فقال : ما هذا الأدب السيء وما هذه المعاشرة القبيحة التي نعاشر ونجالس بها ؟ كأنكم ما رأيتم الناس ولا سمعتم أخبار الملوك ولا عشتم في الدنيا ولا تأدبتم بأدب دين ولا مروءة . قال : فتوهمنا أنه قد شاهد من بعضنا حالاً يوجب هذا فقلنا : كل الأدب إنما يستفاد من مولانا اطال الله بقاه (وهكذا كان يخاطب في وجهه) وما علمنا أنا عملنا ما يوجب هذا . فأن رأى أن ينعم[1] بتبيينها فعل . فقال : ما رأيتموني وقد أمرت بقتل رجل مسلم لا يجب عليه القتل وإنما حملتني السطوة والسياسة لهذه الدنيا النكرة على الأمر به طمعاً في أن يكون فيكم رشيد يسألني العفو عنه فأعفو وتقوم الهيبة عنده وعند غيره فأمسكتم حتى أهرق دم الرجل وذهب هدراً ؟ قال : فأخذنا نعتذر اليه وقلنا : لم نتجاسر على ذلك . فقال : ولا في الدماء ؟ ليس هذا بعذر . فقلنا : لا نعاود . واعتذرنا حتى أمسك.

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال : حدثني أبي قال : كنت أكتب لبدر اللطيفي في أيام الموفق والمعتضد وأدخل الدار معه واليه . فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة وقد جعله كردناكا.

---

(١) في الاصل : أنعم

الندماء ليرى قلة الاكتراث بما جرى عليه فعاد إلى داره وقد قرب المساء فدعا بما يأكله فأكل وندماؤه معه وليس فيه فضل لشدة الألم وهو يتجلد ويتحدث ثم دعا بنبيذ فقالوا له أيها الوزير لو استرحت وطرحت نفسك كان أولى من النبيذ فليس هذا وقته . وذموا له من هذا . فأخذ يعزيهم على ما جرى عليه ويسليهم وتمثل لى كلامه بهذا البيت :

فأن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لاعار بما صنع الدهر

ثم شرب أقداحا وقام . أخبرنى بذلك من حدثه إياه من ندماء أبى محمد عن مشاهدة .

وكانت عادة الأمير معز الدولة إذا حمى جدا أن يأمر بالقتل ويكره أن يتم ذلك ويعجبه أن يُسأل العفو وهذا كثير من فعله جدا بخلق من جملة أصحابه . وأول ما عرف ذلك وأقدم لأجله على مسألة العفو إذا أمر بالقتل فى صاحب له أنه أنكر على رجل بالأهواز وهو إذ ذاك مقيم بها وكان الرجل ضرابا يعرف بابن كردم أهوازى ضمن منه عمالة دار الضرب بسوق الأهواز فضرب دنانير ردية ولم يعلم الأمير بها فأنفذها إلى البصرة ليشترى بها الدواب والبريديون إذ ذاك بها فلم تؤخذ لشدة فسادها فردت وعاد الراضة الذين كان أنفذهم بذلك فعرفوه الخبر فحمى وأحضر ابن كردم هذا وخاطبه وازداد طبعه حمى إلى أن امر أن يخنق على قنطرة الهندوان بالأهواز فأخرج من بين يديه وخنق ومات وعاد من كان أمره بذلك فوقف بحضرته . فقال : ما فعل الرجل ؟ قال خنقناه ومات . فكاد يطير غضبا وشتمه وشتم الحاضرين وقال : ما كان

في ذلك متصلا والصناع فيه متفرقين وهذا بعد أن كان عمل[1] بناء مدينة لنفسه وخرج إلى كلواذا ليتخذها هناك ثم أراد اتخاذها حيال كلواذا ثم رحل إلى قطربل وأراد أن يبنيها عندها ثم تقرر رأيه على بناء دار بباب الشماسية حصينة يستغنى بها عن المدينة وتخف عليه نفقتها وقدر لذلك ألوف ألوف دراهم وزادت النفقة على التقدير أضعافا وكان يطالب وزيره أبا محمد المهلبي بتوجيه وجوه الأموال لذلك مع قصور الدخل عن الخرج فتلقى منه عبثاً ثم كلفه تولى البناء بنفسه وكتابه فكان وهم يتولون ذلك فسعى بعض أصحاب معز الدولة إليه أنهم يُشفقون[2] البناء فى السوية ليتعجل بنفقة خفيفة ويسرقون الباقى ووقفه على موضع منه كان فيه ساف لبن لم يحكمه ومشى عليه بحضرة معز الدولة لأنه ركب إليه فانقلعت منه لبنة فحمى طبعه وكان حديدا جدا سليم الباطن مع ذلك وإذا أخرج حدته وانقضت سورة غضبه تندم على فعله ولكن من يقوم على تلك الحدة فأحضر المهلبي ووقفه على ما رآه فأخذ يحتج عليه فحمى وأمر به فبطح وضرب مقارع كثيرة ثم قال اخنقوه فجعل فى عنقه حبل وأمسكه ركابيون فوق السور ليشيلوه ليخنق وبلغ الخبر قواده الأتراك وخواصه فبادروا إلى تقبيل الأرض بين يديه ومسألته الصفح عنه فأنزل وأطلقه. فمضى إلى داره كالميت وأظهر قلة حفل بذلك لئلا تشمت أعداؤه ويطمعوا فى صرفه ويقولوا عليه بانكسار إن بان منه ولئلا يبلغ صاحبه أنه مستوحش من ذلك فيستوحش منه وكذا كانت عادته أن يشرب فى تلك الليلة النبيذ ويدعو الغناء ويجمع

(١) لعله سقط «على» (٢) أى يقللون

لا آخذ منك وأنت على هذه الحال شيئاً . قال : أتدرى ما سمعت من أهل دينكم يحكون عن نبيكم ؟ قلت : لا . قال : سمعتهم يحكون عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال اذا اراد الله بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وأمطرهم المطر فى أوانه . ثم أمر قائد البغل يقوده فلم أرم من مكانى حتى جاءنى رسول الحجاج : أجب . فمضيت اليه فوجدته متنمراً والسيف منتضى فى حجره فقال : ادن . فقلت لا والله لا أدنو وهذا فى حجرك . فاضحكه الله وأغمد السيف وقال : ما خاطبك به المجوسى ؟ قلت والله ما غششتك منذ ائتمنتنى ولا كذبتك منذ صدقتنى . فقصصت عليه القصة فلما أردت أن أذكر الرجل الذى عنده الثلاثون الفاً أعرض وقال : لاتذكره اما ان الكافر عالم بآثار رسول الله صلى الله عليه .

كان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه لما ابتنى قصره بباب الشماسية والاصطبلات المتصلة بآخره من الحد [1] جوانبه التى لم تسبق الى حسنها وعمل الميدان على دجلة متصلا بين القصر والبستان الشارع على دجلة الذى يلازق دار صاعد بن مخلد الذى كان منزلا لابى جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاذ ثم صيره أبو جعفر الصيمرى بستاناً والجميع الآن داخل فى جملة قصر معز الدولة أول ما بدا بأن يبنى السور المحيط بالقصر والميدان وبالمسناة العظيمة التى من حد رقة الشماسية الى بعض الميدان وطول ما بناه منها ألف وخمسمائة ذراع وعرضها نيف وسبعون أجرة كبارا سوى الدستاهيجات التى تخرج منها الى داخلها ليضبطها وكان العمل

(١) لعله احد

الهوان وإن الفضل استخطأ رأيي فيما عاملت عمرا به فصار اليه وعامله بمثله حيث لم ينفع ذلك ولو تركتني معه في الاول لاستخرجت منه ثلاثة آلاف ألف عفواً وهذه تذكرة بخط عمرو تحتوي على ثلاثة ألف ألف. فأخرجتها وطرحتها بين يديه وقلت : لو كنت علمت أن أمير المؤمنين يجيبني ذلك الوقت إلى ثلاثة آلاف ألف عنه لبذلتها فبذلت ألفي ألف حتى ان لم يقنع زدت ألف ألف والآن فقد فسد هذا ووالله لا أعطي عمرو مع ما جرت عليه حبة فان استحل أمير المؤمنين دمه فذاك اليه والا فليس الى استخراج شيء منه سبيل . قال : فاستحيا المأمون وأطرق مفكرا ملياً ثم رفع رأسه وقال : والله لا كان كاتباً من كتابي ونبطي من عمالي أكرم وأوفى وأصح تدبيرا مني قد وهبت لك يا محمد عمرا وما عليه فخذه واصنع به ما شئت . فتسلمته من الفضل بن مروان وأطلقته مكرماً الى بيته . ويشبه هذا الحديثُ حديثاً وجدته بخط القاضي أبي جعفر بن البهلول ذكر أن محمد بن احمد الجشمي أخبره قال : قال الحجاج بن يوسف لمحمد بن المنتشر : خذ اليك أزادمرد بن الفرند فدق يده على رجله حتى تستخرج المال الذي عليه . قال محمد : فاستخرجت منه بالرفق ثلثمائة الف درهم في جمعة فلم يرض ذلك الحجاج فأخذه مني ودفعه الى معدّ صاحب عذابه فدق يده ودهقه فدق ساقه فمر به عليّ وأنا في السوق معترضاً على بغل فقال : يا محمد ادن . فدنوت فقال : انك وليتَ مني مثل هذا فأحسنتَ اليّ فأديتُ ما أديتُ عفواً ووالله لا يؤخذ مني درهم واحد كرهاً ولي عند فلان ثلاثون ألفاً فخذها جزاء لما صنعت . فقلت : والله

من يدك وان أبى فانه يسلمنى الى عدوى الفضل بن مروان وهو القتل ووالله لا أعطيت على هذا الوجه درهماً واحداً ولا كنت ممن يجىء على الهوان دون الاكرام وسأتلف ولا يصل الى الخليفة حبة من مالى ولكن المنة لك عليّ خالصة فأن عشت شكرتها وأن مت فالله مجازيك عنى .قال : فأخذت التذكرة ورحت إلى المأمون فقال : ما عملت فى أمر عمرو بن نهيوى ؟ فقلت : إنه قد بذل ألفى ألف درهم وليس عنده أكثر من ذلك . فاستشاط وقال : لا ولا كرامة له ولا أربعة آلاف ألف ولا ثمانية آلاف ألف وقال لى الفضل : ما دمت ترفهه وتكرمه وتجلسه على الدسوت وتخدمه بنفسك وغلمانك كيف لا يتقاعد ؟ فقلت له : فتسلمه أنت إن شئت . فقال الخليفة : خذه إليك . فأخذه وأرهقه وطالبه بعشرة آلاف ألف درهم ودهقه وضربه وهو لا ينحل بشىء فنزل معه إلى خمسة آلاف ألف فلم يجب فقنع منه بثلاثة آلاف ألف فلم يستجب فلما زاد على المكروه وخاف الفضل أن يتلف فى العذاب فيجب المال عليه فى نفسه باتلافه إياه رفق به وداراه وخلع عليه ورفهه أياماً وقال له : كان محمد بن يزداد بذل عنك ألفى ألف وقد قنعت بها منك فهاتها . فقال : ما ملكتها قط ولا بذلتها لمحمد . فجاء الفضل إلى المأمون فاقتص عليه خبره معه فى معاقبته ومطالبته أولا بالكل واقتصاره ثانيا وثالثا وترفيهه له واكرامه وقناعته منه بألفى ألف درهم واقامته على انه لا حال له وانكاره ان يكون بذل ذلك . وكنت حاضراً فانقطع الحبل فى يد المأمون وكاد يهم بالفضل فقلت : يا أمير المؤمنين الرجال لا يكالون وليس كل أحد يجىء على

وعاشوا كلهم وأسنوا وفيهم من أعقب . قال لنا القاضى : اسمعيل ابن أبى خالد المحدث له ثلاثة اخوة ولدوا فى بطن واحد وكلهم عاشوا وأسنوا .

حدثنى أبو العباس هبة الله بن محمد بن المنجم عن أسلافه أن المأمون نكب عاملا له يقال عمرو بن نهيوى صهر موسى بن أبى الفرج بن الضحاك من أهل السواد موسراً فامر محمد بن يزداد ان يتسلمه اليه ويعذبه ويعاقبه حتى يأخذ حظه بعشرة آلاف الف درهم ويستخرجها منه. فسلم عمرو الى محمد واكرمه وألطفه وأمر بخدمته وترفيهه وأفرده فى حجرة سرية من داره وأخدمه فيها من الفرش والغلمان ما يليق به ولم يكلمه ثلاثة أيام والمأمون يسأل عن الخبر فيبلغه ترفيهه له فينغاظ ويسأله فيقول هو مطالب . فلما كان فى اليوم الرابع استدعى عمرو محمدا فدخل اليه . قال محمد بن يزداد : فقال يا هذا قد عرفت ما تقدم به اليك الخليفة من أمرى ووالله ما رأيت هذا المال ولا نصفه ولا ثلثه قط ولا يحتوى عليه ملكي ولعل الخليفة يريد دمى وقد جعل هذا اليه طريقا وقد تفضلت علىّ بما لا يسعنى معه ان أدخر جهدا فى تجميلك عند صاحبك وقد كتبت تذكرة بجميع ما يحويه ملكي ظاهرا وباطنا وهى هذه . وسلمها إلىّ واذا هى تشتمل على ثلاثة آلاف ألف درهم وعلىّ وعلىّ . فحلف بالطلاق والعتاق والايمان المغلظة ما تركت لنفسى بعد ذلك الا ما علىّ من كسوة تستر عورتى وهذا عفوى وجهدى فان رأيت ان تأخذه وتسأل الخليفة الرضا منى به فان فعل فقد خلصنى الله بك ونجانى من القتل

ثلثمائة وخمسون درهماً قيمتها خمسة وعشرون دينارا يكون لألفى جريب خمسون ألف دينار وكل ذلك يوكل ببغداد فما ظنك ببلد يؤكل فيه فى فصل من فصول السنة صنف واحد من صنوف البقل بخمسين ألف دينار . ثم قال لي القاضي : أخبرنى رجل يبيع سويق الحمص دون غيره من الاسوقة اسماه وأنسيته انه أحصى ما يتخذ فى سوقه من سويق الحمص فى كل سنة وكان مبلغه مائة وأربعون كرا وأنه يخرج فى كل سنة منهم حتى لا يبقى منه شئ فاذا حال الحول طحنوا مثل ذلك هذا وسويق الحمص غير طيب وانما تأكله الضعفاء والمتجملون شهرين أو ثلاثة من السنة عند عدم الفواكه وأضعافهم مرارا من الناس من لا يأكل ذلك أصلا . ثم قال : قال لى بعض مشايخ الحضرة : عمارة بغداد فى سنة خمس وأربعين عشر ما كانت عليه فى أيام المقتدر على تحصيل وضبط يعنى فى الابنية والناس .

جرى بحضرة القاضي أبى الحسن محمد بن صالح الهاشمى اسنان الحمل وقول الشافعى ومالك فيها ما قالاه فحكيت أنا ما روى من أن محمد بن عجلان ولد لأربع سنين وأن أسنانه كانت قطعتين فقال لى القاضى أبو الحسن : كان لابى زوجة من ولد الاشعث بن قيس كوفية فحملت منه احد عشر شهراً بحساب صحيح ضبطا وأعلناه بعد شدة الاستظهار والتحصيل فيما يجب تحصيله والاستظهار في مثل ذلك فولدت بعد أحد عشر شهراً ابنة فعاشت البنت سنين ولها أولاد . قال : وحدثنى أبى عن جدى أنه شاهد بالكوفة أربعة اخوة ولدوا فى بطن واحد

أم شيبان فى سنة ستين وثلثمائة عظم بغداد وكثرة أهلها في أيام المقتدر وما كان فيها من الأبنية والشوارع والدروب وكبر البلد وكثرة أهله فى سائر أنواع الناس وذكرت أنا كتاباً رأيته لرجل يعرف بيزدجرد بن مهبندان الكسروى كان على عهد المقتدر بحضرة أبى محمد المهلبى كان سلم إلىّ وإلى جماعة ممن حضر كراريس منه لننسخه وننفذه إلى الامير ركن الدولة لأنه التمس فى وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات وأنها كانت عشرة آلاف وكثير من الكتاب يبلغها وعدد من يحتوى عليه البلد من الناس والسفن والملاحين وما يحتاج إليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات وأنه حصل ما يصل إلى أصحاب المعابر فيه من الثلاجين في كل يوم أربعون ألفا أو ثلاثون ألفا وذكر غيرى كتاباً ألفه أحمد بن الطيب فى مثل هذا فقال لى القاضى أبو الحسن : أما ذاك فعظيم لا نعلمه وقد شاهدنا منه ما لا يستبعد معه أن يكون كما أخبر يزدجرد وأحمد بن الطيب إلا إنا لم نحصه فنقطع العلم به ولكن بالامس فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة لما ضمن محمد بن احمد المعروف بترة بادوريا عمرها وتناهى فى ذلك فأحصينا وحصلنا ما زرع فيها من جربان الخس فى هذه السنة وقدرنا بكلواذا وقطربل وقرب بغداد مما يحمل اليها من الخس على تقريب فكان الجميع ألفى جريب وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة أبواب يقلع من كل باب من الاصول كذا وكذا ولم أحفظه يكون بجريب كذا وكذا أصلا وسعر الخس إذ ذاك على أوسط الاسعار كل عشرين خسة بدرهم واحد فحصل لنا ان ارتفاع الجريب على أوسط الريع والسعر

إلا بعشرة آلاف درهم . فلم يجسر على الرجوع للاستئذان فأعطانى عشرة آلاف درهم وأخذ الرطل فشفيت العليلة منه فقويت نفسها وقالت : أريد رطلا آخر . فجاءنى الوكيـل بعشرة آلاف درهم وقال : هات رطلا آخر إن كان عندك . فبعت ذلك عليه فلما شربته العليلة تماثلت وجلست وطلبت زيادة فجـاؤونى يلتمسونى ذلك فقلت : ما بقى عندى إلا رطل واحد ولا أبيعه إلا بزيادة فدارانى وأعطانى عشرة آلاف درهم وأخـذ رطلا وتداخلتنى رغبة فى أن أشرب أنا شيئاً من الثلج لاقول إنى شربت ثلجا سعر الرطل منه عشرة آلاف درهم . قال : فشربت منه رطلا وجاءنى الوكيل قرب السحر وقال : الله الله قد والله صلحت العليلة وإن شربت شربة أخرى برأت فان كان عندك منه شئ فاحتكم فى سعره . فقلت له : والله ما عندى إلا رطل واحد ولا أبيعه إلا بثلاثين ألفا . فقال : خـذ . فاستحييت من الله أن أبيع رطل ثلج بثلاثين ألفا فقلت : هات عشرين ألفا واعلم أنك إن جئتنى بعـدها بملء الارض ذهبا لم تجد عندى شيئاً فقد فنى . فأعطانى العشرين ألفا وأخذ الرطل فلمـا شربته شاجى أفاقت واستدعت الطعام فأكلت وتصدق عبيد الله بمال ودعانى من غد فقال : أنت بعدالله رددت حياتى بحياة جاريتى فاحتكم . فقلت : أنا خادم الأمير وعبده . قال : فاستخدمنى فى ثلجه وشرابه وكثير من أمر داره وكانت تلك الدراهم التى جاءتنى جملة أصل نعمتى وقويت بمـا انضاف إليها من الـكسب مع عبيد الله طول أيامى معه .

تجارينا عند القاضى أبى الحسن محمـد بن صالح بن على الهاشمى بن

فما شبع منه أبو عصمة حتى أمر به أبو القاسم فرفع إلى والدته وقُدِّمَتْ مضيرة بفراخ مسمنة ودجاج هندية ودهن الجوز والخردل فما أكلوا منها حسبا حتى أمر ابن الحوارى برفعها إلى والدته فأخذ أبو عصمة رغيفا وقام يمشى مع الغضارة فقال له ابن الحوارى : إلى أين يا ابن عصمة ؟ قال : إلى الوالدة ياسيدى آكل معها هذه المضيرة فان هذه المائدة خراب والخصب عندها . فضحك ابن الحوارى ورد اللون إليه . قال : وكان أبو عصمة هذا لى صديقا وبى آنسا فقال لى يوما : إن أهل عذراء سفل وأنا مبتلى بهم بالخطبة فاذا أنا صعدت المنبر أومأت إليهم بيدى إيماء السلام فيؤذن المؤذن ويحسبون أنى قد سلمت عليهم وإنما أقول: لِحا كم كالكم فى استى .

حدثنا أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى الكاتب قال : حدثنى ابن سليمان الثلاج قال : قال لى أبى : كان أصل نعمتى من ثمن خمسة أرطال ثلجا وذلك أنه عز الثلج فى بعض السنين ببغداد وقل وكان عندى منه شئ بعته وبقى منه خمسة أرطال فاعتلت شاجى جارية عبيد الله بن طاهر وهو إذ ذاك أمير بغداد فطلبت منه ثلجا فلم يوجد إلا عندى فجاؤونى فقلت : ما عندى إلا رطل واحد ولا أبيعه إلا بخمسة آلاف درهم . وكنت قد عرفت الصورة فلم يجسر الوكيل على شرى ذلك ورجع يستأذن عبيد الله بمن له زوجه [1] وهى تتضور على الثلج وتلح في طلبه فشتمه عبيد الله وقال : امض واشتره بأى ثمن كان ولا تراجعنى . فجاءنى فقال : خذ خمسة آلاف درهم وهات الرطل . فقلت : لا أبيعك

---

(١) لعله بمنزل زوجه

ادفعوه إلى السوّال . فقبض الهاشمى على الجام وقال : ياهذا احسب أننا نحن السوّال ودعنا تتهنأ بأكلنا لم تدفع كل ما تشتهيه للسوّال وما للسوّال وهذا ؟ لهم فى لحم البقر وعصيدة التمر كفاية والله لا أشلته . فقال : يا سيدى إن عادتى ما تراه . قال : بئست العادة لا نصبر لك عليها تقدم أن يعمل للسوّال إذا كان لا بد من ذلك مثل هذا ودعنا نحن نتمتع بأكله وادفع إليهم مثل ثمنه . فقال : أفعل مستأنفا وأتقدم بأن يصنع لهم مثله فأما ثمنه فان السائل لا تسمو نفسه ولا يتسع صدره لعمل مثل هذا ولو دفع إليه أضعاف ثمنه مراراً لأنه إذا حصلت عنده الدراهم صرفها إلى غير هذا وأمره المختل الذى هو إلى إصلاحه أحوج ولا يحسن أيضا عمل مثل هذا وأنا أحب أن يشاركونى فى الالتذاذ بما آكل ياغلام تقدم الساعة بعمل جامة مثل هذه وتفريقها على السوّال . ففعل ذلك وكان بعد هذا إذا حضر من يحتشمه أمر بعمل مثل ما يقدم إليه والصدقة به ولم يأمر برفع ذلك من حضرته إلا إذا بشمه الحاضرون .

حدثنى أبو الحسن بن عياش قال : كان يألف أبا القاسم بن الحوارى رجلٌ من أهل عذراء يخطب بأهلها وكان ماجنا خفيف الروح مليح الحديث والكلام طيب النشوار والأدب يكنى بأبى عصمة وكان يؤاكله دائما ويختصه وينفق عليه وكان أبو القاسم شديد البر بأمه وكان يتبعض لها بالماء فضلا عما سواه ولا يتهنأ بأكل شئ إلا ما أكلت منه وكان إذا استطاب لونا أن ينفذ من مائدته إليها فأكل عنده أبو عصمة هذا أول يوم وهو لا يعرف رسمه فقدم غير لون طيب

على كل ما يباع فاذا استقرت العطية وأخذت الدراهم أخذته لك بزيادة وعزلته إلى الصيف أوالشتاء ودفعت مثل ثمنه من مالك إلى هذه الوجوه . فقال لى : ما أحب هذا تلك الآلات قد متعني الله بها طول شتائى او صيفى وبلغنى وقت الغناء عنها وما أنا على ثقة من أنى أعيش إلى وقت الحاجة إليها ثانياً ولعلى قد عصيت الله عليها وفيها فأنا أحب بيع أعيانها وصرف الثمن بعينه فى هذه الوجوه وشكر الله على تبليغى وقت الاستغناء عنها وكفارة لما عصيته فيها ثم[1] أحيانى الله إلى وقت الحاجة إليها فليس ذلك بغال ولا يتعذر شرى مثله واستجداد خلفه والتمتع بالجديد وفى بيعى إياه رخيصاً وشرائى له غالياً فائدة أخرى وهى أن تنتفع الضعفاء من التجار الذين أبتاع ذلك منهم وأبيعه عليهم بما فيه من الأرباح علىّ ولا يؤثر فى حالى. أخبرنى القاضى قال : أخبرنى هذا الوكيل أن النعمان كان يعجبه إذا قدم إليه لون من طيب أو حلو عجيب أن لا يمعن فى أكله ويأمر بدفعه بعينه إلى السوَّال وكان رسمه أن يفرق فى كل يوم جميع ما يشال من مائدته ويفضل فى مطبخه من وظائف غلمانه فكان يجتمع على بابه كل يوم منهم جمع عظيم . قال : فأكل يوماً عنده صديق له هاشمى فقدم إليه لون طيب فما استتموه حتى أمر به للسوَّال فشيل وقدم جدى سمين فما تهنؤوا بأكله حتى أمر به فرفع إلى السوَّال وقدم جام لوزينج معمول بالفستق وكان يعجب النعمان ويلزمه على الجامة خمسون درهما وخمسة دنانير وأقل وأكثر على قدر كبر الجام فما أكلوا منه إلا يسيراً حتى قال :

---

(١) لعله سقط : ان

ولا تصطف الأخوان قبل اختبارهم فما كل خل تصطفيه نجيب

حدثني القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن قال : حدثني وكيل كان لأبي المنذر النعمان بن عبد الله قال : كان من عادة النعمان إذا كان في انسلاخ كل شتوة أن يعمد إلى جميع ما استعمله من خز وصوف وفرش وكوانين وآلة الشتاء فيبيعه في النداء ثم ينفذ الى حبس القاضي فينظر من حبس باقراره دون قيام البينة عليه ولا حال له فيؤدى ما عليه من ثمن تلك الآلات أو يصالح عنه ويخرجه إن كان المال ثقيلا ثم يعمد إلى من يبيع بيعا يسيرا مثل نقلي ورهداري ومن رأس ماله دينار وديناران وثلاثة فيعطيه من عشرة دنانير إلى مائة درهم وأقل وأكثر ليزيد في رأس ماله ويعمد إلى من يبيع في الأسواق مثل طنجير وقدر وقميص خلق وما يغلب على الظن أن مثله لا يباع إلا من ضر شديد وإلى امرأة تبيع غزلها عجوز فيعطيهم أضعاف ثمنه ويدعه عليهم ويعمل ألوانا من هذا الجنس كثيرة يأمرني بفعلها وصرف ثمن تلك الآلات إليها فاذا جاء الصيف (١) عمد إلى ماعنده من دبيقي وقصب وحصير ومزملات وآلة الصيف فيفعل به مثل ذلك فاذا جاء الشتاء والصيف ثانية استجد جميع ما يحتاج إليه فلما كثر ذلك عليّ من فعله قلت له : ياسيدي إنك هو ذا تعقر نفسك من حيث لا ينفع عمل لأنك تشترى هذه الثياب والآلات والفرش في وقت الحاجة إليها بضعف قيمتها وتبيعها وقت استغناء كافة الناس عنها فيشترى منك بنصف قيمتها فيخرج منك في ذلك مال عظيم فان أذنت ليناديت

(١) يريد الشتاء

مصادرته وأحسن إليه .

حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف قال : حدثنى قاضى القضاة أبو محمد عبيد الله بن احمد قال : تجارينا بحضرة أبى محمد المهلبى ذكر الاقبال والادبار فقال : ليس الاقبال أكثر من الحركة والتواضع ولا الادبار أكثر من الكسل والكبر .

أنشدنى أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد النصيبينى المخزومى الكاتب المعروف بالببغاء لنفسه قصيدة منها .

جاورت بالحب قلباً لم تذر فكرى ... للحب مستمتعا فيه ولم تدع
يصبو ولكن يكف الحلم صبوته ... وأشرف الحب أدناه من الورع
وبى أمسّ غرام لو أنست إلى الشـ ... ـكوى ولكن أعد الصبر للجزع
ما بال أهل زمانى من تجاهلهم ... بموضعى بين مغبون ومختدع
من لم تزد قومه أفعاله شرفاً ... بالفضل فهو لمعنى غير مخترع
عفت الموارد لما لم أجد ظمأ ... فى كثرة الماء ما يغنى عن الجرع

وأنشدنى لنفسه قصيدة فى سيف الدولة رحمه الله :

أفادت بك الأيام فرط تجارب ... كأنك فى فرق الزمان مشيب
فكل بعيد ترق (١) الحين نحوه ... سلاهبك الجرد الجياد قريب
تباشر أقطار البلاد كأنها ... رياح لها فى الخافقين هبوب
وتملأ ما بين الفضاءين عثيرا ... مثارا بوجه الشمس منه شحوب
وما يدرك العلياء إلا مهذب ... يصاب على مقداره ويصيب

(١) فى اليتيمة (١ : ٢٠٣) قرب

إن آمنتنا قلناه . قال : أنتم آمنون . قالوا : نرى كل شيء لك جديداً (يعرضون أنه لا عرق له في الملك) . فقال : فما حال ملككم الذي كان من قبلي ؟ قالوا كان ابن ملك . قال فأبوه . قالوا ابن ملك ، قال فأبوه إلى أن عدد عشرة أو أكثر وهم يقولون ابن ملك فانتهى إلى الأخير فقالوا : كان متغلباً . قال : فأنا ذلك الملك الأخير وإن طالت أيامي مع إحساني السيرة بقي هذا الملك بعدي في ولدي فصار لأولاد أولادهم من العرق في الملك مثل ما كان لملككم الذي كان من قبلي. قال : فسجدوا للملك تواطئاً له. وكذا عاداتهم إذا استحسنوا شيئاً أو لزمتهم حجة وانصرفوا فازداد بذلك الملك توطئاً له. فقلت أنا للقاضي : هذا شيء قد سبقت العرب إليه في كلمتين استغنى بهما عن هذا المثل الطويل العجمي فقال ما هما ؟ فقلت روت العرب أن رجلين منهما تفاخرا فقال أحدهما لصاحبه : نسبي مني ابتدأ ، ونسبك إليك انتهى .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن بكر قال : حدثني أبو بكر بن سعيد بن هرون الطبيب وكان أبوه سيرافياً وجيهاً في بلده فلسفياً موسراً قال : خاصم أبي رجل من أهل البصرة فقال له الرجل : تكلمني وأنت قطعة سيرافي ؟ فقال له سعيد : أنا نِجَارٌ في بلدي وأنت عارٌ في بلدك.

حدثني أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الأصفهاني قال : حضرت الصيمري في وزارته لمعز الدولة وقد احضر رجلاً مصادراً وقد قرر أمره على مال فقال له : اعطني كفيلاً واخرج فصحح المال فقال : لا كفيل لي أوثق من إحسانك إليَّ أيها الأستاذ . فرق له وخفف

وقوته كما انحطت هذه على هـذه وابن سبعين قد اضطجع كما اضطجعت هذه على هذه وابن ثمانين (وعقدها) قد احتاج إلى ما يتوكأ عليـه كما توكأت هذه على هذه وابن تسعين قد ضاق عمره وأمعاؤه كما ضاقت هذه وابن مائة قد انتقل عن الدنيا إلى الأخرى كما انتقل العقد عن اليمين إلى الشمال .

وحدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار قال : حدثني شيخ من أهل التيز ومكران لقيته بعمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته بأمر البحر . وحدثني القاضي قال : حدثني هذا الشيخ أن رجلا بالهند من أهلها حدثه أن خارجيا خرج في بعض السنين على ملك من ملوكهم فأحسن التدبير وكان الملك معجبا برأيه مستبداً به فأنفذ إليـه جيشاً فـكسره الخـارجي فزحف إليه بنفسه فقال له وزراؤه : لا تفعل فان الخوارج تضعف بتكرير الجيوش عليها والملك لا يجب أن يغزو بنفسـه بل يطاول الخارجي فانه لا مادة له يقاوم جيشاً بعد جيش إذا توالت عليه جيوش الملك . فلم يقبل وخرج بنفسه فواقعه فقتله الخارجي وملك داره ومملـكته فأحسن السيرة وسلك سبيل الملوك . فلما طال أمره وعز ذكره وقوى سلطانه جمع حكماء الهند من سائر أعماله وأطراف بلدانه وكتب إلى عمـاله أن يختار أهل كل بلد مائة منهـم من عقلائهم وحكمائهم فينفذونهم إليـه ففعلوا فلما حصلوا ببابه أمرهم باختيار عشرة منهم فاختاروا فأوصل العشرة وأوصل من أهل دار المملكة عشرة وقال لهم : يحق على العاقل أن يتطلب عيوب نفسه فيزيلها فهل ترون فيّ عيباً أو في سلطاني نقصاً ؟ فقالوا : إلا شيئاً واحـداً

فأعطته مخدة .

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبيني الكاتب المعروف بالببغا قصيدة له إلى سيف الدولة يذكر وقعة كانت له مع بني كلاب وعفوه عنهم :

إذا استلّك الجانون أغمدك الحلم　　　وإن كفّك الإبقاء أنهضك العزم

حقيقة بأن تورد كلها ولكني اخترت من شعره ما يصلح للمكاتبة في الحوادث أو الأمثال أو معنى لم يسبق إليه فتركت محاسن شعره وحسن نظمه وبلاغته وعذوبة كلامه وأكثر إحسانه موكولا إلى من ينظر في ديوانه ومن هذه القصيدة مَثَلٌ :

ومن لم يؤدبه لفرط عتوه　　　إذا ما جنى الإنصاف أدبه الظلم

إذا العرب لم تجز اصطناع ملوكها　　　بشكر تعاوت في سياستها العجم

أعدها إلى عادات عفوك محسنا　　　كما عودتها قَبْلُ آباؤك الشم

فان ضاق عنها العذر عندك في الذي　　　جنته لما ضاق التفضل والحلم

حدثني القاضي أبو بكر أحمد بن سيار قال : ضربوا مثالا للانسان فقالوا ابن عشر سنين قد دار في أهله كما دارت هذه على هذه وأومأ إلى إبهامه وسبابته وعقد عشرا وابن عشرين قد انتصب بين أمري الكسب والعيال كما انتصبت هذه بين هاتين وعقد بأصابعه عشرين وابن ثلاثين قد استوى كما استوت هذه على هذه وعقد ثلاثين بأصابعه وابن أربعين قد قام كما قامت هذه وعقد بأصابعه وابن خمسين قد انحنى كما انحنت هذه وعقد خمسين بأصابعه وابن ستين (وعقدها بأصابعه) قد انحط في عمره

حدثنى الفضل بن أحمد الحيانى قال : قال لى الشافعى صاحب على ابن عيسى : علق مرة بلجام مركوبى غلام هراس بيده غضارة هريسة ينادى عليها وشالها إلى أنفى وقال : جمع اللوز والغنم ثم نادى يمينه . فقلت : أعزك الله هذا وجهى الى الوزير أخبره بهذا الخبر فان رأيت أن تطلقنى فعلت .

حدثنى أبو أحمد الحارثى قال كان عندنا بواسط رجل متخلف موسر يقال له أبو محمد بن أبى أيوب وكان يعاشرنا بمغنية يهواها وكان من غنائها صوت أوله :

إن الخليط أجدَّ منتقلُهْ ولو شك بين حُمِّلت إبلُهْ

وكانت تغنى فيه لحناً صعباً حسناً لا يفهمه أبو محمد لتخلفه فاقترحه يوماً عليها فقال : بالله ياستى غنى لى « إنى خريت جئت أنتقله » فقالت : ويل لى أنى أغنى شيئاً من ذا ؟ ففطنت لما يريد فقلت لها : إنه يريد أن تغنى له « إن الخليط أجد منتقله » فقالت له : قطع ظهرك أين ذا من ذا ؟ وغنت الصوت . قال : ومن غنائها : « خليلى هبا نصطبح بسواد »

فقال لها يوماً بالله ياستى غنى : « خليلى هبا نصطبح بسماد »

فقالت له : إذا عزمت على هذا فوحدك . قال : ودخلت إلينا يوماً على غفلة ونحن نصفعه ويصافعنا بالمخادّ فاستحي وسألنا أن ندعه فتركناه وجلسنا على الشرب فطلب منها صوتاً له عليها (١) وهو :

أبينى سلاحى لا أبا لك إننى أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا

---

(١) هكذا فى الاصل

حدثني أبو حامد القاضي قال : كنت قائماً بين يدى معز الدولة فقال لابى جعفر الصيمرى وزيره بالفارسية : يا أبا جعفر أريد الساعة خمسمائة ألف دينار لمهم لا يجوز تأخيره . فقال له الصيمرى : أيها الأمير زد ذلك فأنى أيضاً أريد مثله. فقال له : فاذا كنت وزيرى فممن أريد هذا إلاّ منك ؟ فقال له الصيمرى : فاذا لم يكن فى الدخل فضل لذلك عن الخرج فمن أين أجيئك به ؟ قال : فرد عليه معز الدولة وقال : الساعة والله أحبسك فى الكنيف حتى تجئ بذلك . فقال إذا حبستنى فى الكنيف خريت لك نقرة بهذا المال ؟ فضحك منه وأمسك عنه .

حدثني أحمد بن محمد المدائنى قال : وقفت فى جامع المدينة ببغداد على حلقة صوفية يتحاورون على الخطرات والوساوس ومسائل تشبه الوسواس لم أفهمها وخطر لى أن أمجن بهم فقلت له أيها الشيخ المصدر مسألة . فقال : هات . فقلت : أخبرنى إذا كنت شيخاً فى معناك جلسا فى ذات نفسك فأصاب يافوخك تقطيع يعرقب خرزى (١) على سبيل العلم وكنت تحت الارادة هل يضر أوصافك شئ مع تعلقك بحبل القدرة يابطال ؟ قال: فوقع لمن حوله أنها مسألة وأخذوا يتعاطون الجواب وفطن الشيخ فخفت أن يأمرهم بى فانسللت .

حضرنى أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثى وعندى صوفى يترنم بشئ من الرباعيات فلم يستطبه أبو أحمد فقال له على البديهة : يا أخى لا أقطع حديثك إلا بخير .

---

(١) لعله خرزك

هذا رجلا من أهل نيسابور أقام ببغداد قطعة من أيام المقتدر وبعدها إلى أيام الراضى وكان من أصحابنا فى المذهبين يعنى فى الفقه مذهب أبى حنيفة وفى الكلام مذهب أهل العدل والتوحيد (١) وكان مشهوراً بالطيب والخلاعة وخفة الروح وحسن المحاضرة مع عفة وستر وتقلد الحكم فى عدة نواح بالشام فقيل له يوماً بحضرة سيف الدولة : لم لقبت بالبنص ؟ قال ما هذا لقب إنما هو إشتقاق من كنيتى كما أننا لو أردنا أن نشتق من أبى على مثل هذا (وأومأ إلى إبن البازيار) لقلنا البِعل ولو اشتققنا من أبى الحسن مثل هذا (وأومأ إلى سيف الدولة) لقلنا البِحسن فضحك منه ولم ينكر عليه . وخبرنى أبو جعفر قال : حضرت ببغداد مجلس أبى بكر بن دريد وأبو نصر هذا يقرأ عليه قصيدته التى أولها (٢)

إلى أن بلغ إلى قوله :

أماطت لثاماً عن أقاصى الدمائث ... بمثل أساريع الحقوف العثاعث

إذا أنسوا ضبّا بجانب كدية ... أحاطوا على حافاتها بالربائث

فقطع القراءة وقال يا أبا بكر أعزك الله ما الربائث ؟ قال ابن دريد العرب تسمى الحراب العراض الحدائد ربائث . فقال له البنص أخطأت يا أبا بكر أعزك الله فعجبنا من جرأته على تخطئة أبى بكر فى العلم وتشوفنا إلى ما يجرى فقال له أبو بكر (وكان وطئ الخلق) فما هى يا أبا نصر أعزك الله ؟ قال جمع ربيثا هذه فى السكرجات وعاد يقرانا فى القصيد محتداً فضحكنا منه .

(١) هم المعتزلة فى رأيهم (٢) بياض فى الاصل

قلت لابن فعال[١] أما تستحى ... يقرن تطفيلك بالياس
يا أخرج الناس من إيقاعه ... وأدخل الناس إلى الناس

***

يا من يصيح بحلق ما له طبقه ... ولا يوافق زيراً لاَنَ أو خرقه
قارنت[٢] بينك والإيقاع فى قَرَن ... فأنت أطفل من كلب على مرقه
فان دعيت ففى الأحيان عن غلط ... وإن حظيت بشىء فهو من صدقه

أنشدنى أبو نصر بشر بن هرون الكاتب النصرانى البغدادى لنفسه في أبى رفاعة بن كامل أحد خلفاء القضاة ببغداد على بعض سوادها :

قضى شعرى على القاضى بحكم ... أجاب إليه مصفوعا مذالا
ولو لم يستجب لنتفت منه ... سبالا إن وجدت له سبالا
ونتف سباله شىء محال ... لأن الخلق صيره محالا

وأنشدنى لنفسه فى شعبان سنة تسع وخمسين وثلثمائة فى رئيسين صرف أحدهما بالآخر :

مضى من كان يعطينا قليلا ... ووافى من يشح على القليل
وأحسب أن سيملكنا مكد ... متى اطّرد القياس على الدليل
فقل للفاطمى لقد تمادت ... أناتك فى الحلول وفي الرحيل
فحث السير علّ الله يهدى ... شفاء منك للبلد العليل

أخبرنى أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش أنه كان بحضرة سيف الدولة وقد كان من ندمائه قال : كان يحضر معنا أبو نصر البنص وكان

(١) لعله لطرفان (٢) فى الاصل : فارقت

فاذا هو أُبنه) وكنت إليها مائلاً وكانت لى مملوكة ولقلبى مالكة فأما الآن فلا عهد لى بمثله منذ سنين ولا عملت شعراً منذ دهر طويل وأنا أستغفر الله مما مضى . قال فوجم الفتى وخجل حتى ارفضّ عرقا . وعدت إلى القاسم فأخبرته فضحك من خجل الابن وقال : لو سلم من العشق أحد لكان أبو حازم مع بغضه وكنا نتعاود ذلك زماناً .

أنشدنى أبو إسحق إبراهيم بن على النصيبينى المتكلم وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر ببغا وغيرهما قالوا : أنشدنا أبو عبد الله بن الأبيض العاوى بالشام لنفسه :

وأنا ابن معتلج البطاح يضمنى ... كالدر فى أصداف بحر زاخر
ينشق عنى ركنها وحطيمها ... كالجفن يفتح عن سواد الناظر
كجبالها شرفى ومثل سهولها ... خُلقى ومثل ظبائهن مجاورى

أنشدنى أبو جعفر طلحة بن عبيد الله الطائى البغدادى المعروف بابن قناش الجوهرى لنفسه :

أنا ظام فاسقنيها ... إننى حلف اختيال
ماترى دجلة كالسا ... حب أذيال الدلال
وهى تزهى بقصور ... عن يمين وشمال
وبماء قد حكى المـ ... ـدّ به ظهر غزال

أنشدنى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد في طرفان المغنى الطنبورى لنفسه وله اتساع فى الادب تام :

بِصِنّى وبيروذ فحبسهم فى حبوس ضيقة هناك ودور تجرى مجرى القلاع . فكانوا فيها إلى أن مات أبو محمد ومات منهم خلق فى الحبس ثم أطلق بقيتهم على قلتها بعد موته بسنين وزالت الفتنة إلى الآن .

حدثنى أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى كاتب القضاة من بنى عبد الواحد بالبصرة وله شعر جيد حسن واتساع تام بالادب ورواية له وحفظ وكتب مصنفة فيه قال : [١] حدثنى أبو إسحق الزجاج قال : كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله وهو وزير فغنت جاريته بدعة :

أدل فأكرم به من مدل ... ومن ظالم لدمى مستحل

إذا ما تعزز قابلته ... بذل وذلك جهد المقل

فأدت فيه صنعة حسنة فطرب القاسم عليه طرباً شديداً واستحسن الصنعة والشعر وأفرط فى وصف الشعر فقالت بدعة : يا مولاى إن لهذا الشعر خبراً أحسن منه . قال : ما هو ؟ قالت : هو لأبى حازم القاضى . قال فعجبنا من ذلك مع شدة تقشف أبى حازم وبغضه [٢] وورعه وتقبضه فقال لى الوزير : بالله يا أبا إسحق بكر إلى أبى حازم واسأله عن هذا الشعر وسببه . فباكرته وجلست حتى خلا وجهه ولم يبق إلا رجل بزى القضاة عليه قلنسوة فقلت له : شيئاً [٣] أقوله على خلوة . فقال : قل فليس هذا [٤] ممن أكتم . فقصصت عليه الخبر وسألته عن الشعر والسبب فتبسم وقال : هذا شئ كان فى الحداثة قلته فى والدة هـذا (وأومأ إلى القاضى الجالس

(١) نقل ياقوت هذه الحكايه فى معجم الادباء ٣: ٥٤ (٢) كذا فى الاصل

(٣) عند ياقوت بيننا شئ (٤) لعل الاصوب : هنا

قبض فى جملتهم على عدة قضاة وشهود هاشميين وصلحاء وكان ممن قبض عليه محمد بن الحسن بن عبد العزيز وجلس لهم الوزير أبو محمد يوماً ليناظرهم وسألهم أن يسموا له العيارين منهم والأحداث وحملة السكاكين ليقبض عليهم ويفرج عن الناس وأن يكفل منهم أهلُ الصلاح أهلَ الطلاح ويأخذون على أيديهم لتطفأ نار الفتنة. وكان القاضى أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمى حاضراً فأخذ يتكلم بكلام سديد فى دفع هذا وترقيق المهلبى ويرفق به فاعترض ابن عبد العزيز الخطاب وتكلم بكلام فيه جراشة وجفاء وخشونة فسمعت أبا محمد يقول له: يا ماصّ كذا وكذا ما تدع جهلك والخيوط التى فى رأسك كأنى لا أعرفك قديماً وحديثاً وأعرف حمقك وحمق أبيك وتشنيعك(١) بمجالس الوزراء وشهوتك أن تقول «قال الوزير. فقلت له» وما تظن أن المقتدر على السرير وأنا أحد وزرائه ولا تعلم أن صاحب السرير اليوم هو الامير معز الدولة الديلمى يرى أن سفك دمك قربة إلى الله تعالى وأن وزنك عنده كوزن الكلب. ياغلمان برجله. فجرت رجله ونحن حاضرون. فرأيت قلنسوة كانت على رأسه وقد سقطت ثم قال: طبقوا عليه زورقا وانفوه إلى عمان. فأجلس فى الزورق وحدر فقبلت الجماعة يده وراسله الخليفة المطيع لله فى أمره ولم تزل المراسلات إلى أن عفا عنه وألزمه بيته وأخذ خط أهله بجميع ما كانوا امتنعوا منه مما سامهم إياه وتلقط خلقا من أحداث الهاشميين وغيرهم من العامة وأهل الدعارة والعصبية. فجعلهم فى زواريق وطبقها عليهم وسمرها وانفذها الى

(١) فى الاصل: تشنعك

للناس وكنت أعرضها على أبي الحسن فيوقع فيها فعرضت عليه. يوماً شيئاً كثيراً فضجر عليّ فقلت : أيها الوزير إذا كان حظنا من اعدائك فى أيام نكبتك الصفع ومنك فى أيام ولايتك المنع فمتى ليت شعرى وقت النفع ؟ قال : فضحك ووقع لى فى جميعها وما (كان) يضجر بشيء أعرضه عليه بعد ذلك.

حدثنى [1] أبو السرى عمر بن محمد القارئ قال : حدثنى أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى قال : قال لى أبى : عرض عليّ أبو بكر محمد بن الحسن ابن عبد العزيز الهاشمى فى بعض وزاراتى رقعة التمس فيها محالاً وقبل يدى فعملت على إجابته إليه وتركت الرقعة بحضرتى أتفكر كيف اعمل ذلك من غير عتب . وعرض لى رأى فى الركوب فنهضت فقبض محمد بن الحسن ابن على يدى وقال : أنا نفى من العباس إن تركت الوزير [2] أو يوقع لى فى رقعتى أو يقبل يدى كما قبلت يده . قال : فوقعت له قائماً وعجبت من سوء أدبه وعظم وقاحته . ولقد شاهدت أبا بكر محمد بن الحسن هذا فى سنة خمسين وثلثمائه (وقد تقلبت الأيام به وبأهل بيته) بحضرة أبى محمد [3] المهلبي وقد كان العيارون ثاروا ببغداد وأوقعوا فتناً عظيمةً كان أصلها بنو هاشم وغلقوا الجامع بالمدينة فلم يصلّ تلك الجمعة. وكان سبب ذلك عربدة وقعت بين رجل عباسيّ وبين رجل علويّ على نبيذ في خندق طاهر فقتل العلوى وثار أهله به وثارت الفتنة ودخلت العامة فيها وعظم الأمر حتى أجلس الديلم فى الأرباع وكان شيئاً هائلاً ولم تسكن الفتنة. فقبض أبو محمد على أكثر بنى العباس الوجوه والمستورين والعيارين منهم والدعار حتى

(١) وزراء ص ٣٣١ (٢) عند هلال يركب الا بعد ان يوقع (٣) فى الاصل : على

ما وقع فيه قبل الكلام نحو ثمانين رقعة .

حدثنى الحسين بن الحسن الواثق قال . كنت أرى دائماً أبا محمد جعفر بن ورقاء يعرض على أبى على بن مقلة فى وزارته الرقاع الكثيرة فى حوائج الناس فى مجالس حفلته وخلوته فربما تجاوز ما يعرضه فى يوم مائة رقعة . فعرض عليه يوماً فى مجلس خال شيئاً كثيراً فضجر ابو على فقال له: إلى كم يا أبا محمد ؟ فغضب جعفر وقال : أيد الله الوزير إن كان لى فيها شئ نخرقه إنما أنت الدنيا ونحن طرق إليك وعلى بابك الارملة والضعيف وابن السبيل والفقير ومن لا يصل إليك فاذا سألوا سألناك فان صعب هذا عليك أمرنا الوزير أيده الله أن لا نعرض شيئاً عليه ونعرّف الناس ثقل حوائجهم عليه وضعف جاهنا عنده ليعذرونا . فقال له أبو على . لم أذهب حيث ذهبت يا أبا محمد وإنما أردت أن تكون هذه الرقاع الكثيرة فى مجلسين أو مجلس حفل فيه الكتاب يوقعون عنى بالتوقيعات فيها ولو كانت حوائج تخصك لقضيتها وكان سرورى بذلك أعظم هاتها . قال فأخذ جميعها ووقع له فيها بما التمس أرباب الرقاع فشكره جعفر وقبل يده وانصرف .

حدثنى الفضل بن أحمد الحيانى قال . قال لى أبو بكر الشافعى صاحب على بن عيسى . لما أفلتنا من مصادرة المحسن بن الفرات بعد ما جرى علىّ من مكروهه ومصادرته وايقاعه بى بسبب صحبتى لعلى بن عيسى وأفضى الامر إلى أبى الحسن على بن عيسى أردت الانتفاع بأموراً أتكلم فيها وأخلف بما آخذه منها بعض ما صودرت عليه . فأخذت رقاعاً كثيرة

واكتب إلى النواحي بتقبيضهم إياها . قال : ففعل ذلك فقمت عن المجلس وقد وصل إليّ مائة ألف دينار فى بعض يوم وما عملت شيئاً . ثم قال : اجعل هذه أصلاً لنعمتك ومعدة للنكبة ولا يسألنك أحد من الخلق إلا أخذت رقعته ووافقته على أجرة لك عليها وخاطبني . قال فكنت أعرض عليه فى كل يوم ما يصل إليّ فيه ألوف دنانير وأتوسط الأمور الكبار وأداخل فى المكاسب الجليلة حتى بلغت النعمة إلى هذا الحد وكنت ربما عرضت عليه رقعة فيقول لى : كم ضمن لك على هذه ؟ فأقول كذا وكذا. فيقول : هذا غلط هذا يساوى كذا وكذا . ارجع فاستزد . فأقول له : إنى أستحي . فيقول : عرفهم أنى لا اقضى لك ذلك إلا بهذا القدر وأنى رسمت لك هذا . قال : فأرجع فأستزيد ما يقوله فأُزاد .

حدثنى أبى رضى الله عنه قال : سمعت القاضى أبا عمر يقول : عرض اسمعيل القاضى وأنا معه على عبيد الله بن سليمان رقاعاً فى حوائج الناس فوقع فيها فعرض أخرى وخشى أن يكون قد ثقل عليه فقال له : إن جاز أن يتطول الوزير أعزه الله بهذا . فوقع له . فعرض أخرى وقال : إن امكن الوزير أن يجيب إلى هذا . فوقع له . فعرض أخرى وقال : إن سهل على الوزير أن يفعل ذلك . فوقع له . فعرض أخرى وقال شيئاً من هذا الجنس فقال له عبيد الله : يا أبا إسحق كم تقول إن أمكن وإن جاز وإن سهل ؟ من قال لك إنه بجلس هذا المجلس ثم يتعذر عليه فعل شئ على وجه الارض من الامور فقد كذبك هات رقاعك كلها فى موضع واحد . قال : فأخرجها اسمعيل من كمه وطرحها بحضرته فوقع فيها وكانت مع

قياماً تاماً وعانقني وقال لي في أذني : هذا وقت تنتفع فيه بقيامي لك. وجلس وأجلسني معه على طرف الدست فقبلت يده وهنأته ودعوت له ومضت ساعة فاذا قد استدعاه المعتضد فقام وأمرني ألا أبرح فجلست وامتدت العيون إليّ وخوطبت في الوقت بأجل خطاب وعُظِّمت. ثم عاد عبيد الله ضاحكا وأخذ بيدي إلى دار الخلوة فقال : ويحك إن الخليفة استدعاني بسببك وذلك أنه كوتب بخبر قيامي لك في مجلس الوزارة فانما استدعاني الآن بذا لينكر عليّ وقال : تبتذل مجلس الوزارة بالقيام لتاجر ولو كان هذا لصاحب طرف كان محظوراً أو ولي عهد كان كثيراً وأخذ يتجاوز ذلك فقلت : ياأمير المؤمنين لم يذهب عني حق المجلس وتوفية الرتبة حقها ولكن لي عذراً فان رأى أمير المؤمنين أن يسمعه ثم ينفذ حكمه فيّ . وأخبرته بخبري معك وقت استتاري عندك فقال : أما الآن فقد عذرتك ولا تعاود فانصرفت. ثم قال لي عبيد الله : يا أبا عبد الله إني قد شهرتك شهرة إن لم تكن معك مائة ألف دينار معدة للنكبة هلكت . فيجب أن نحصلها لك لهذا الحال فقط ثم نحصل لك نعمة بعدها تسعك وعقبك . فقلت : أنا عبد الوزير وخادمه ومؤمله . فقال : هاتم فلاناً الكاتب . فجاء فقال : احضر التجار الساعة ونقص عليهم في تسعير مائة ألف كرّ من غلات السلطان بالسواد عما يساوى وعرفني . فخرج وعاد بعد ساعة وقال : قد قررت ذلك معهم . فقال له : بع على أبي عبد الله هذه المائة ألف كر بنقصان دينار واحد مما قررت به السعر مع التجار وبعه له عليهم بالسعر المقرر عليه وطالبهم أن يجعلوا له فضل ما بين السعرين اليوم وأخرهم بالثمن إلى أن يتسلموا الغلات

يستدعى منى الرقاع على الرسم . فقلت : ما أخذت رقعة من أحد لان النذر قد وقع الوفاء به ولم أر كيف أقع من الوزير . فقال : سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادةً وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاه وغدوّ ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى أو تغير رتبتك ؛ اعرض عليّ على رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات .

حدثنى أبو الحسن بن عياش قال . حدثنى شيخ من شيوخنا ذكره هو وقد ذهب(١) عنى اسم القاصّ(٢) قال : حدثنى أبو عبد الله بن أبى عوف قال : استتر عندى عبيد الله بن سليمان فدخلت إليه يوما إلى حجرة كنت افردتها له من دارى فقام إليّ فقلت له ممازحاً كما جرى على لسانى ياسيدى اخبأ لى هذا إلى وقت أنتفع به فيه . قال : فلما كان بعد مدة انتقل من عندى فما مضت الا أيام(٣) حتى ولى الوزارة فقال لى أهلى : لو قصدته. وكانت حالى إذ ذاك صغيرة فقلت لهم : لا أفعل أنا فى ستر وقصدى له الآن كأنه اقتضاء لثمن معروف أسديته إليه وما أرضى لنفسى بهذا ولو كان لى عنده خير لابتدأنى . فبتّ ليلتى تلك مفكراً وكان هذا يوم الخلع فلما كان فى السحر جاءنى فرانقه برقعة بخطه يعاتبنى على تأخرى عنه ويستدعينى فصرت إليه فأذا هو جالس والخلق عنده فلما صرت مع دسته قام إليّ

(١) فى الاصل : ذهل (وهو تحريف من الناسخ) (٢) فى الاصل : القاضى (وهو تحريف من الناسخ) (٣) فى الاصل : مضت الايام

وزارته قال لى : يا أبا إسحق لم أرك أذكرتنى بالنذر . فقلت : عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق . فقال لى : إنه المعتضد ولولاه ما تعاظمنى دفع ذلك إليك فى مكان واحد ولكنى أخاف أن يصير لى معه حديثاً فاسمح لى بأخذه متفرقاً . فقلت : ياسيدى افعل . فقال اجلس للناس وخذ رقاعهم للحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمنع[1] من مسألتى شيئاً تخاطب فيه صحيحا كان أو محالا إلى أن يحصل لك مال النذر . قال : ففعلت ذلك وكنت اعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها لى وربما قال : كم ضمن لك على هذا ؟ فأقول كذا وكذا . فيقول : غبنت هذا يساوى كذا وكذا ارجع فاستزد . فأراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدونى حتى أبلغ الحد الذى رسمه . قال : وعرضت عليه شيئاً عظيما فحصلت عندى عشرون ألف دينار فى مديدة فقال لى بعد شهور : يا أبا إسحق حصل مال النذر ؟ فقلت لا . فسكت وكنت أعرض فيسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال ؟ فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف ذلك المال وسألنى يوماً فاستحييت من الكذب المتصل فقلت : قد حصل ذلك ببركة الوزير . فقال فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك . قال : ثم أخذ الدواة فوقع لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من غد جئته وجلست على رسمى فأومأ إلىّ أن : هات ما معك .

(١) لعله تمتنع كما هو عند الصفدى

عليك لغريبٍ أو حق[1] واجب . وأنكر ذلك وأخذ أبو عبد الله يجحد ويقطب فى وجه أبى على ثم أخرج سره فقال المهلبي لأبى على يجب الساعة أن تتقدم إلى الجهبذ أن يكتب له أيده الله روزاً بها وأن تجعل أنت لها وجوهاً فى الخرج وتولد بها نفقات واجبات (كما تعلم) على الامير معز الدولة ليسقط عن أبى عبد الله أيده الله ولا نغرمها نحن . قال فاستدعى الجهبذ وأخذ روزه وسلمه إليه ثم قال له المهلبي : أى شىء ضرك أو ضرنى من هذا ؟ سقط عنك هم وثقل، وعنى بقضائى بعض الحق وخرج المال من مال الأمير عد الآن إلى شربنا . فما برح ليلته تلك من عنده وسقط المال عنه . وقد أخبرنى جماعة من ندماء أبي محمد أنه فرق فى ليلة من الليالى عليهم وعلى جماعة كانوا حضورا معهم من مغنيين وملهيين وغير ذلك من الدراهم والثياب ما يبلغ قيمة الجميع خمسة آلاف دينار . ورأيته أنا غير مرة قد وهب للجهنى وأبى الفرج الأصفهانى خمسة آلاف دينار[2] ولغيرهما دائما[3] .

حدثنى أبو الحسن بن عياش قال[4] : حدثنى أبو إسحق إبراهيم بن السرى الزجاج قال : كنت أؤدب القاسم بن عبيد الله فأقول له إن بلغك الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بى ؟ فيقول ما أحببت ؟ فأقول له تعطينى عشرين ألف دينار (وكانت غاية أمنيتى) . فيقول نعم . فما مضت إلاّ سنون حتى ولى القاسم الوزارة وأنا على ملازمتى له وقد صرت نديمه فدعتنى نفسى إلى إذكاره بالوعد ثم هبته فلما كان فى اليوم الثالث من

(١) فى الاصل : بحق (٢) فى الحاشية « درهم » (٣) كذا بالاصل

(٤) نقل ياقوت هذه الحكاية فى معجم الادباء ١ : ٤٨

الكرم وبه يتحقق ما يروى عن الاسلاف من الاجواد والماضين من الكرماء الأفراد وغير ذلك مما حضر فى الحال . ثم نهض أبو محمد رحمه الله فارتفعت الضجة من النساء والرجال وأهل الدار والشارع بالدعاء له والشكر .

حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدى الموصلى أن أبا عبد الله والده رحمه الله توسط بين أبى محمد المهلبى وناصر الدولة فى مال يحمله إلى معز الدولة من صلح الموصل . فأنفق من المال أربعين ألف درهم لأضاقة لحقته وسبب عليه المهلبى بالمال كاملاً وهو لا يعرف الخبر وكانت بينهما مودة وأنس . فصحح أبو عبد الله الموجود ودافع بما أنفقه وجلس يوماً فى داره ليحتال العوض ويرده . فجاءته رقعة أبى محمد يدعوه للشرب فدافع فعاوده فركب فأكلا وجلسا للشراب فقال له أبو على الأنبارى : أرى فيك يا سيدى أبا عبد الله فتورا . وكانت بينهما مودة وعنده ابنته فحدثه أبو عبد الله بالحديث وأن قلبه مشغول إلى أن يتم له العوض ويرده ويسأله كتمان ذلك . وتبين المهلبي في أبى عبد الله ذلك الفتور فسأله عنه فورّى عن الصدق وكبرت نفسه عن إخباره بذلك . فأمسك عنه وقام أبو عبد الله إلى البول فقال أبو محمد لأبى على الانبارى : ما ترى فتور أبى عبد الله وهو صديقك وقد رأيته يسارك وأظنه قد خرج إليك بسبب كسله فما هو ؟ فحدثه أبو على بالحديث فلما عاد قال له أبو محمد : يا أبا عبد الله أيدك الله ما أنصفتنى فى المودة ولا أنصفت نفسك فى السياسة تهتم بسبب أربعين ألف درهم أملك إسقاطها عنك فتكاتمنى بذلك حتى كأنها

ثابت خليفته على الوزارة : اكتب عهداً لأبى عبد الله واستدع كل من كان ابو الحسن رحمه الله مستأجراً منه شيئاً فخاطبه فى تجديد الاجارة للورثة فان اكثر نعمه إما[1] كانت دخالات واجارات ومزارعات قد انحلت الآن بموته ومن امتنع فزده من مالى واسأله ولا تقنع إلا بتجديد العقد كيف جرت الحال . ثم قال لأبى المكارم بن ورقاء وكان سلف الميت : إن ذيل ابى الحسن طويل وقد كنت اعلم انه يجرى على اخواته واولادهن واقاربه شيئاً كثيراً فى كل شهر وهؤلاء الآن يهلكون بموته ولا حصة لهم فى ارثه فقم الى ابنة ابى محمد المادرائى يعنى زوجة المتوفى فعزها عنى واكتب منها بجريدة بأسماء جميع النساء اللواتى كان ابو الحسن يجرى عليهن وغيرهن من الرجال وضعفاء حاشيته . وقال لأبى العلاء : اذا جاءك بالجريدة فأطلقها عاجلا الشهر وتقدم باطلاقها على الادرار . فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسراً فى الشهر وعملت فى المجلس وأطلق مثلها وامتثل جميع مارسم به ابو محمد فلم يبق احد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك . ولقد رايت ابا عبد الله محمد بن الحسن الداعى العلوى رحمه الله ذلك اليوم وكان حاضراً المجلس وقد اجهش بالبكاء واسرف فى شكر ابى محمد وتقريظه على قلة كلامه إلا فيما يعنيه وعلى سوء رايه كان فى ابى محمد ولكن الفضل الحسن بهره فلم يمنعه ما بينهما ان نطق بالحق . وقلت انا لابى محمد ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب فى وقت من الأوقات لطاب لكل ذى ذيل طويل فى ايام سيدنا الوزير فان هذا الفعل تاريخ

(١) لعله « انما »

فلما اراد الرجوع من داره الى مسماران وكان ابو محمد المهلبي رحمه الله قد نزلها استقبح الاجتياز بالجامع مع انه شارب فعدل فى الازقة الى سيحان [١] ليركب منها طياره فلما بلغ حيث تعمل الكيزان تحقنه بوله فدخل دار قوم ضعفاء فبال فدعا له صاحب الدار فقال له: هذه الدار لك؟ قال : لا هى باجرة معى . قال كم اجرتها ؟ قال : خمسة فى الشهر. قال : وكم تساوى ؟ قال : خمسمائة درهم . قال : وكم راس مالك فى عمل الكيزان ؟ قال مائة درهم . فدفع اليه فى الحال الف درهم وقال : اشتر منها الدار وزد الباقى فى راس مالك . وركب وكان رحمه الله من بقايا الكرام . ولقد شاهدت له مجلساً فى شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلثمائة كأنه من مجالس البرامكة ما شهدت مثله قط قبله ولا بعده وذلك ان كاتبه على ديوان السواد ابا الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان سقط من روشن فى دار ابى محمد على دجلة فمات فى اليوم الثامن من السقطة فجزع عليه ابو محمد وجاء من غد الى اولاده لانهم كانوا دفنوه عشيا وكنت معه فعزاهم بأعذب لسان واحسن بيان ووعدهم الاحسان وقال : انا ابوكم وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه . قال لابنه الأكبر ابى عبد الله : قد وليتك موضع ابيك ورددت اليك عمله ووليت اخاك ابا الحسين (وكان هذا صبياً سنه عشر سنين او نحوها) واجريت عليه كذا وكذا (رزقاً كبيراً وقد ذهب عنى) فليلزمه [٢] فان سنيهما متقاربة ليتعلم بتعلمه وينشؤ بنشوه فيجب حقه عليه ثم قال لأبى العلاء صاعد بن

(١) إسم نهر بالبصرة (٢) الجملة مضطربة

حدثنى ابى رضى الله عنه قال: بلغنى ان ابا الحسن بن الفرات اجتاز وهو متوسط الحال فى بعض الدروب الضيقة را كباً وبين يديه غلامان فسال عليه ميزاب من دار فصيره آية و نكالا فقال لأحد غلمانه : اطلب لى موضعا ادخله . فدق على قوم بابهم وكان صاحب الدار خياطاً فلما راى شارة ابى الحسن وهيئته اعظمه وملقه وادخله واجلسه واخذ ثيابه فدفعها الى زوجته لتغسلها وجلس يحادثه وبادر الغلام الآخر الى دار ابى الحسن فجاءه بخلعة ثياب قبل ان تفرغ من غسل ذلك القماش فلبسها وامر بترك تلك الثياب على القوم وانصرف وضرب الدهر ضربه وولى الوزارة الأولة فاجتاز يوماً راكباً فى موكب عظيم فقام الناس ينظرونه وقام الخياط فلما رآه عرفه فقال لأهل سوقه ان لى مع هذا الرجل قصة ظريفة واخبرهم بها فقالوا له : إنه كريم ولو قصدته لانتفعت . فلما كان من غد قصده الخياط فصادف مصيره الى بابه ركوب ابن الفرات فدعا له وقال : لى بالوزير حرمة. فتأمله ابن الفرات فعرفه وذكر قصته فأمر باجلاسه فلما عاد استحضره وسأله عن خبره وخبر زوجته واولاده فأخبره فقال له : ايما احب اليك الجائزة او الخدمة لنا ؟ فقال بل خدمة الوزير . فأمر له بألف دينار وان يجعل رئيساً على الخياطين فى داره ففعل بهذلك فما مضت عليه مديدة حتى صار صاحب عشرات الوف . وقد شاهدت انا قريباً من هذا من الوزير ابى محمد الحسن بن محمد المهلبى رحمه الله وذلك ان ابا محمد عبد الرحمن بن نصر السكرى البصرى صاحب البريديين (وتقلد شرطة البصرة دفعات) دعاه في وزارته فجاء اليه الى داره فى شارع المربد

ويحك فى مثل هذا الموضع ومثل هذا الوقت ؟ فقال أريد ازوّر على رجل مرتعش ويدى لا تساعدنى فتعمدت الجلوس ها هنا لتحرك الزورق بالموج فى هذه الريح فيجيء خطى مرتعشاً فيشبه خطه .

حدثنى ابو الحسين قال : حضرت ابا علىّ بن مقلة وقد عرضت عليه وهو وزير عدة تسبيبات وتوقيعات قد زورها عليه اخوه ابو عبد الله وارتفق عليها وكان ابو عبد الله حاضراً فاستقبح ان يفضحه فيها فلما كثرت عليه التفت اليه فقال : يا ابا عبد الله قد خففت عنا حتى ثقلت وخشينا ان نثقل عليك فأحب ان تخفف عن نفسك هذا التعب . قال : فضحك ابو عبد الله وقال : السمع والطاعة للوزير .

حدثنى القاضى ابو الحسن على بن محمد بن احمد بن إسحق بن بهلول التنوخى قال : استتر فى دورنا عند ... ابو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابة وكنت حدثا وكان يستدعينى دائما وتحدث والعب معه الشطرنج فقال لى يوماً وقد جرى حديث (نقصان) دخل المقتدر عن خرجه نظرت فاذا دخل المملكة كذا وكذا وخرجها كذا وكذا وضياع عمي ابى الحسن وما قبض معها من ضياعنا كان فى وقت قبضها كذا وكذا وهو اليوم ثلث ذلك ولو مكنت من ضياعنا وحدها لعمرتها فعاد ارتفاعها الى ما كان عليه فوفر ما بين الارتفاعين يعجز الدنيا كلها وانما املاك كنا شقص يسير من الارض فكيف لو كان للدنيا من يهتم بعمارتها كلها :

قال القاضى ابو الحسن : وما سمعت اعظم من هذا وذلك قبل تقلد ابى الفتح الوزارة وكان ابو الحسن يحفظ مبلغ المال واخبرنى به فذهب عنى .

أعزه الله قد وعد بتصريفك والاحسان اليك فالزمه . قال : وتحدثنا ساعة ونهض أبو عمر وقال سراً : جئني به . فتأخرت وآنسته وحملته اليه فدخلت عليه به وهو جالس ينتظرنا وحده فقال له : ويلك أتزوّر عليّ خطي وأنا حاكم وخطي ينفذ في الاموال والفروج والدماء ما كان يؤمنك ان اعرّف ابا القاسم امرك فيصير نكالا ؟ فبكى الرجل وقال : والله ايها القاضي ما حملني على ذلك إلا عدم القوت وشدة الفقر وإني وثقت بكرمك متى بلغك ذلك إذ كان غير متصل بحكم ولا شهادة وقدرت ايضاً انه يتستر عليك وانتفع انا من حيث لا يضرك . فقال له ابو عمر : بالله إن الفقر حملك على هذا ؟ فقال : إي والله . فبكى ابو عمر وسارّ خادماً له فغاب الخادم قليلا ثم جاء بصرة فيها مائة دينار ومنديل فيه دست ثياب فسلمه الى الرجل فقال له ابو عمر : اتسع بهذا والبس هذا والزم ابا القاسم فاني أؤكد عليه امرك واحلف لي الا تزوّر عليّ خطي ابداً . فحلف الرجل له على ذلك وانصرف . فلما كان بعد شهور جاءنا مساءاً على ابي عمر بمركوب حسن وثياب فاخرة فأخذ يشكر ابا عمر ويدعو له وهو لا يعرفه وقد ذكرته انا فقال ابو عمر : يا هذا على اى شيء تشكر ؟ فقال : انا صاحب الرقعة الى ابي القاسم بن الحوارى الذى وصلني القاضي بماله واحياني بجاهه وقد صرفني ابو القاسم طول هذه المدة فبلغت حالي الى هذا وانا ادعو الله للقاضي ابداً . فقال ابو عمر : الحمد لله على حسن التوفيق .

حدثني ابو الحسين بن عياش القاضي قال : رايت صديقاً لي على بعض زواريق الجسر ببغداد جالساً في يوم ريح شديد وهو يكتب فقلت :

ويقول يابارك الله عليك (وكانت هذه كلمته) مالك ؟ فقال أنا صاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور الذي حققه تفضل الوزير فعل الله به وصنع . قال : فضحك ابن الفرات وقال : فبكم وصلك ؟ قال : وصل إلى من ماله وبتقسيط قسطه إلى وبتصرف صرفني فيه عشرون ألف دينار . قال ابن الفرات الحمد لله ألزمنا فأنا ننفعك بأضعافها . قال : فلزمه وفاتشه فوجده كاتباً فاستخدمه وكسّبه مالاً عظيماً صار ذلك سبباً لحرمة الرجل به

حدثني أبو أحمد بن أبي الورد قال : حدثني أبي وكان خصيصاً بأبي عمر القاضي أن رجلاً زور عنه رقعة إلى أبي القاسم بن الحواري يسأله تصريفه وكانت بينهما مودة وصار الرجل بالرقعة الى أبي القاسم فأخذت منه وحجب فجلس يتوقع الجواب فاتفق أن جاء القاضي أبو عمر وأنا معه ليسلم على ابن الحواري ودخلنا فوجد القاضي الرقعة بحضرته مشبهة بخطه فوجم لذلك وتشوق لمعرفة الخبر وكان فيه من الوقار والزماتة والفضل المشهور الذي ضرب به المثل ما لم يبين لابن الحواري معه ذلك عليه وفطنت أنا لدربتي بأخلاقه وكانت لابن الحواري التفاتة فرأى الرقعة فى يده فقال : أيها القاضي الساعة وصلت وأنا أفعل ما التمسته فى معنى الرجل . فشكره أبو عمر وخاطبه بما أوهمه فيه انها رقعته من غير ان يطلق ذلك وكان افعل الناس لهذا واقدرهم على ان يتكلم دائباً فى الأمور بما يحتمل معنيين ويحتاج الى تفسير المقصد توقياً منه ودهاء . وقال أبو عمر : فليطلب الرجل إن كان حاضراً ويدخل . فطلبوه وأدخلوه وقد امتقع لونه فقال له ابن الحوارى : أنت الموصل لرقعة القاضى أعزه الله ؟ فقال نعم . فقال له أبو عمر : إنه

الترتيب واستراب بالخطاب أيضاً فوصل الرجل بصلة يسيرة وأمر له بجراية وقال تأخذها إلى أن انظر في امرك وانفذ الكتب في خاص كتبه إلى ابن الفرات وشرح له الصورة وكان فيها أن للرجل حرمة وكيدة بالوزير وخدمة قديمة . قال : فوصلت الكتب إلى أبي الحسن ابن الفرات وأصحابه بين يديه فعرفهم الصورة وعجبهم منها وقال : ما الرأى فى أمر الرجل ؟ فقال بعضهم : تقطع يده لتزويره على الوزير . وقال بعضهم : يقطع إبهامه . وقال بعضهم : يضرب ويحبس . وقال بعضهم : يكشف لابى زنبور أمره ويتقدم إليه بطرده ويقتصر على الحرمان مع بعد الشقة. فقال ابن الفرات ما أبعد طباعكم من الجميل وأنفرها من الحرية رجل توسل بنا وتحمل المشقة إلى مصر وأملَ بجاهنا الغنى ولعله كان لا يصل إلينا ولا حرمة له بنا فيأخذ كتبنا نخفف عنا بأن كتب لنفسه ما قدر أن به صلاحه ورحل ملتمساً للرزق وجعلنا سببه يكون أحسن أحواله عند أجملكم محضراً الخيبة! ثم ضرب يده إلى الدواة وقلب الكتاب المزور ووقع عليه بخطه هذا كتابى ولا أعلم لأي سبب انكرته ولا كيف استربته حتى كأنك عارف بجميع من خدمنا فى النكبة وأوقات الاستتار وقديم الأيام قد أحطت علماً بجميعهم فأنكرت أما فلان هذا أعزه الله من يلهم حرمته هي أوكد مما فى هذا الكتاب وسببه عندى أقوى مما تظن فأجزل عطيته وتابع بره ووفر حظه من التصرف فيما يصلح له وافعل به واصنع واصدر الكتاب فى الحال . فلما كان بعد مدة طويلة دخل عليه رجل جميل الهيئة حسن الزى والغلمان فأقبل يدعو له ويبكي ويقبل الأرض بين يديه وابن الفرات لا يعرفه

هذا الفعل فتفوز بثوابه في الآخرة كما تفردت بشرف الوزارة في الدنيا .

حدثنى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن داسة البصرى قال : حدثنى على بن ابراهيم بن حماد القاضى أن بعض مشايخ العرب أخبره عن رجل من المسلمين أسر ثم رجع إلى دار الاسلام . قال : لما حملنا فى بلد الروم مرت بنا شدائد فحصلنا عدة ليال لا ننام من البرد وكدنا نتلف ثم دخلنا قرية فجاءنا راهب فيها بأكسية وقطف ثقيلة دفيئة فغطى جميع الاسارى كل واحد بواحدة فعشنا تلك الليلة فأقاموا في تلك القرية أياماً فكانت سبيلنا هذه ثم نقلونا إلى أخرى فعادت حالنا فى العرى والبرد الى الأولى فسألنا عن السبب فى ذلك فقالوا : إن رجلاً ببغداد من التجار يقال له ابن رزق الله صهر ابن أبي عون توصل إلى أن حصلت له هذه الأكسية والقطف عند الراهب بغرامات مال جليل وسأله أن يغطى بها من تحصل في قريته من أسارى المسلمين وضمن له أن ينفق على بيعه فى بلد الاسلام بازاء هذا فى كل سنة شيئاً مادامت الاكسية محفوظة للأسارى فالراهب يفعل ذلك في هذه القرية وما قبلها وما بعدها ليس فيها شئ من هذا . فأقبلنا ندعو لابن رزق الله كلما لفحنا البرد ولحقتنا الشدة ونحن لا نعرفه .

حدثنى أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن عباس القاضى [1] أن رجلاً دامت عطلته فزوّر كتباً عن على بن محمد بن الفرات وهو وزير إلى ابى زنبور [2] عامل مصر فخرج إليه فلقيه بها فانكرها أبو زنبور لافراط التأكيد فيها وكثرة الدعاء للرجل وأن محله عنده لم يكن يقتضى ذلك

(١) وردت الحكاية في كتاب الوزراء ص ١٠٣ (٢) هو المادرائي

عن الملكين أياما وخليا [1] بالرسول ثم استدعياني إليهما فسلمت عليهما فقال لي ترجمانهما : يقول لك الملكان إن الذي بلغ ملك العرب من فعلنا بالأسارى كذب وتشنيع وقد أذنا في إدخالك دار البلاط لتشاهد أسارا كم فترى أحوالهم بخلاف ما بلغكم وتسمع من شكرهم لنا ضد ما اتصل بكم. قال : ثم حملت إلى دار البلاط فرأيت الأسارى وكأن وجوههم قد أخرجت من القبور تشهد بالضرر وما كانوا فيه من العذاب إلا أنهم مرفهون في ذلك الوقت وتأملت الى ثيابهم فإذا جميعها جدد فعلمت أني منعت من الوصول تلك الايام حتى غير زى الأسارى . وقال لي الأسري: نحن للملكين شاكرون فعل الله بهما وصنع وأومأوا الى أن الأمر كان كما بلغكم ولكنه خفف عنا وأحسن إلينا بعد حصولك هاهنا . وقالوا لي : كيف عرفت حالنا ومن تنبه علينا وأنفذك بسببنا ؟ فقلت لهم : ولي الوزارة علي بن عيسى فبلغه ذلك فأنفذ من بغداد وفعل كذا وكذا . قال : فضجوا بالدعاء إلى الله تعالى للوزير وسمعت امرأة منهم تقول : مر يا علي بن عيسى لا نسى الله لك هذا الفعل . قال : فلما سمع ذلك علي ابن عيسى أجهش بالبكاء وسجد حمداً لله سبحانه وتعالى وبر الرسول وصرفه . فقلت له : أيها الوزير أسمعك دائما تتبرم بالوزارة وتتمنى الإنصراف عنها في خلواتك خوفا من آثامها فلو كنت في بيتك هل كنت تقدر أن تحصل هذا الثواب ولو أنفقت فيه أكثر مالك ولا تفعل ولا تتبرم بهذا الأمر فلعل الله يمكنك ويجرى على يديك أمثال

(١) الصواب «وخلوا»

المقدس آخر يقال له القاتليق وأمرهما ينفذ على ملك الروم حتى إنهما ربما حرما الملك فيحرم عندهم ويحلانه فيحل وعند الروم أن من خالف منهم هذين كفر وأنه لا يتم جلوس الملك ببلد الروم إلا برأي هذين وأن يكون الملك قد دخل إلى بيعتهما ويقرب بهما والبلدان في سلطاننا والرجلان في ذمتنا فيأمر الوزير بأن يكتب إلى عاملي البلدين باحضارهما وتعريفهما ما يجرى على الأسارى وأن هذا خارج عن الملة وأنهما إن لم يزيلا هذا لم يطالب بجريرته غيرهما وينظر ما يكون من الجواب. قال: فاستدعى كاتبا وأملى عليه كتابا في ذلك وأنفذهما في الحال وقال: سريت عني قليلاً. وافترقنا فلما كان بعد شهرين وأيام وقد أنسيت الحديث جاءني فرانق من جهته يطلبني فركبت وأنا مشغول القلب بمعرفة السبب في ذلك حتى وصلت إليه فوجدته مسروراً فحين رآني قال: ياهذا أحسن الله جزاءك عن نفسك ودينك وعني. فقلت: ما الخبر؟ فقال: كان رأيك في أمر الأسارى أبرك رأي وأصح وهذا رسول العامل قد ورد بالخبر (وأومأ إلى رجل كان بحضرته) وقال له: خبرنا بما جرى. فقال الرجل: أنفذني العامل مع رسول البطرك والقاتليق برسالتهما إلى قسطنطينية وكتبا إلى ملكيها: أنكما قد خرجتما عن ملة المسيح بما فعلتماه بالأسارى وليس لكما ذلك فانه حرام عليكما ومخالف لما أمرنا به المسيح من كذا وكذا وعدد أشياء من دينهما فاما زلتما عن هذا واستأنفتما الإحسان إلى الأسارى وتركتما مطالبتهم بالتنصر وإلا لعنا كما على هذين الكرسيين وحرمناكما. قال: فمضيت مع الرسول فلما صرنا بقسطنطينية حجبت

ديناراً . فقال له أبو عمر مسرعاً كأنه قد أعدله الجواب : الوزير أعزه الله بجمل الثياب ولا يحتاج الى المبالغة فيها ونحن نتجمل بالثياب فنحتاج الى المبالغة فيها لانا نلابس العوام ومن نحتاج الى التفخيم عليه واقامة الهيبة فى نفسه بها والوزير أيده الله بخدمه الخواص أكثر من خدمة العوام ويعلم أنه يدع هذا عن قدرة . قال : فكانما ألقم أبا الحسن حجرا وسكت عنه

حدثنى القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله قال : حدثنى مكرم بن أبى بكر أن عم أبى الحسن بن مكرم القاضي قال : كنت خصيصاً بأبى الحسن على بن عيسى وربما شاورنى فى شئ من أمره . قال : دخلت عليه يوماً وهو مغموم جداً فقدرت أنه بلغه [1] عن المقتدر أمر كرهه فقلت : هل حدث شئ ؟ وأومأت إلى الخليفة . فقال : ليس غمي من هذا الجنس ولكن ما أشد منه . فقلت: إن جاز أن أقف عليه فلعلى أقول شيئاً . فقال : نعم كتب الىّ عاملنا بالثغر ان أسارى المسلمين فى بلد الروم كانوا على رفق وصيانة إلى أن ولى آنفاً ملك الروم حدثان فعسفا الأسارى وأجاعهم وأعرياهم وعاقباهم وطالباهم بالتنصر وأنهم فى جهد جهيد وبلاء شديد وليس هذا مما لى فيه حيلة لأنه أمر لا يبلغه سلطاننا [2] ولا الخليفة ولا يطاوعانى فكنت أنفق الأموال وأجتهد وأجهز الجيوش حتى تطرق القسطنطينية . فقلت : أيها الوزير هاهنا رأى أسهل مما وقع لك يزول به هذا . فقال : قل يامبارك . فقلت : إن بأنطاكية عظيماً للنصارى يقال له البطرك وبيت

(١) ليس في الاصل وزدناه من كتاب هلال (٢) يخالف اسلوب الكلام عند هلال هذا وهو أقرب الى الحق فان السلطنة أسست بعد هذا الوقت

المخبر أخبرنى قال : حدثنى أبو أحمد الشيرازي الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر قال : كنت بحضرة أبى على بن مقلة يوماً في وزارته وقد دخل عليه على بن عيسى فجلس بين يديه وكان أبو عبد الله العلوى الموسوى حاضراً وابو على الحسن بن هرون فقال أبو على بن مقلة للحسن بن هرون : اكتب رقعة إلى أبى عبد الله تصف فيها اختلال ضيعته وتسأل فيها الاحتساب له بظلمة وإطلاق معونة له. ففعل الحسن بن هرون ذلك فى الحال وعرض الرقعة فوقع باخراج الحال وأنفذ إلى الكاتب بأن أخرج الحال مصدقا لما فى الرقعة ففعل ذلك فوقع تحت إخراج الحال باطلاق عشرين كراً حنطة وعشرين كراً شعيراً معونة له والاحتساب بما ذكر مبلغه فى الظلمة وقال لأبى الحسن بن هرون : سلمه إلى أبى عبد الله . قال : فاستحسن الحاضرون كرمه فى ذلك على رجل علوي وأخذ أبو الحسن على بن عيسى يشكر له ذلك ويصوبه له . فقال له مجيباً : لم لم تفعل مثل هذا يا أبا الحسن فى وزارتك ؟ قال فنهض أبو الحسن وقال : استودع الله الوزير ولم يجب بحرف واحد .

ومن زمانة أبى الحسن علي بن عيسى وتحسنه أنه كان يحب أن يبين فضله في هذا على كل أحد . أخبرني به غير واحد أن أبا عمر القاضى دخل إليه يوماً في بعض وزاراته وعلى أبى عمر قميص دبيقى شسترى فاخر فأراد أبو الحسن أن يخجله فقال له : يا أبا عمر بكم اشتريت شقة هذا القميص ؟ فقال : بمائتي دينار . فقال أبو الحسن : ولكن اشتريت لى هذه الشقة التي قطعت منها هذه الدراعة وهذا القميص الذى تحته بعشرين

فأراه إذا بعدت وقد وضعها . ويشبه فعل أبى الحسن على بن عيسى بأبى عيسى أخى ابى صخرة ما أخبرنى به الثقة قال : أخبرنى جماعه من الكتاب أنه بلغه أن المقتدر وقد عمد على صرفه بأبى على بن مقلة وكان يخلفه إذ ذاك على عدة دواوين فاستدعاه وطالبه بأعمال يعملها له من الدواوين فوعده بإحضارها فلما كان بعد أيام خاطبه بحضرة الناس يريد الغض منه فقال له: طلبت منك أعمالاً فما أحضرتها وأنا أعلم تعذرها عليك فان كان الأمر كذلك فأفصح عن نفسك . فقال ابن مقلة : قدأحضرتها ووضعها بين يديه فأخذ يقرؤها ويعجب مشايخ الكتاب الحضور من خطابه فيها ويواقفه على ضعف صناعته ويفضحه فى موضع موضع يخرجه ويقول له فى عرض الخطاب هذه حيا كة ليست كتابة . ويضرب على عمل عمل ويرسم فى اضعافه كيف يجب أن يعمل والكتاب الحاضرون يعجبون من حسن ما يورده أبو الحسن وضعف ما أورده أبو على إلى أن ضرب على جميع الأعمال ثم قال له : قم فاعملها على هذا وحررها وجئني بها . فقام أبو على الحسن بن مقلة فلما ولى عن حضرة أبى الحسن فقال أبو الحسن إن أمراً عجز عنه على بن محمد بن الفرات ونحن فيه مرتبكون يقوم به بشىء عجب[١] . قال فلما كان فى اليوم الرابع أو الخامس من هذا الحديث قبض على على بن عيسى وسلم إلى أبى على وقلد الوزارة فاعتمد الغض من أبى الحسن فما قدر على ذلك بأكثر من المكاره والمخاطبة له فى وجهه بما يرتفع عنه أرباب المروءات . فمن ذلك أن هذا

(١) عند هلال : ويدعى هذا القيام به لامر عجيب

نيته فاستعفيت من العمل ولزمت بيتى فلم أكن فيه خاملاً ولا ساقطاً ثم حصلت حيث اختاره من السكون فى جملة أولياء الوزير أو أعدائه فاما أعفانى مما يستعمله معى وردنى إلى العادة التى يستحقها من نصب فى مثل منصبى أو أعفانى من العمل لألزم بيتى . فقلت له : يا أبا عيسى لن ترى بعد هذا شيئاً تنكره ولن أكون لك إلا على أفضل محبتك فبكر الىّ ليبين لك مصداق ذلك . فلما جاءنى اليوم عاملته بما رأيته . ويشبه قول على بن عيسى لاخيه (إن كان فضولا فلا تسل عنه) ما كان يبلغنا عنه من الزماتة الشديدة والوقار العظيم ومطالبة نفسه باحتشام الخلق واستعمال ذلك مع أهله وولده

حدثنى أبو الحسن بن الازرق قال : بلغنى عن بعض أكابر ولده أنه دخل إليه فى آخر عمره وهو مستلق فلما رأى ابنه جلس منتصباً

وأخبرنى أبى رحمه الله وأبو الحسن بن عياش أنهما كانا يشاهدان أبا الحسن في آخر الاوقات فى المجالس الحافلة عند باب مفتوح وبين الناس مسورة يستند اليها وعلى الباب ستر قد أرخى حتى بلغ الارض وغطى المسورة وصار حجاباً بين الناس وبينها وهو ملتزمه بالستر احتشاماً للناس أن يستند بحضرتهم ومازال الناس على هذا .

حدثنى أبو الحسن بن أبى طالب بن أبى جعفر بن البهلول قال : كنت وأنا صبى أجىء وألعب بحضرة جدى فيصيح علىّ . قال : مادخلت اليه قط وهو مكشوف الرأس الا أخذ القلنسوة من خلف مسورته ولبسها وجلس متزمتاً علىّ وسنى اذ ذاك عشر سنين وحواليها الى أن أنصرف

فى ذلك فجلس إلى أن لم يبق في مجلسه غيرى فقال : شئ تقوله يابنى . فقلت : شئ من الفضول أريد أن أسأل الوزير عنه . فقال : إن كان فضولاً فلا تسل عنه . قال : قلت لا بد . فقال : هات . فقلت : استخلاك (أمس) أبو عيسى فأخليته ثم رأيتك اليوم تعامله بضد ما كنت تعمله قبل هذا فما سبب ذلك؟ فقال : نعم إنه خاطبنى بخطاب عظم به في عينى وكبر به في نفسى وعلمت صدقه فيه فرجعت له . قال : (وقد خلا بى) أيها الوزير أنا رجل شيخ من شيوخ الكتاب عارف بمقدار ما أحسنه من صناعة الكتابة وتقصيرى فيها عن الغاية وليس يخفى علىّ ما يعاملنى به الوزير من الغض والهتك والتعريض للفضيحة للصناعة ومخاطبة الكتاب فى الديوان إذا أراد مهماً ومخاطبتى إذا نزل معضل ويجب أن يعلم الوزير أيده الله أن حالى ومالى وباطنى أكثر مما يقع له ويعرفه من ظاهرى على كثرته . وانى ما أتصرف طلباً للفائدة ولا خوفاً من الفقر وانما أريد الزيادة في الجاه واتصال نفوذ الأمر والنهى وقد عشت طول هذه السنين آمراً ناهياً مستوراً فى صناعتى ما تعرض لى أحد من الوزراء ولا تعرضت لهم وسلمت عليهم وسلموا علىّ ومهما عمله الوزير من الغض فليس يمكنه أن يزيل من نفوس الخاصة والعامة أنى خلفت اسمعيل بن بلبل على الوزارة وتقلدت كذا وكذا (وأخذ يعدد كبار الاعمال التى وليها) وأن مثل هذا لا يناط بعاجز ولا أن يستخرج من النفوس عظم محلى فيها بسعة الحال وكثرة الضياع والمال ولا يمكنه فى طمس محلي أكثر مما قد عمله وأنا بين أمور إما توصلت الى إزالة ذلك عنى بما لعله يثقل على الوزير أو آثرت صفاء

الأنبارى التنوخى المعروف والده بأبى بكر الأزرق قال : كان أبو عيسى أخو أبى صخرة جارنا ببغداد وكان عظيم الحال كثير المال تام الجاه شيخاً من شيوخ الكتاب قد تقلد كبار الأعمال وخلف اسمعيل بن بلبل قديماً على الوزارة فلما ولى محمد بن عبيد الله الخاقانى قلده ديوان السواد فلما صرف بأبى الحسن على بن عيسى وورد أبو الحسن من اليمن أو الشام لما كان نفى إليه عقيب قصة ابن المعتز وتقلد الوزارة لم يره أهلاً لديوان السواد لأن صنعته لم تكن بالتامة التى تفى بهذا الديوان ولم يمكنه صرفه لمكانة كانت له فى الدار فكان يقصده بالغض فى المجالس ولا يرفعه الرفعة التي يستحقها صاحب ديوان السواد وإذا أراد عملاً من الديوان أو خراجاً أوحساباً وقع إلى كتاب الديوان واستدعاهم وخاطبهم وهو حاضر لا يكلمه فى ذلك فيغض منه بهذا الغض الشديد فاذا أراد عملاً يعلم أن صناعة أبى عيسى لاتفى به وأنه لا يمكنه الكلام عليه خاطبه فيه على رؤوس الأشهاد ليبين نقصه ويفتضح وإذا أراد مهماً أحضر كتاب الديوان فخاطبهم فيه ليكون ذلك نهاية الغض منه . فلما طال ذلك على أبى عيسى جلس عنده يوماً حتى لم يبق فى مجلسه غيره وغير إبراهيم بن عيسى أخى الوزير فقال له علىّ بن عيسى هل من حاجة ؟ فقال نعم إذا خلا مجلس الوزير . قال فأخبرت عن ابراهيم أنه قال : لما سمعت هذا قمت وانصرفت فلما كان من الغد جئت إلى أخى فوجدت أبا عيسى فى صدر المجلس حيث يستحق صاحب الديوان أن يكون يامر وينهى وينبسط ويتكلم والخطاب معه فى الاعمال دون الكتاب وقد صار فى السماء فدعتنى نفسى الى مسألة الوزير

ابو القسم انا رأيت هذه الجامات وقبضها المقتدر من هذه التركة.

وسمعت ابن الجصاص هذا يقول (وقد نسى أبو القاسم شيئاً جرى لم يذكره) فقال أبو محمد : ماهو ؟ فقال سألنا خازن الرجل عن هذه الجامات وسببها فقال لا أعلم من أين وصلت إليه ولكن كان عنده منهم ثمانون جامة فأهدى إلى جماعة من الملوك منها وبقيت هذه البقية فاستطرف أبو محمد المهلبي الحكاية واستحسنها.

حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف بن يحيي بن على بن يحيي ابن أبي منصور المنجم قال : حدثني جدى قال : وقفت امرأة لحامد ابن العباس على الطريق فشكت إليه الفقر وطلبت منه البرّ ودفعت اليه قصة كانت معها فلما جلس وقع لها بمائتي دينار فأنكر الجهبذ دفع هذا القدر الى مثلها فراجعه فقال حامد : والله ما كان في نفسي أن أهب لها الا مائتي درهم ولكن الله أجرى لها على يدي مائتي دينار فلا أرجع في ذلك أعطها. فدفع اليها فلما كان بعد أيام دفع اليه رجل قصة يذكر فيها أن امرأتي وإياى كنا فقيرين فرفعت امرأتي قصة الى الوزير فوهب لها مائتي دينار فاستطالت به علىَّ وتريد الآن اعناتى لأطلقها فان رأى الوزير أن يوقع لى إلى من يكفها عنى فعل. فقال : فضحك حامد ووقع له بمائتي دينار وقال : أعطوه إياها وقولوا له قد صار الآن مالك مثل مالها فهى لاتطالبك بالطلاق. فقبضها الرجل وانصرف غنياً.

حدثني [1] أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحق البهلول

---

(١) نقل هلال بن المحسن هذه الحكايات الى كتاب الوزراء الذى له (طبع بيروت ١٩٠٤ ص ٣٢٣)

المقتدر على ابن الجصاص أنفذ الى داره من يحصى ما فيها ويحمله فقال لى الذى كتب الاحصاء : إنا وجدنا له فى جملة قماشه سبعمائة مزملة خيازر فما ظنك بمروءة وقماش يكون هذا فى جملته ؟

كنت فى حضرة الوزير أبى محمد الحسن بن محمد بن هرون المهلبى رحمه الله ببغداد وقد دخل اليه أبو اسحق القراريطى بعد وروده من مصر وأبو القسم الجهنى حاضر فقال له : يا سيدى تسأل أبا اسحق عن الحكاية التى كنت حكيتها لك فى أمر الجامات البجاذى فانى كنت ذكرت لك أنه كان حاضرا لأمرها وما علمت أنه يقدم من مصر فأواطئه . فقال له أبو محمد : ما بك الى هذا حاجة . فقال : بلى يا سيدى . ثم التفت الى القراريطى فقال : إنى حكيت لسيدنا الوزير أن المقتدر أنفذنى أيام تقلدى له المواريث لقبض تركة فلان (فذكر أميرا جليلا قد أنسيت اسمه على الحقيقة وأظنه قال أنس الموفق) وأنفذك مستظهرا بك لتحصى التركة وانها كانت هائلة عظيمة وإنا وجدنا فيها ثلاثين جامة بجاذي كل جامة فتحها شبر وكسر فى غلف من لب الخيازر مبطنة بالحرير والديباج مضربة بالنبات محلاة بالذهب فأثبتناها وحملناها الى المقتدر فهاله حسنها وأحضر ابن الجصاص وأمر بتقويمها . فقال : ما أعرف لها قيمة ولا رأيت مثلها قط ولولا أنى شاهدتها لكذبت بوجود مثلها ولو قلت ان قيمة كل واحد مائة ألف دينار ما خشيت البعد . وإنى لما حدثت سيدنا الوزير أيده الله بهذا الحديث كذبنى جماعة من ندمائه وكنتَ أنت يا سيدى بمصر فان رأيت أن تقيم لى الآن الشهادة . فقال القراريطى قدصدق أيد الله الوزير

المجلس فرفعني فوق جميع من كان بحضرته وقرظني التقريظ التام وعاملني بما علم منه الحاضرون رجوعه لى وأمر بأفشاء الكتب إلى عمال النواحى بأعزاز وكلائى وصيانة أشيائى وضياعى وتقدم إلى كتاب الدواوين بأخراج كل ما كانوا أدخلوه إليها من تغير رسومى والزيادة علىّ وأن أجرى على الرسوم القديمة فشكرته وقمت فقال : ياغلمان بين يديه . فخرج الحجاب يجرون سيوفهم بين يدى والناس يشاهدون ذلك ويعجبون منه وقد رجع جاهى ولم يعلم أحد سبب صلاح ما بيننا فما حدّث بذلك إلا بعد القبض عليه ثم قال لى أبو على ابنه : فهل هذا فعل ورأى من يليق به ما حكى من تلك الحكايات عنه ؟ فقلت : لا .

حدثنى أبو محمد عبد الله بن احمد بن ابى بكر داسة قال : حدثني بعض شيوخنا قال : كنا بحضرة أبي عمر القاضي فجرى ذكر ابن الجصاص وغفلته فقال أبو عمر : معاذ الله ما هو كذلك واقد كنت عنده منذ أيام مساماً وفى صحنه سرادق مضروب فجلسنا بالقرب منه نتحدث فاذا بصرير نعل من خلف السرادق فصاح : يا غلام جئنى بمن مشت خلف السرادق الساعة . فأُخرجت اليه جارية سوداء فقال : ما كنت تعملين ههنا ؟ قالت : جئت الى الخادم أعرفه أنى قد فرغت من الطبيخ وأستأذن في تقديمه . فقال : انصرفى لشأنك . فعلمت أنه أراد أن يعرفنى أن ذلك الوطء وطء سوداء مبتذلة وأنها ليست من حرمه ولا من يصونه فيزيل عنى أن أظن به مثل ذلك فى حرمه فكيف يكون هذا مغفلا ؟

حدثنى أبو العباس هبة الله بن المنجم أن جده حدثه أنه لما قبض

منه دانق وأكون قد أهلكت عدوى وشفيت غيظى واسترجعت مالى وصنت نعمتى وازداد محلى عظماً بصرف وزير وتقليد وزير . فلما سمع هذا سقط فى يده وقال : ياعدو الله أو تستحل هذا ؟ فقلت : لست عدو الله بل عدو الله من استحل منى ما أحوجنى إلى الفكر فى مثل هذا ولم لا أستحل مكروه من يريد هلاكى وزوال نعمتى ؟ فقال أو أيش ؟ قلت أو أن تحلف الساعة بما أستحلفك به من الايمان المغلظة أنك تكون لى لا علىّ فى صغير أمرى وكبيره ولا تنقص لى رسماً ولا تغير معاملة ولا تضع من (١) شئ وتزيد فى رفعتى وذكرى الجميل ولا تبغى لى الغوائل ولا تدسس علىّ المكاره ولا تشرع لى فى سوء ولا نكبة أبداً ظاهراً ولا باطناً وتفعل وتفعل . فاشترطت عليه الأمن من كل ما كنت أخافه منه . فقال : وتحلف أنت أيضاً بمثل هذا اليمين على جميل النية وحسن الطاعة والموازرة . فقلت : أفعل . فقال : لعنك الله فما أنت إلا إبليس سحرتنى والله . واستدعى دواة وعملنا نسخة اليمين فأحلفته بها أولاً ثم حلفت له فلما أردت القيام قال : يا أبا عبد الله لقد عظمت فى نفسى وخففت ثقلاً عنى فوالله ما كان المقتدر يفرق بين كفايتى وغناى وموقعى وبين أخس كتابى كما ذكرت مع المال الحاضر فليكن ما جرى مطوياً . فقلت : سبحان الله . فقال : وإذا كان غداً فصرْ الىّ فى المجلس العامى لترى ما أعاملك به . فنهضت فقال : ياغلمان بأسركم بين يدى أبى عبدالله . فخرج بين يدىّ مائتا غلام فعدت إلى دارى وما طلع الفجر فاسترحت وجئته فى وقت

---

(١) ليس في الاصل

فى هلاكى وإزالة نعمتى وفي ازالتها خروج نفسى وليس من النعمة والنفس عوض ولعمرى إنى قد أسأت فى خدمتك وقد كان فى بعض هذا التقويم بلاغ عندى وقد جهدت فى استصلاحك بكل ما قدرت عليه ووسطت بيني وبينك فلاناً وبذلت كذا وقبلت كذا فأبيت إلا[1] الاقامة على أذاى وليس شئ أضعف من السنور وإذا عاثت فى دكان بقال فظفر بها ولزها إلى الزاوية ليخنقها وثبت عليه نخدشت وجهه وبدنه ومزقت ثيابه وطلبت الحياة بكل ما يمكنها وقد وجدت نفسى معك فى مثل هذه الصورة ولست أضعف بطشاً من السنور وقد جعلت هذا الكلام عذراً بيننا فان نزلت تحت حكمى فى الصلح وإلا فعلىّ وعلىّ . وحلفت له بأيمان غليظة لأقصدن الخليفة الساعة ولأحولن إليه من خزانتى ألفى ألف دينار عيناً وورقاً ولا أصبح إلا وهي عنده . وأنت تعلم قدرتى عليها وأقول له : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات إلى فلان واستوزره وأنظرُ له أقرب مَنْ يقع فى نفسى أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ومخرقة حادة ولا أعتمد إلا بعض كتابك فإنه لا يفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً فيسلمك في الحال لهم ويرانى المتقلد بعين من أخذه وهو صغير فجعله وزيراً وغرم منه هذا المال الكثير ويعتقد أنى ربه وولى نعمته فيخدمنى ويتدبر بتدبيرى فى جميع أمره فأسلمك إليه فيفرغ عليك العذاب حتى يأخذ منك الالفى ألف دينار بأسرها . وأنت تعلم أن حالك تفى بها ولكنك تفتقر بعدها ويرجع إلىّ المال ولا يذهب على

(١) ليس في الاصل

وأدام الغضة منى إذا دخلت إليه فوسطت بيني وبينه جماعة وبذلت له أشياء توجب صلاح مابيننا فما نجعت وأقام على قصدى وأنا محتمل طامع فى رجوعه فدخلت يوماً داره فسمعت حاجبه يقول (وقد وليت عنه) : أى بيت مال يمشى على وجه الارض ألفا ألف دينار تمشى وليس لها من يأخذها . فعلمت أن هذا من كلام صاحبه وأنى منكوب وكان عندى فى ذلك الوقت سبعة آلاف ألف دينار عينا وجوهراً سوى غيرهما مما يجرى عليه ملكي فضاقت علىّ الدنيا وسهرت ليلتى بأسرها أفكر فى أمرى معه فوقع إلىّ الرأى فى الثلث الأخير فركبت فى الحال إلى داره فوجدت الأبواب مغلقة فطرقتها فقال البوابون : من هذا ؟ فقلت ابن الجصاص . فقالوا : ليس هذا وقت وصول والوزير نائم . فقلت : عرّفوا الحجاب أنى حضرت (لمهم) . فعرفوهم فخرج إلىّ أحدهم فقال : إنه إلى ساعة ينتبه فيجلس وتنتظر . فقلت : الأمر أهم من ذلك فانبهه وعرفه عني هذا . فدخل فأبطأ ساعة ثم خرج فأدخلنى من دار إلى أخرى حتى انتهيت إلى مرقده وهو على سرير وحواليه نحو خمسين فراشا لغلمان له كأنهم حفظة وقد قاموا وبعض الفرش ينقل وهو جالس فى فراشه مرتاعاً قد ظن أن حادثة حدثت أو أنى جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما أورده فرفعنى وقال : ما الذى جاء بك فى هذا الوقت ؟ فقلت خير ماحدثت حادثة ولا معى رسالة ولا جئت إلا فى أمر يخص الوزير ويخصنى لم تصلح مفاوضته فيه إلا على خلوة شديدة . فسكن ثم قال لمن حوله : انصرفوا . فمضوا وقال : هات . فقلت : أيها الوزير إنك قد قصدتني أقبح قصد وشرعت

افعل . فأقمت يومى عنده وأكلنا وتحدثنا بقية يومنا . وكنت أنا اجتمعت ببغداد فى سنة خمسين وثلثمائة مع أبى على بن أبى عبد الله بن الجصاص فرأيت شيخاً طيباً حسن المحاضرة فسألته عن الحكايات التى تنسب إلى أبيه مثل قوله خلف إمام قد قرأ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ فقال « اى لعمرى » بدلا من « آمِين » ومثل قوله للخاقانى الوزير: أسهرنى البارحة صوت كلاب فى الحارة على بابى كل كاب مثلى ومثل الوزير . وقوله له وأراد تقبيل رأسه فقال : إن فيه دهناً فلا تفعل . فقال : لو كان فى رأس الوزير خرى لقبلته . ومثل قوله : قمت البارحة فى الظلمة إلى الخلاء فما زلت أتلحظ المقعدة حتى وقعت عليها . ومثل قوله وقد وصف مصحفا بالعتق فقال : هو كسروى . وأمثال هذا على كثرته عنه وتواتر الرواية له . فقال لى : أما أمر « المقعدة » و« اى لعمرى » وما كان من هذا الجنس فكذب وما كانت فيه سلامة[1] تخرجه الى هذا ولا كان الا من اهى الناس وأخبثهم ولكنه كان يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما حكى عنه بسلاسة طبع كانت فيه ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء فيسلم عليهم . وأنا أحدثك عنه بحديث حدثنا به لتعلم معه أنه كان فى غاية الحزم وأن فاعله لايجوز عليه مثل ماحكى عنه . فقلت : أحب أن تفعل . قال : حدثنا أبى قال إن أبا الحسن بن الفرات لما ولى بعض وزاراته قصدنى قصداً قبيحاً لشىء كان فى نفسه علىّ فأنفذ العمال إلى ضياعى فأمر بنقض معاملاتى وبسط لسانه بثلبى وتنقصى في مجالسه

(١) كناية عن بلادة

الناس او فقد العادة فى مأكول ومشروب وملبوس وما جرى مجرى ذلك او النقصان فى جاه فاصبر حتى اواقفك انه ليس ببغداد اليوم بعد ما خرج عنك ايسر منك من اصحاب الطيالس. فقال : هات . فقلت : اليس دارك هذه التى كانت قبل مصادرتك ولك فيها من الفرش والأثاث ما فيه جمال لك وان لم يكن ذلك الكبر المفرط ؟ فقال : بلى . فقلت : وقد بقى لك عقار بالكرخ وقيمته خمسون ألف دينار فقال : بلى. فقلت : ودار الحور وقيمتها عشرة آلاف دينار . فقال : بلى . فقلت : وعقارك بباب الطاق وقيمته ثلاثون ألف دينار . فقال : بلى . وبستانك الفلانى وضيعتك الفلانية وقيمتها كذا . فقال : بلى . فقلت :ومالك بالبصرة وقيمته مائة الف دينار . فقال : بلى . فجعلت اعدد عليه من عقاراته وضياعه إلى ان بلغت القيمة تسعمائة الف دينار فقلت: واصدقنى عما سلم لك من الجوهر والأثاث والقماش والطيب والجوارى والعبيد والدواب وعن قيمة ذلك وقيمة دارك . فأخذ يصدقنى ويقوّم واحصى إلى ان بلغت القيمة لذلك ثلثمائة الف دينار . فقلت له : ياهذا من ببغداد اليوم يحتوى ملكه على الف الف دينار ؟ وجاهك عند الناس الجاه الأول وهم يظنون ان الذي بقى لك ضعف هذا فلم تغتم ؟ قال : فسجد لله وحمده وبكى ثم قال : والله لقد غلب الفكر علىّ حتى نسيت جميع هذا انه لى وقل فى عينى لأضافتى اياه إلى ما اخذ منى ولو لم تجئنى الساعة لزاد الفكر علىّ حتى يبطل عقلى ولكن الله تعالى انقذنى بك وما عزانى احد بأنفع من تعزيتك وما أكلت منذ ثلاث شيئاً فأحب أن تقيم عندى لنأكل ونتحدث ونتفرج . فقلت :

المستراح فجعل ذلك المال مصبوباً [١] فى الموضع لا يعرف خبره غيره فلما اشتدت به المطالبة دل عليه فأخرج ما ذهب منه شيء ولا عرف خبره إلا من جهته.

وحدثنى أبو الحسين بن عباس أنه سمع جماعة من ثقات الكتاب يقولون إنهم حصلوا ما ارتفعت به مصادرة أبى عبد الله بن الجصاص فى أيام المقتدر فكانت ستة آلاف ألف دينار سوى ما قبض من داره وبعد الذي بقى له من ظاهره.

سمعت الأمير أبا محمد جعفر بن ورقاء بن محمد بن ورقاء الشيبانى يحدث فى سنة تسع وأربعين وثلثمائة قال: اجتزت بابن الجصاص بعد إطلاقه الى داره من المصادرة بأيام وكانت بيننا مودّة ومصاهرة فرأيته على روشن داره على دجلة فى وقت حارّ من يوم شديد الحرارة وهو حافٍ حائر يعدو من أول الروشن إلى آخره فطرحت طيارى إليه وصعدت بغير إذن فلما رآنى استحيا وعدا إلى مجلس له فقلت: ويحك مالك ما الذى قد أصابك؟ فدعا بطست وماء فغسل وجهه ورجليه ووقع ساعة كالمغشى عليه ثم قال: أولا يحق لى أن يذهب عقلى وقد خرج من يدى كذا وأخذ مني كذا (وجعل يعدد امراً عظيماً مما خرج منه) فمتى اطمع فى خلفه ولم لا يذهب عقلى اسفا عليه؟ فقلت له ياهذا إن نهايات الأموال غير مدركة وانما يجب ان تعلم ان النفوس لا عوض لها والعقول والاديان [٢] فما سلم لك ذلك فالفضل معك وإنما يقلق هذا القلق من يخاف الفقر والحاجة إلى

(١) لعله: مصونا (٢) لعله: الابدان

جراياتهم فى الدهليز ففعل ذلك فلما كان بعد أيام رأى قشر باقلاء فى الدهليز أيضاً فاستشاط وكان حديداً سفيه اللسان فشتم وكيله وقال : ألم أضعّف الجرايات فلم فى دهليزى قشور الباقلاء ؟ فقال : إن الجرايات لما تضاعفت جعلوا الأولة لعيالاتهم فى كل يوم وصاروا يجمعون الثانية عند القصاب فاذا خرجوا من النوبة ومضوا نهاراً إلى منازلهم فى نوبة استراحاتهم فيها أخذوا ذلك مجتمعا من القصاب فتوسعوا به . فقال : فلتكن الجرايات بحالها وليتخذ مائدة فى كل يوم تنصب غدوة قبل نصب موائدنا يطعم عليها هؤلاء ووالله لئن وجدت بعدها فى دهليزى قشر باقلاة لأضربنك وجميعهم بالمقارع . ففعل ذلك وكان ما زاد من نفقة الأموال أمراً عظيماً .

حدثنى القاضى أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن الحرث بن عباس الجوهرى البغدادى وأبو الحسن بن المأمون الهاشمى أنه وجد لحامد فى نكبته التى قتل فيها فى بئر لمستراح له أربعمائة ألف دينار عيناً دل عليها لما اشتدت به المطالبة . وأخبرنى غيرهم أن حامداً كان عمل حجرة وجعل فيها مستراحاً وكان يتقدم إلى وكيله أن يبتاع له الدنانير ويجىء بها وكلما حصل له كيس أخذه تحت ثيابه وقام كأنه يبول فدخل ذلك المستراح فألقى الكيس في البئر وخرج من غير أن يصب فيها ماء ولا يبول ويوهم الفراش أنه فعل ذلك فاذا خرج أقفل المستراح ولم يدخله غيره على رسم مستراحات السراة التى يختصونها وإذا أراد الدخول فتحه له الخادم الموسوم بالوضوء وذلك الخادم أيضا لا يعلم السر فى ذلك فلما تكامل ذلك المال قال هذا المستراح ضيق البناء قبيح فسدوه لاغيّره فسد البئر وعطل

بمثل هـذا الرياء ؟ ولـكن الطباع خست حتى الحسد أيضاً . كان الناس قديماً إذا حسدوا رجلا على يساره حرصوا على كسب المال حتى يصيروا مثله وإذا حسدوه على علمه تعلموا حتى يضاهوه وإذا حسدوه على جود بذلوا حتى قيل إنهم أكرم منه وإذا (عدد أشياء كثيرة) . . . . فالآن لما ضعفت الطبائع وصغرت النفوس وعجزوا أن يجعلوا أنفسهم مثل من حسدوه فى المعنى الذى حسدوه عليه عدلوا إلى تنقص المبرّز فان كان فقيراً سعوا على فقره وإن كان عالماً خطّؤه وإن كان جواداً قالوا هـذا متاجر بجوده وبخّلوه وإن كان فعّالاً للخير قالوا هذا مراءٍ .

حدثنى القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى قال : كان حامد بن العباس من أوسع من رأيناه نفساً وأحسنهم مروءة وأكثرهم نعمة وأشدهم سخاءً وتفقداً لمروءته وكان ينصب فى داره كل يوم عدة موائد ولا يخرج من الدار أحد من الجُلة والعامة والحاشية وغيرهم إذا حضر الطعام أو يأكلَ حتى غلمان الناس فربما يُنصب فى داره فى يوم واحد أربعون مائدة وكان يُجرى على كل من يُجرى عليه الخبز لحماً . وكانت جراياته كلها الحُوّارَى . فدخل يوماً إلى دهليزه فرأى فيها قشر باقلاة فأحضر وكيله وقال : ويلك يوكل فى داري الباقلاء ؟ قال : هـذا من فعل البوابين . قال : أوليست لهم جرايات لحم ؟ قال : بلى . قال : فسلهم عن السبب . فسألهم فقالوا : لا نهنأ بأكل اللحم دون عيالنا فنحن ننفذه إليهم لنأكله معهم ليلاً ونجوع بالغدوات فنأكل الباقلاء . فأمر حامد أن يجرى عليهم جراية لعيالاتهم تحمل إلى منازلهم وأن يأكلوا

قد حكمتُ فى هذا الخطب حكماً نظمتُه فى بيتى شعر لا يقدر أحد أن يردّه علىّ وإنما جعلته شعراً ليبقى ويدور أفيأذن الوزير في إنشادهما ؟ فقال قل فرب صواب قلتَه . فقلت :

رأيت عبيد الله أندى أناملا ... وأكرم من فضل بن يحيي بن خالد

ورواه الناس مرة أخرى فقال فيه

أفضل سوددا ... وأكرم من فضل ويحيي وجده

أولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد[1]

حضرت مجلس الحسن بن على بن زيد المنجم غلام أبى نافع وهو إذ ذاك عامل معز الدولة رحمه الله على الأهواز وقطعة من كورها ومحله عنده كمحل وزرائه وكان قد خدم أبى رحمه الله قديما بعد مفارقته خدمة القاسم بن دينار عامل الأهواز وتوكل له فى داره وضيعته وخلفه على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز ثم خلطه بخدمة أبى عبد الله البريدى فعلت منزلته ثم بلغت به الحال ماذكرته فكنت إذا جئته وهو إذ ذاك على غاية الجلالة وأنا فى حد الأحداث اختصنى وكان يعجبه أن نقرظ فى وجهه فأفاض قوم فى مدحه وذِكر عمارته للوقوف والسقايات وادراره الماء فى ذنابة المسرقان[2] وتفريقه مال الصدقات على أهلها وذنبتُ معهم فى ذلك . فقال لى هو : يا بنىّ أرباب هذه الدولة إذا حدثوا عنى بهذا وشبهه قالوا المنجم إنما يفعل هذا رياءً وما أفعله إلا لله تعالى وإن كان رياءً فهو حسن أيضاً فلم لا يراؤون

(١) اغانى ١٣ : ٢٥ (٢) المسرقان نهر بخوزستان عليه عدة قرى و بلدان ومبداه من تستر . والذنابة بكسر الذال منتهى الوادى

على دراهم الناس لا أصل لها . فقلت له أيها الشيخ إن قلت ذلك فقال صاعد مثله فأجيب . فقال ما قال ؟ فقلت له حكى له جود البرامكة فقال هذا من موضوعات الوراقين وكذبهم وكان أبو العيناء حاضراً فقال له فلم لا يكذب على الوزير أعزه الله (وهو يرجى ويخاف وأولئك موتى مايوس من خيرهم وشرهم) مثل هذا الكذب ؟ قال فخجل أبو مخلد . وفي معنى هذا ما أذكره وإن كان موجوداً في الكتب ولكنه على سبيل الاستعادة وهو حسن :

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد الازدى قال : بلغني أن ابن الزيات لما جعل في التنور قال له بعض خدمه لهذا وشبهه كنا نشير عليك بفعل الاحسان وتقليد رقاب الرجال بالامتنان واتخاذ الصنائع في حال القدرة لتجازى بها الآن عند الحاجة . قال لو كنت فعلت هذا ماحصلت منه على طائل لما في نفوس الناس من ضعف الإخاء وكثرة الغدر وقلة الوفاء وتراني كنت أفعل أكثر من أفعال البرامكة ما نفعهم لما حصلوا على مثل حالي من إسلام الزمان وجور السلطان . فقال له الخادم لو لم ينفعهم إلا ذكرك لهم في مثل هذه الحال التي أنت فيها لكان ذلك أكثر نفع .

وحدثني أبو الفرج على بن الحسن الأصفهاني الكاتب قال حدثني الحسن بن على قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أبو الشبل عصم بن وهب البرجمي قال حضرت مجلس عبيد الله بن يحيي بن خاقان وكان إليّ محسناً وعليّ مفضلاً فجرى ذكر البرامكة ووصف الناس لهم بالجود وما قالوا في كرمهم وجوائزهم فأكثروا فقمت في وسط المجلس وقلت أيها الوزير

ليس فيها أخ له على حسب ماسنح وتيسر . واتفق ولم يتعذر . وأرجو أن لا يبور ما جمعته. ولا يضيع ماتعبت فيه وكتبته وأثبته من ذلك وصنعته. فلو لم يكن فيه إلا أنه خير من موضعه بياضاً لكانت فائدة إن شاء الله تعالى وإياه أسأل التوفيق فى المقال. والتسديد فى جميع الأفعال . والعصمة من الزلل . والحفظ من الخطأ والوهل. إنه بذلك ولى . وبالمرجو منه فيه ملى . وهو حسبي وإليه فى كل أمر مرجعى وعليه توكلى ولا حول ولا قوة إلا به إنه نعم المولى والوكيل .

حدثنى أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن المنجم النديم وهو أحد بنى يحيي ابن أبى منصور المنجم صاحب المأمون ومحل أهله وسلفه وبيته فى منادمة الخلفاء والوزراء والأمراء مشهور وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والادب وقول الشعر وتصنيف الكتب فى أنواع ذلك معروف ومكانهم من المنزلة فى خدمة السلطان وعظم النعمة والحال متعالم ومحل أبى العباس فى نفسه أشهر من أن يجهل فى العلم والأدب وقول الشعر والمعرفة بالجدل والفقه وغير ذلك مما يفوق به . وقد نادم أبا محمد المهلبى رحمه الله واختص به ونفق عليه سنين كثيرة ومن بعده من الوزراء وغيرهم من الرؤساء وهو أحد بقايا أهل بيته . قال كنت بحضرة أبى مخلد عبد الله بن يحيي الطبري صاحب معز الدولة فجرى ذكر الكرم والكرام والجود والأجواد وما كانت البرامكة وغيرها تأتى من الافضال على الناس فأخذ أبو مخلد يدفع هذا ويبطله حتى قال هذه حيل نصبها الشحاذون

وجب أن توصل بما تقدم من أشباهها وتردد فى الكتب من أمثالها فينتقض ما شرطناه . ويبطل ما ذكرناه . من أن هذه الاخبار جنس لم يسبق إلى كتبه وانا إنما تلقطناه من الأفواه دون الأوراق ونخرج بذلك عن القصد والمراد . والفرض المطلوب فى الاستقامة والسداد . وليست الفائدة فيها التنويع ولا المغزى التأليف بل لعل كثيراً مما فيها لا نظير له ولا شكل . وهو وحده جنس وأصل . واختلاطها أطيب فى الآذان . وأدخل . وأخف على القلوب من الاذان . وأوصل . وعلى أنى وان كنت أتجنب بجهدى أن أثبت فيها شيئاً قد كتب قبلى أو تنبه على الفائدة فى إثباته سواى إلا الشعر فأنه غير داخل فى هذا الأمر فأنى فى الأقل ربما كتبت شيئاً أعلم أنه موجود فى الدفاتر عقيب شئ يوجبه فلانحو إليه. فلأجل فائدة تحسنه وتحض عليه . واعتماد اترصيع هذه الأخبار . بما يحببها الى أكثر طلاب الآثار . وقد جعلت كل واحد من أجزائها وهو مائة ورقة واحدا قائماً بنفسه . مستغنياً عن الباقى من جنسه . لتخلو فائدته لقارئه دون غيره . ولا يضطر إلى سواه مع حضوره . وإن كان في غيره ضروب أخر من الفوائد لا تعلم إلا منه . وصدرت كل جزء برسالة تدل على جنس الأخبار الموروودة (١) فى جميع الأجزاء والغرض فيها والسبب الباعث على جمعها مختصرة لهذا الشرح الطويل وموجزة من جملة هذا الكلام الكثير . وأوردت فى كل جزء ما اتفق ايراده مختلطاً مما ربما كان فى الأجزاء الأخر ماهو فى معناه داخل . ومن نوعه وفنه حاصل . ومما

---

(١) لعله الموردة

لا يوجد مثلها سالفاً . في أضعاف هذه السنين مضاعفاً . ما لو قيد بتأليف الكتب . وحفظ بتصنيف الأشعار فيه والخطب . وخلد على شرحه فى تواريخ السنين والحقب . لأوفى على ما سلف وتقدم في علو الرتب . وقد أثبت من هذا أيضاً طرفاً طفيفاً . ونبذاً موجزاً خفيفاً . لئلا تخرج هذه الأخبار عن سبيلها ولا تخلو مع ذلك من فنون لا توجد إلا فيها وليستفيد منها العاقل اللبيب . والفطن الأريب . إذا طرقت سمعه وخالطت فهمه من آداب النفس . ولطافة الذهن والحس . مايغنيه عن مباشرة الأحوال . وتلقن مثله من أفواه الرجال . ويحنكه في العلم بالمعاش والمعاد . والمعرفة بعواقب الصلاح والفساد . وما يفضى إليه أواخر الأمور . ويساس به كافة الجمهور . ويجتنبه من المكاره حتى لا يتوغل فى أمثالها . ولا يتورط بنظائرها وأشكالها . ولا يحتاج معها إلى إنفاق عمره في التجارب . وانتظار ماتكشفه له السنون من العواقب . وأوردت ما كتبته مما كان في حفظي سالفاً . مختلطاً بما سمعته آنفاً . من غير أن أجعله أبواباً مبوبة . ولا أصنفه أنواعاً مرتبة . لأن فيها أخباراً تصلح أن يذاكر بكل واحد منها في عدة مكان[1] وأكثرها مما لو شغلت نفسى فيه بالنظم والتأليف . والترتيب والتصنيف . لبرد واستثقل وكان إذا وقف قارئه على خبر من أول كل باب فيه . علم أن مثله باقيه . فقلّ لقراءة جميعه ارتياحه ونشاطه . وضاق فيه توسطه وانبساطه . ولكان ذلك أيضاً يفسد بما فى أثنائه من الفضول . والأشعار والرسائل والأمثال والفصول . التي إن رتبت على الابواب

(١) لعله أماكن

وتلميعه بما يحث على قراءته من شعر لمتأخر من المحدثين . أو مجيد من الكتاب والمتأدبين . أو كلام منثور لرجل من أهل العصر أو رسالة أو كتاب بديع المعنى أو حسن النظم والنثر ممن لم يكن في الايدى شعره ولا نثره ولا تكرر نسخ ديوانه . ولا ترددت معانى إحسانه . وما فيه مثل طرى أو حكمة جديدة أو نادرة حديثة أو فائدة قريبة المولد ليعلم أن الزمان قد بقى من القرائح والألباب . فى ضروب العلوم والآداب . أكثر مما كان قديماً أو مثله ولكن تقبّل أرباب تلك الدول للادب أظهره ونشره وزُهد هؤلاء الأئمة في هذا الأدب غمره وستره . ولهذه الحال ما انطمست المحاسن فى هذه الدول وردت أخبار هؤلاء الملوك وخلت التواريخ من عجائب ما يجرى في هذا الوقت لأن ذوى الفضل لا يفنون أعمارهم بتشييد مفاخر غيرهم وانفاق نتائج خواطرهم مع بعدهم من الفائدة . وخلوهم عن العائدة . وأكثر الملوك وذوى الأحوال . والرؤساء وأرباب الأموال . لا يجودون عليهم فيجيدَ هؤلاء لهم نسج الأشعار والخطب . وحوك الرسائل والكتب . التى تبقى فيها الآثر . ما أقام الدهر الغابر . فقد بخل هؤلاء وغفل هؤلاء ورضى كل واحد من الفريقين بالتقصير فيما يجده . والنقص فيما يعتمده . وإلا فقد خرج في أعمارنا وما قاربها من السنين من مكنون أسرار العلم . وظهر من دقيق الخواطر والفهم . ما لعله كان معتاصاً على الماضين . وممتنعاً على كثير من المتقدمين . وجرت في هذه المدة من الحوادث الكبار والوقائع العظام والانقلابات العجيبة . والاتفاقات الغريبة . والحيل الدقيقة . والامور المحكمة الوثيقة . التى

ويقتصر منهم على الاكرام دون الأموال . وقضاء الحاجة دون المغارم والاثقال . فما يرفعون به رأساً . ولا ينظرون إليه إلا اختلاساً . لفساد هذا العصر . وتباعد حكمه من ذلك الدهر . وأن موجبات الطباع فيه متغيرة منتقلة . والسنن دارسة متبدلة . والرغبة في العلم معدومة . والهمم باطلة مفقودة . والاشتغال من العامة بالمعاش قاطع . ومن الرؤساء بلذاتهم البهيمية قانع . فنحن حاصلون فيما روى من الخبر أنه لا يزداد الزمان إلا صعوبة ولا الناس إلا شدة ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق . وما أحسن ما أنشدني أبو الطيب المتنبي لنفسه من قصيدة في وصف صورتنا :

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحق البهلول التنوخي المعروف والده بأبي بكر الازرق الأنباري قال : قال لي أبي إذا كان يوم القيامة أصعب الايام فكل ما قرب منه من الأيام ودخل في أشراطه كان أصعب . واتفق أيضاً أنني حضرت المجالس بمدينة السلام في سنة ستين وثلثمائة بعد غيبتي عنها سنين فوجدتها محيله ممن كانت به عامرة . وبمذاكرته آهلة ناضرة . ولقيت بقايا من نظراء أولئك الاشياخ وجرت المذاكرة فوجدت ما كان في حفظي من تلك الحكايات قديماً قد قلّ . وما جرى من الأفواه في معناها قد اختل . حتى صار من يحكي كثيراً مما سمعناه يخلطه بما يحيله ويفسده ورأيت كل حكاية مما أنسيته لو كان باقياً في حفظي اصلح لفنّ من المذاكرة . ونوع من نشوار المحاضرة . فأثبت ما بقي عليّ مما كنت أحفظه قديماً واعتقدت إثبات كل ما أسمعه من هذا الجنس

واخبروا به من عجائبها. ويوردون كل فن من تلك الفنون على حسب ما تقتضيه المحادثة. وتبعثه المفاوضة. فاحفظ عليهم ذلك في الحال. وأتخذ به وأستفيده في أحوال. فلما تطاولت السنون ومات المشيخة الذين كانوا مادة هذا الفن ولم يبق من نظرائهم إلا اليسير الذين إن مات ولم يحفظ عنه ما يحكيه مات بموته ما يرويه ووجدت أخلاق ملوكنا ورؤسائنا لا تأتى من الفضل بمثل ما يحتوى عليه تلك الاخبار من النبل وتستنى بما تشاهد من نظيره. عن حفظ ماسلف وتحبيره. بل هي مضادة لما تدل عليه تلك الحكايات من أخلاق المتقدمين وضرائبهم وطبائعهم ومذاهبهم حتى ان من بقى من هؤلاء الشيوخ إذا ذكر ما يحفظه من هذا الجنس بحضرة أرباب الدولة ورؤساء الوقت خاصة ما كان منه متعلقاً بالكرم. ودالاً على حسن الشيم. ومتضمناً ذكر وفور النعم. وكبر الهمم. وسعة الأنفس وغضارة الزمان ومكارم الأخلاق كذبوا به ودفعوه وجعلوه في أقسام الباطل واستبعدوه ضعفاً عن إتيان مثله واستعظاماً منهم لصغير ما وصلوا إليه بالاضافة إلى كبير ما احتوى أولئك عليه وقصوراً عن أن تنتج خواطرهم أمثال تلك الفضائل والخصال. أو يتسع صدورهم لفعل ما يقارب تلك المكارم والأفعال. هذا مع أن في زمانهم هذا من العلماء المحتسبين في التعليم. والأدباء المنتصبين للتأديب والتفهيم. وأهل الفضل والبراعة في كل علم وأدب وجد وهزل وصناعة من يتقدم بجودة الخاطر. وحسن الباطن والظاهر. وشدة الحذق فيما يتعاطاه. والتبريز فيما يعانيه ويتولاه. كثيراً ممن تقدمه في الزمان. وسبقه بالمولد في ذلك الاوان.

والشراب والمعاقرين . والمغنيات والمغنين . والرقاصين والمخنثين. وأصحاب الستائر والقيسين . والمتقاينين والمستمعين . وأهل الهزل والمتخالعين . والمجان والمجانين . والبله والمغفلين . والمفكرين والموسوسين . وأهل المذهب والسوداويين . والمشعبذين والمحتالين . والملحدة والمتنبئين . والاطباء والمنجمين . والكحالين والفصادين . والآسية والمجبرين . ومعالجي الجراح والمتملحين . وأصحاب الزجر والزواقين . وأهل القرعة والمقالين. والطواف بالسهام والمفسرين. والشحاذين والمجتدين. والمجدودين والمحدودين. والسعاةوالمسافرين. والمشاةوالمتغربين. والسبّاح والغواصين. وسلاك البحار والمفازات . وأهل المهن والصناعات . والمياسير والفقراء . والتجار والاغنياء . والفواضل من النساء . وحرائرهن والاماء. وخواص الاحجار والحيوانات . والادوية والعلاجات . والرقى والانبجات . والاحاديث المفردات . وشاذ الاتفاقات . وطريف المنامات . وشريف الحكايات . وغير ذلك من ضروب احاديث أهل الخير والشر . والنفع والضر . وسكان المدر والوبر . والبدو والحضر . شرقاً وغرباً . وبعداً وقرباً . وكان القوم الذين استكثرت منهم . واخذت ذلك عنهم . يحكونه في أثناء مذاكرتهم . وفي عرض مجاراتهم . وبعد انقضاء ملحهم وآدابهم والخوف من ملل يلحق السامعين بعلومهم وحكمهم نفياً للمساكنة . واجترارا للمثافنة . وصلة للمجالسة . وفتحاً للمؤانسة . وسيراً لاحاديث الدنيا ماضيها وباقيها . وتواصفاً لسيَر أهلها وما جرى فيها . وتمثيلاً بين ما شاهدوه منها . وسمعوه عنها . وعانوه من تقلبها . وقاسوه من تصرفها .

والبخلاء وذوى الكبر والخيلاء والاشراف والظرفاء والمحرفين والجلساء والمحادثين والندماء. والاذكياء والفهماء والاسخياء والكرماء والسفهاء والحلماء. والمتكلمين والعلماء. والمحدثين والفقهاء. والفلاسفة والحكماء. واهل الآراء والاهواء. والمتأدبين والادباء. والمترسلين والفصحاء. والرجاز والخطباء. والعروضيين والشعراء. والنسابين والرواة. والحفاظ والدراة. واللغويين والنحاة. والشهود والقضاة. والامناء والولاة. والمتصرفين والكفاة. والفرسان والامجاد. والشجعان والانجاد. والجند والقواد. واصحاب القنص والاصطياد. والجواسيس والمتخبرين. والسعاة والغمازين. والوراقين والمعلمين. والحساب والمحررين. والعمال واصحاب الدواوين. والتناء والمزارعين. وارباب الخراج والارضين. والاكرة والفلاحين. والمتكلمين على الطرق. واصحاب الهاذور والحلق. والواعظين والقصاص. وذوى التنمس والاخلاص. وأهل الصوامع والخلوات. والسياح في الجبال والفلوات. والنساك والصالحين. والابدال والمتفردين. والمريدين والمخبتين. والعباد والمتبتلين. والزهاد والمتوحشين. والصوفية والمتواجدين. والائمة والمؤذنين. والقراء والملحنين. والرجحاء والمبرزين. وأهل النقص والمقصرين. والاغبياء والمتخلفين. والفطناء والمتقدمين. والشطار والمتقين. وأصحاب العصبية والسكاكين. وقطاع الطريق والمتلصصين. والخراب والمتخربين. وأهل الخسارة والعيارين. ولعاب النرد والشطرنجيين. والملاح والمتطايبين. وأصحاب النادرة والمضحكين. والمورثين والمبذرين. والطفيلية والمتطرحين. والاكلة والمواكلين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وعلى آله الطيبين ذوى [1]

من أفواه الرجال وما دار بينهم

الحفظ في الضمائر الى التخليد في الدفاتر الى كتب مثله

ولا تخليد بطون الصحف شيء من جنسه وشكله والعادة جارية في مثلها ان يحفظ اذا سمع ليذاكر به اذا جرى مايشبهه ويقتضيه . وعرض ما يوجبه ويستدعيه . ولعل قارئها والناظر فيها أن يستضعفها اذا وجدها خارجة عن السنن المعروف في الاخبار. والطريق المألوف في الحكايات والآثار. الراتبة في الكتب . المتداولة بين أهل الادب . ولا سيما مالم يعلم السبب الذي رغبني في كتبها وهو اني اجتمعت قديماً مع مشايخ فضلاء علماء أدباء قد عرفوا أحاديث الملل . وأخبار الممالك والدول .

الامم ومعايبهم وفضائلهم ومثالبهم وسمعوا ولون ظريف

عجيب من أخبار الملوك

والكتاب والوزراء والسادة

---

(١) قد ذهبت من صدر الكتاب كلمات وسطور كما تراه

كتاب

جامع التواريخ

المسمى

بكتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

من

تأليف القاضى أبى على المحسن بن على
ابن محمد بن أبى الفهم التنوخى
المتوفى سنة ٣٨٤

الجزء الاول

قد اعتنى بتصحيحه

د . س . مرجليوث

مطبعة امين هندية بمصر